

تَبَرُّهُ اللهُ



آ. ج. و. ق. و. ی.

سلسلة " الحقيقة الصعبة "

دار لأجل المعرفة، ديارعقل-لبنان

(قياس ٢٤×١٧ سم)

١. قسّ ونبيّ، بحث في نشأة الإسلام، أبو موسى الحريري، ٢٠٠١، ٣١٤ ص.
٢. نبيّ الرحمة، بحث في مجتمع مكّة، أ.م. الحريري، ١٩٨٥، ٢٠٨ ص.
٣. عالم المعجزات، بحث في تاريخ القرآن، أ.م. الحريري، ١٩٨٦، ٢٥٠ ص.
٤. أعربيّ هو؟ بحث في عروبة الإسلام، أ.م. الحريري، ٢٠٠٧، ٢٥٤ ص.
٥. العلويّون النّصيريّون، بحث في العقيدة والتاريخ، أ.م. الحريري، ٢٧٢ ص.
٦. بين العقل والنبيّ، بحث في العقيدة الدرزيّة، أنور ياسين، ١٩٨١، ٤٦٤ ص.
٧. رسائل الحكمة، حمزة بن عليّ، وآخرون ط ٥، ١٩٨٦، ٨٦٤ ص.
٨. مصادر العقيدة الدرزيّة، حامد بن سيرين، ١٩٨٥، ٥٧٦ ص.
٩. السلوك الدرزي، أنور ياسين، ١٩٨٦، ٢١٨ ص.
١٠. مذبحه الجبل، (حسر اللّثام عن نكبات الشام، تاريخ الحرب الأهليّة الدامية في لبنان سنة ١٨٦٠)، شاهين مكاريوس، ١٩٨٣، ٣١٠ ص.
١١. المسيحيّة في ميزان المسلمين، (ردّ على كتاب "الإسلام والمسيحيّة في الميزان" لـ شريف محمّد هاشم)، أ.م. الحريري، ١٩٨٩، ٢٥٦ ص.
١٢. نزعنا القناع، ردّ على كتاب، أ. جوزف قرّزي، ١٩٩٧، ٣٦٠ ص.
١٣. رغبات النفس والجسد، (الحياة الجنسيّة في الإسلام) أ.م. الحريري، ٢٨٨ ص.
١٤. موازين الحقيقة، (ردّ على ردود)، أ.م. الحريري، ٢٠٠٠، ٢٣٦ ص.
١٥. نصارى القرآن ومسيحيّوه، أ. جوزف قرّزي، ٢٠٠٢، جزآن في ٦٤٠ ص.
١٦. المسيحيّة في ردود المسلمين، أ. جوزف قرّزي، ٢٠٠٢، جزآن في ٦٤٠ ص.
١٧. مسيح القرآن ومسيح المسلمين، أ. جوزف قرّزي، ٢٠٠٦، ٢٢٤ ص.
١٨. بين المسيحيّة والإسلام، أ. جوزف قرّزي، ٢٠٠٦، ٤١٤ ص.
١٩. هذا هو الإسلام، أ. جوزف قرّزي، ٢٠٠٧، ١٤٠٠ ص.
٢٠. الشيعة الاثنا عشريّة، أ. جوزف قرّزي، ٢٠٠٦، ٢٤٠ ص.
٢١. محنتي مع القرآن ومع الله في القرآن، عبّاس عبد النور، دمنهور، ٣٥٠ ص.
٢٢. تبرئة الله، أ. جوزف قرّزي، ٣٣٦ ص.

مقدمة

غايّتي من هذا البحث تبرئةُ الله ممّا يُنسب إليه من أديانٍ ومذاهبٍ وشرائعٍ وكتبٍ، قيل أنّ الله نفسه هو الذي نزلها على البشر، وأنّه هو الذي اختار له شعباً ورذل آخرين، وميّز إنساناً وقربّه منه ورفض آخر.

لهذا يتوجّب علينا، قبل كلّ شيء، معرفة حقيقة الأديان والأنبياء والكتب المنزلة، كما يتوجّب علينا أيضاً معرفة علاقة الله بنا وعلاقتنا به.

أولاً - تعريف الدين

١ . الدين ظاهرة إنسانية، روحية واجتماعية، لازمت الإنسان منذ إن وُجد، وتلازمه حيثما يوجد.

٢ . وهو، بمفهومه التقليديّ الواسع، مجموعة معتقدات وعبادات وصلوات وشعائر وفرائض وطقوس وأعياد، يمارسها الإنسان إرضاءً لله، أو للآلهة، ليثبت علاقته به.

٣ . والدِّين، لغَةً، من دان لله، أي خضع له، واستسلم لمشيئته، وارتبط به، وأطاعه في وصاياه وأوامره ونواهيه؛ أي هو التزام واجب لما يعتنقه المرء من عقائد ومبادئ، ولما يقوم به من طقوس وعبادات.

ثانياً - أصول الدِّين ثلاثة، هي :

١ . الاعتقاد بالله واحد،

٢ . الاعتراف بحياة ثانيةٍ أبديةٍ في عالمٍ آخر.

٣ . والإقرار ببعثة الأنبياء والرسل، وبالكتب المنزلة لهداية البشر^(١).

تتلخّص هذه الأصول في ثلاثة : التوحيد، والنبوة، والمعاد. وفيها أجوبة على أسئلة رئيسية مصيرية يطرحها الإنسان في أعماقه : مَنْ هو خالق الكون والإنسان؟ وكيف تكون علاقة الإنسان بالله؟ وهل من نهاية لهذه الحياة. متى؟ وكيف يكون مصيرُ البشر؟ وما هو النظام الأفضل للإنسان في هذه الدنيا؟

(١) أقول: "الاعتقاد" و "الاعتراف" و "الاقرار". ولا أقول: "الإيمان"؛ لأن الإيمان يعتمد على الوحي؛ فيما تلك تعتمد على العقل والمنطق. وليست جميع الأديان تعتمد على الإيمان؛ بل تعتمد على الفطرة وعلى معطيات العقل ومعرفة الإنسان الطبيعية...

ثالثاً - مضمون الدين

- ١ . يحتوي الدين على مجموعة من العقائد النظرية، التي تختص بالله والإنسان والكون.
- ٢ . وعلى مفاهيم إجتماعية، كالعلاقة الزوجية، والحرية، والدولة، والدفاع، والاقتصاد، وغير ذلك.
- ٣ . وعلى مجموعة من الأحكام والتكاليف والطقوس التي يتميز بها كل دين.
- ٤ . وعلى الأخلاق والمثل العليا التي يتجمل بها كل إنسان، كالعفة، والتواضع، ومحبة الفقراء، وإقامة العدل...

رابعاً - حروب الأديان

- ١ . غير أن الأديان أيضاً، بالنسبة إلى عدد كبير من الناس، أثارت العداوة والبغضاء والحروب وسفك الدماء على وجه الأرض... حتى في الدين الواحد نجد أكثر من طائفة أو شيعة أو مذهب، تختلف فيما بينها، وتتناحر، وتتقاتل حتى الإفناء...
- ٢ . ومع هذا لم تقف هذه الأديان المتناحرة حائلاً دون رغبة الإنسان في اكتشاف أسرار الكون، والحصول على نظام اجتماعي متكامل، والامتثال بالأخلاق والقيم، وإلغاء الفوارق العنصرية والقومية بين الناس...

خامساً - المسيحية

١ . يهمنّا من الأديان، في بحثنا هذا، الأديان المسمّاة "سماوية"، أو "توحيدية"، كاليهودية، والمسيحية، والإسلام. ولا يهمنّا البحث في الهندوسية، والبوذية، والكنفوشيوسية، والسيخ، وغيرها. فهذه لا تُسمّى "أدياناً" بل هي حركات صوفية روحية، أو تيارات فلسفية فكرية. وهي أيضاً بعيدة كلّ البعد عن تراثنا ومعتقداتنا. لهذا فهي لا تعنينا في بحثنا هذا في شيء...

٢ . وكذلك لا يدخل في بحثنا تلك الأديان المسمّاة "سرية"، أو "باطنية"، كالدرزية، والنصيرية... فهذه لا تعني إلاّ معتنقيها، وهي أيضاً سرّية مكتومة حتّى على أصحابها، ومحرمّة على سواهم.

٣ . هذه الحركات الصوفية والأديان السرية لم يصنعها الله، كما هو الحال مع الأديان "التوحيدية"، كما يقول أصحابها ومعتنقوها؛ إنّما هي من صنع البشر، كما سنبيّن ذلك...

٤ . وكذلك أيضاً لا يوجد في تلك التيارات الصوفية والأديان السرية، تعاليم "منزلة" أو "موحاة" من عند الله، كما يقول أصحاب الأديان "التوحيدية".

٥ . وليس فيها أيضاً موضوعات خاضعة للإيمان وغير خاضعة للعقل.

لهذا فهي لا تدخل في بحثنا.

٦ . ثم إنَّ المسيحية تختلف عن اليهودية والإسلام في كلِّ شيء، إلى درجة أنَّ باستطاعتنا القول: إذا كانت المسيحية ديناً، فاليهودية والإسلام ليسا بدين؛ وإذا كان الإسلام واليهودية دينين، فالمسيحية ليست ديناً على الإطلاق، ولا تشبههما في شيء.

٧ . من هنا لا يمكن أن يكون حوار بين المسيحية واليهودية والإسلام: فالله، في المسيحية، مثلاً، يختلف، في طبيعته وجوهره وصفاته ودوره، عما هو في اليهودية والإسلام... وكذلك القول في السماء، وفي الأرواح الخيرة والشريرة، وفي السعادة والهلاك، وفي كلِّ شيء يتناول الحقائق الماورائية، التي يقوم عليها الدين...

٨ . ثم إنَّ الذي يدعي معرفة الله قد يكون أشدَّ كفراً وأكثر إلحاداً من الذي ينكر الله ولا يؤمن به : فالذي يقول بأنه يعرف الله فهو يعتبر الله كائنًا بمستواه، خاضعاً لمقولات العقل والمكان والزمان، ولنسبية الكائنات؛ فيما الله كائن مطلق، كلِّيُّ الكمال والقدرة، خارج الزمان والمكان،

غير خاضع للجنس والنوع والعدد... فكيف يكون حواراً إذاً حول الله؟!

٩ . ثم إنَّ الحوار يجب ألاَّ يكون على ما يميّز جوهر هذا الدين عن سواه؛ بل على الممارسات العمليّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة... من هنا يمكننا أن نتحاور مع الوثنيّ والملحد والكافر، وفي أمور عديدة، لكن لا على ما يتميّز به كلّ من اليهوديّة والإسلام؛ ثمّ يمكننا أن نتحاور في موضوعات السياسة وأمور المجتمع والمسائل الفلسفيّة، لا في المعتقدات الماورائيّة التي تتميّز بها كلّ من اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام...

أنا لم أكفر بالله، ولم ألحد به، ولم أنكر وجوده أو فعله في الكون والإنسان... ولكنني أعجز عن إدراكه، وعن معرفة أيّ شيء عنه...

أنا لم أدع إلى إلغاء ما قدّمته الأديان للإنسان من حضارات.. بل أدعو إلى تبرئة الله من صنع هذه الأديان، من معتقداتها، وشرائعها الجامدة؛ وذلك اعتماداً على قول المسيح: «قيل لكم... أمّا أنا فأقول لكم...». ليس الله هو الذي صنع الأديان؛ إنّما الأديان هي من صنع الإنسان...

فصل تمهيدي

ليس الدين من صنع الله

ما من إنسانٍ عاقلٍ يستطيع أن يقول إنَّ الله هو الذي صنع الأديان للبشر، فأعطى هذا الدين لهذا الإنسان وذاك الدين لذاك الإنسان، واختار شعباً من دون شعب، وأوحى لهؤلاء ولم يوح لأولئك، فميّز البشر بعضهم عن بعض، فخلفهم وجعلهم يتقاتلون...

وإذا كان الله هو نفسه الذي أوحى بهذه الأديان المختلفة والمتناقضة، فيكون هو نفسه الذي شاء للبشر أن يختلفوا ويتقاتلوا بسببه، ويكون بالتالي غير عادل، لا يعرف الرحمة ولا المحبة؛ بل يكون حقاً إلهاً شريراً وشيطاناً رجيماً.

الله، بسبب ما نزل من كتب وشرائع، ميّز فيها بين أبنائه، يكون هو المسؤول عن اختلافات البشر.

ثم إن رسلاً وأنبياء كثيرين قالوا إن الله هو الذي بعث بهم، وأوحى إليهم بشرائع أزليّة أبدية، وزودهم بتعاليم ثابتة لا تتغير... هؤلاء عمّقوا الاختلاف بين البشر، إذ ادّعوا أن الأديان التي دعوا إليها، والكتب التي نزلوها من السماء، هي من صنع الله، لا من صنعهم هم.

ولكن، هذه أمور لا يقبلها عاقل. ولهذا، رفضها كثيرون وأنكروها، وحرّروا الله والإنسان منها. ولهذا أيضاً اعتُبروا ملحدّين، وكافرين، وأنكروا الله بسبب نكرانهم لهذه الأديان.

أودّ أن يحاسبني ربّي ويدينني على ما اتّهمته به من صنع أديان ومذاهب، ومن تنزيل كتب تلغي كتباً، ومن بعثه رسلاً تنسخُ رسلاً... إن الله، في اعتقادي، بريء من كلّ هذه.

يشجّعني على هذا الكلام كلام يسوع نفسه، ومواقفه، بحسب ما روثه الأناجيل والرسائل... غريب كلام يسوع هذا الذي ينقض فيه تعاليمهم وتقاليدهم ومعتقداتهم

وشرائعهم. فيسوع، لم يكن إلا ليصحح مسيرة الإنسان،
ويكشف له عن سرّ الله، ويخلص البشر أجمعين، من دون
تمييز؛ ويُعيد إليهم كامل حريّتهم التي خلقهم الله فيها.

يقنعني يسوع، في تعاليمه هذه، لسببين اثنين:

السبب الأوّل: تخليصه الإنسان، لا من خطيئة آدم
المزعومة، بل من شرائع قيّد الإنسان بها حريّته ونسبها إلى
الله بوضعها له منذ الأزل وإلى الأبد.

والسبب الثاني: رفض يسوع تعاليم التوراة وتقاليدها
الأخبار اليهود رفضاً جازماً، حاسماً، كاملاً ونهائياً، وذلك
بسبب ما حملوا الإنسان من شرائع وعقائد، أثقلوا بها كاهله،
وألزموه بها باسم الله نفسه وإلى الأبد.

فيسوع، إذًا، كان أوّل مَنْ تجرّأ على تبرئة الله من
التقاليد الموروثة، ومن الحقائق الجامدة، والتعاليم التي لا
تتبدّل ولا تتطوّر، وقد جمّدت هذه التعاليم تطوّر الإنسان،
وتقدّمه وحريّته إلى الأبد.

لقد كان يسوع، أيضاً، أعظم ثائرٍ في التاريخ، لا على
الظلم والحكّام الظالمين فحسب، بل على الله نفسه الذي اتُّهم
ظلماً بأنّه هو الذي صنع أدياناً ومذاهب، ووضع فرائضَ

وشرائع، وأنزلَ تعاليم سماويّة أبدية. وهو بهذه الثورة فتح الباب واسعاً للملحدين. فإذا به كان رأس الملحدين، وأوّل الرافضين، وأعظم الثائرين من أجل حرّية الإنسان وكرامته..

لنبدأ بالأناجيل، ثمّ بأعمال الرسل، والرسائل، وبنوع خاصّ رسائل القديس بولس؛ فإنّي لم أرَ، في سبيل تبرئة الله من جميع الأديان والمذاهب، دليلاً أعظم.

لهذا، فإنّ معتمدي في تبرئة الله من الأديان والشرائع، هو يسوع نفسه الذي جاء، على ما يبدو، ليلغي الأديان والشرائع كلّها، ويعيد إلى الإنسان كرامته وحرّيته وعلاقته مع الله بواسطة يسوع المسيح لا سواه.

هذه الأديان المختلفة ليست من الله، ولا يمكن أن تكون من الله، ولا يُحتمل أن يكون أيّ دين منها من صنع الله؛ لأنّ الله لا ينزل أدياناً، ولا يسنّ شرائع، ولا يختار إنساناً ويرذل آخر، ولا يميّز شعباً ويتخلّى عن آخرين..

ولكن، إذا كان ثمة احتمالٌ أن يكون دينٌ ما من عند الله، فهذا الدين يجب أن يكون واحداً، عامّاً، شاملاً، لا يناقض سواه، ولا «ينسخ» تعاليم من سبقه. كلّ الأديان، إن كانت من الله، يجب ألاّ تختلف أو تتناقض أو تتقاتل.

صحيح أنّ الطرق إلى الله متعدّدة ومتنوّعة بتعدّد طبائع البشر وتنوّع ثقافاتهم؛ ولكن لا يمكن أن تكون هناك أديانٌ تتناقض وتُلغي بعضها بعضاً. وصحيح أن كلّ إنسان يصل إلى الله بحسب ميله وقناعاته؛ ولكن لا يمكن أن يعرف إنسانُ الله معرفةً حقيقيّةً من دون وسيط من عند الله.

هذا المنطق يدفعني هو أيضاً إلى تبرئة الله من كلّ دينٍ اتّهمناه بصنعه. فالله خلق الناس إخوةً، بمحبّةٍ إلهيّةٍ متساوية وغير محدودة؛ لذلك فهو يشاء خلاص كلّ إنسان بمحبّةٍ إلهيّةٍ متساوية وغير محدودة أيضاً...

هذا الخلاص لم يحرم الله منه أحداً، لأنّه هو الذي خلق كلّ واحدٍ والجميعُ أبناؤه، وسوف يخلّص أيضاً كلّ واحد منهم. لهذا فهو بريء من هذه الأديان المختلفة والمتناقضة، ولا يدّ له فيها.

وبالتالي على كلّ إنسانٍ أن يقبل كلّ إنسانٍ يبحث عن الله بأيّ طريق شاء. وعليه أن يعمل مع كلّ إنسانٍ لاكتشاف سرّ الله، كما عليه أن يستفيد من خبراته وخبرات سواه، لكي يلج هذا السرّ العظيم.

فإذا كان كلّ إنسانٍ يتمتّع بفرادةٍ خاصّةٍ به مميّزةٍ إيّاه عن سواه، فإنّه أيضاً يتمتّع بانفتاحه على غيره ومحبّته

له وقبوله إيّاه كما هو. لهذا، فالقول إنّ الله يريد هذا الدين ولا يريد ذاك، أو هو يريد هذا الإنسان ولا يريد ذاك، هو قول شرير مشين بحقّ الله والإنسان معاً.

ولئن سلّمنا بوجود أديان متناقضة، تعلّم تعاليم مختلفة، فلا يمكن أن تكون هذه الأديان من مصدر واحد هو الله؛ ولكنّ هذه الأديان موجودة ومختلفة، بل متناحرة، ما يعني أنّ الإنسان هو مصدرها لا الله. فالله منها براء، ومن المستحيل أن يكون الله سبب اختلاف بين البشر أبنائه.

في البشرية أديان مختلفة، فلا بدّ، إذاً والحال هذه، من أن يكون لكلّ دينٍ إله خاصّ به. وهذه حقيقة حاصلة في تاريخ البشر، مؤداها: آلهة تتقاتل، أديان تتصارع، شرائع تتناقض، تعاليم تتضارب، أناس يتناحرون... وكلّها باسم الله، ولأجل الله؛ والله سببها...

صحيح أنّ الأديان كلّها تستعمل اسماً واحداً لله؛ ولكنّ الله فيها ليس هو نفسه: إسم واحد، صفات مشتركة، ولكنّها لا تنطبق على مسمّى واحد. يعني: أنّ إله المسيحية هو غير إله البوذية، والهندوسية، واليهودية، وغير إله الإسلام، والدرزية، والنصيرية، بالرغم من أنّ الاسم واحد، والصفات، في معظمها، هي ذاتها...

فإذا كانت الأديان لا تتفق بعضها مع بعض على هويّة الله، ولا على دوره ومهمّته في العالم، ولا على صفاته وعلاقته بالإنسان، فكيف تكون هذه الأديان إذاً من عنده؟! هذا يعني، مرّة أخرى، أنّ الله بريء من هذه الأديان كلّها. ولا يد له فيها. لم يصنعها. لم يوح بها... بل هي من صنع البشر المختلفين طبعاً، ومنذ بدء التاريخ مختلفون؛ وذلك بسبب الحرّية التي أنعم بها الله على كلّ إنسان، وعرّضها في جِبَلَّتِه، منذ أن خلقه.

لهذا يجب أن نعمل، ما بوسعنا، مؤمنين وملحدين، يهوداً ومسيحيّين ومسلمين، على إلغاء هذه الأديان عن وجه الأرض، لكي يعود الله إله الجميع، يهّمه أمر الجميع، يحبّ الجميع، ويعمل على خلاص الجميع.



يرى اللبنانيون، مثلاً، الفساد كلّ الفساد في الطائفيّة؛ أمّا أنا فأرى الفساد كلّ الفساد في الدين الذي هو أصل الطائفيّة، وسببها ومرجعها. الدين أصل، والطائفيّة فرع. الدين سببه خلافٌ إلهي؛ فيما الطائفيّة سببها خلافٌ بشريّ. الدين يجذّر هذا الخلاف ويعمّقه؛ أمّا الطائفيّة فخلافاتها عابرة، زائلة، لا تمسّ الحقيقة ولا العقيدة، ولا تتهم الله.

هذا يعني أنّ الاختلاف بسبب الدين، عميق جداً بين البشر؛ أمّا الاختلاف بسبب الطائفية، فسطحيّ عابر. الطائفية انتماء سوسيولوجي، يدلّ على هوية قد تتغيّر بتغيّر الظروف والمناسبات والثقافات والحضارات والأمكنة؛ أمّا الدين فهو تعبير عن حقيقة العقيدة والشرعية المنزلة التي لا تتغيّر بتغيّر الظروف والمناسبات والثقافات والحضارات. الاختلاف، بسبب الطائفية، سياسيّ، وطنيّ، سوسيولوجيّ، ظرفيّ، يدلّ على انتماء الإنسان إلى وطنٍ أو حزبٍ أو شيعةٍ أو حركةٍ، أكثر من دلالاته على عقيدته وإيمانه وانتمائه الإلهيّ...



هذا البحث كلّه يثبت لنا أنّ الله بريء من كلّ الأديان والشرائع والكتب المنزلة، وبريء من كلّ اختلافات البشر بسبب هذه الأديان وهذه الشرائع والكتب؛ أي إنّ الله لم يقيد الإنسان بشرائع منزلة، ولا بعقائد ثابتة، ولا بحروف جامدة، ولا برسول وأنبياء وأولياء ومرسكين، يتقاتلون... الإنسان حرّ؛ وهذه هي عظمته وكرامته. هكذا خلقه الله؛ وهذه هي عظمة الله ومجده. فلا الله يتخلّى عن مجده

وعظمته، ولا الإنسان يريد أن يتخلّى عن كرامته وحرّيته...
لن يتخلّى الإنسان عن حرّيته هذه، ولا الله يشاء له ذلك.

الدين، في هويّته، يطعن في الاثنين معاً، أي في الله
والإنسان. لهذا يجب تبرئة الله والإنسان منه، مهما كلف
الأمر؛ بذلك تسلم البشريّة ويسلم الإنسان، ويتقدّم العالم
إلى كماله، وتنجلي صورة الله الحقيقيّة الرائعة في الكون.



وها أنذا أجاهد اليوم، معاكساً التيارات الدينيّة
والمذهبيّة والفكريّة كلّها، لأدّل على أنّ الله بريء من كلّ دين،
وعلى أنّ الدين سبب كلّ خلاف واختلاف وعداوة بين
الناس. هكذا هو، وهكذا كان منذ فجر التاريخ حتّى اليوم
وقد يبقى إلى ما بعد اليوم.

وبسبب ذلك أقول: قلّما تهمني الدعوى إلى إلغاء
الطائفيّة التي هي ظاهرة اجتماعيّة عابرة تعرّف عن هويّة
الإنسان وانتمائه، بمقدار ما تهمني الدعوى إلى إلغاء الأديان
والمذاهب والشرائع السماويّة والكتب المنزلة كلّها. ويهمني
أيضاً أخذ الحذر الشديد من الأنبياء والمرسلين جميعهم...

في نيّتي الصريحة تبرئة الله من الأديان؛ إذ ليس هو
الذي أوحى بها؛ وليس هو الذي أنزل شرائع من السماء، أو

كتبَ كتباً، سمّيناها مقدّسة، أو بعث بأنبياء، أو ثبتّ عقائد
وحقائق، وجمّد العلوم والمعارف... الله بريء بريء من هذه
كلّها.

الإنسان هو المسؤول عن هذه الأديان والطوائف
والمذاهب والشييع والمعتقدات والشرائع والكتب والحقائق
الجامدة... ليس الله هو المسؤول عن أيّ شيء منها...

لنتصارح، ونضع النقاط على الحروف، ونحدّد
المسؤوليات : من المسؤول عن اختلافات البشر وصراعاتهم
بعضهم مع بعض؟

أليست هي الأديان، منذ أن كان على الأرض بشر،
ومنذ أن أدخل الإنسانُ اللهَ في شؤونهِ؟

ولكن من المسؤول عن هذه الأديان؟

أليس هو الله الذي اتّهمه الإنسانُ بصنعها، وقيل أنّه
نزلها مع رسلٍ وأنبياء، وثبتّ عقائدها وتعاليمها في كتبٍ
ومصاحفٍ وكراريس من عنده.

نستدلّ على ذلك، في أهمّ ما نستدلّ عليه، من الأناجيل والرسائل التي تبين بوضوح عمل يسوع في تبرئة الله من اليهوديّة وشرائعها، ومن التوراة وتعاليمها، ومن الأحرار والرؤساء وتقاليدهم... بل تبين يسوع وكأنّه جاء لينقضها ويريح الإنسان من أحمالها وأثقالها.

لقد وضعت اليهوديّة على كاهل الإنسان شرائع قيّدت بها حرّيته، واتّهمت الله بصنعها، وحملت أثقالاً ليس هو مسؤولاً عنها.

وعن اليهوديّة نقلت الأديان تعاليمها، وشرائعها، ومعتقداتها، حتّى المسيحيّة اتّهمت بما هي عليه اليهوديّة. فيما هي بريئة من كلّ ذلك كلّ البراءة...

هذه التبرئة تؤلّف جوهر رسالة المسيح، وأساس الدعوة المسيحيّة وتعاليم الكنيسة والآباء القديسين والأهوتيين... وهو هدفنا في هذا البحث.

وإذا ما تتبّعنا الأناجيل والرسائل من البداية حتّى النهاية نجد هذه الحقيقة صارخة. فلأنّ يسوع جاء ليلغي اليهوديّة والأديان كلّها، ويرفض، بالتالي، كلّ ما يقيد حرّيّة الإنسان؛ وكذلك أيضاً لم يأت لينشئ ديناً جديداً.

إنّي أريد، في بحثي هذا، التأكيد على هذه الحقيقة الثابتة التي لا شيء عندي يوازيها في أهميّتها.

الله موجود، لا شك في ذلك... ولكن السؤال هو: ما هي علاقة الإنسان بالله؟ كيف هي هذه العلاقة؟ وهل بمقدور الإنسان معرفة شيء عن الله، وعن طبيعته، ودوره، وصفاته؟ وهل هو الله نفسه الذي تقول به الأديان جميعها، أم هو اسم مشترك بينها كلها، لمسمّى يختلف فيه الجميع؟

تعلم الأديان كلها أنّها من عند الله. الله هو الذي أنشأها، وأوحى بتعاليمها، وكلف بها أنبياء ورسلاً، وأودعها كتباً ومصاحف. ولا يمكن، في نظرها، أن يعرف الله أحدٌ، خارجاً عنها. هذه حقيقة قد يقول بها كلُّ إنسان... وشذّ بعض الناس، وأنكروا أن يكون الدين من عند الله، وأنّ الله هو الذي أوحى بها. وأنا منهم.

وتعلم الأديان المسمّاة "توحيدية" كلها - وبعضها ينقل عن بعض - أنّ الإنسان عصى مشيئة الله بخطيئة ارتكبها آدم، فطرده الله من الفردوس، وحرمه السعادة الأبدية، له ولبنيه من بعده إلى أبد الآبدين... أمّا أنا فمن

الذين يقولون إنّ الله لم يصنع أيّ دينٍ لأيّ إنسان في أيّ وقت.

الله الذي أوّمن به، لم يصنع ديناً، لم يسنّ شريعةً، لم ينزل كتاباً، لم يحدّد عقيدةً، لم يبعث من عنده نبياً أو رسولاً، لم يكشف الغيب لأحد، لم يختار شعباً من دون شعب، لم يشأ خلاص إنسان وهلاك آخر، ولم يصنع ديناً لأناس منعه عن آخرين.

الله، الذي أوّمن به، هو، بالنسبة إليّ، محبة مطلقة. إنّهُ إلهٌ يُحبّ الجميع، والجميع أبناؤه، يريد خلاص الجميع، من دون استثناء... فكما هو الذي خلقهم، فهو الذي ينجيهم، ويخلصهم، وينصرهم...

وأقول أيضاً إنّ الشرّ الذي ارتكبه الإنسان منذ البدء، يكمن في سوء استعمال حرّيته، فخطئ خطأ جسيماً. وخطيئته كانت ضدّ نفسه، وضدّ حرّيته، لا ضدّ الله، ولا ضدّ أيّة شريعة نزلت عليه من عند الله.

وزاد شرّه، وتفاقمت خطيئته، عندما قيّد حرّيته بشرائع وصفها بأنّها إلهيّة، اتّهم الله بتنزيلها، فقضى بذلك على نفسه وعلى حرّيته، وعلى الله نفسه، وقيّد الجميع بما

ادّعى تنزيلة من تعاليم باسم اللّٰه، وجمّدها بشرائع وعقائد،
سمّاها أدياناً يختلف بعضها عن بعض، وتتناحر.

فالخطيئة الأولى كانت إذًا، في وقوف الإنسان ضدّ
حرّيته التي شاءها اللّٰه له منذ البدء عنوان مجده وكرامته؛
والخطيئة الثانية كانت في تقييد الإنسان حرّيته هذه
بشرائع إلهيّة منزلة، وعقائد ثابتة، في كتب جامدة، وعلى
أيدي أناس طبعهم بختم إلهيّ...

وكّلها لا تتبدّل ولا تتطوّر، ولا تتغيّر، ولا تُبقي
للإنسان أيّ مجالٍ لاستعمال عقله ووعيه وحرّيّة تصرّفه...
هذه هي قصّة الأديان كلّها، صنعها الإنسان ليخلّص
نفسه من خطايا، ارتكبها بحقّ اللّٰه وبحقّ حرّيته، فوقع
بالتالي في خطايا أعظم، إذ ربط اللّٰه معه وكبله في قيوده.
فبطل اللّٰه نفسه، في هذه الأديان كلّها، أن يكون حرّاً في
خلقه وفي أعماله .

والآن، وبعد اختبارٍ طويلٍ مع الأديان وتعاليمها، لم
أجد نفسي في خانة الكافرين، ولا في صفوف الملحدّين.
ومع هذا، لستُ بنادمٍ على هذا الاختبار، لأنّ اختباري هذا
هو الذي ساهم في تقوية إيماني باللّٰه، وهو الذي رسم

حدود معرفتي الحقيقية له، وأعطاني الشجاعة في قول ما أقول لأكتب ما أكتب من حقائق صعبة في مجالات «الحقيقة الصعبة».

هذه الخبرة الشخصية للحقيقة الإلهية هي التي أكسبتني هذا الاقتناع الذي توصلت إليه اليوم، بعد اختبارٍ طويل، مدى الحياة، ألا وهو انتفاضتي الصريحة على الأديان كلّها، ودعوتي الصريحة إلى إلغائها، وإلى تبرئة الله منها، وتحميل الإنسان مسؤولية أعماله كلّها.

هذه الخبرة هي أيضاً التي دفعتني إلى أن أقرّ بعجزني في فهم حقيقة الله، وفي رفض مفهوم الناس التقليدي له، وإلى الدعوة إلى إلغاء الأديان والشرائع المسمّاة سماوية، وإلى رفض اتباع نبيٍّ أو رسول، وإلى نزعة الدفاع عن الله الذي يفترض أن يدافع هو عني.

وهذا الاختبار الشخصي أيضاً هو الذي أوحى إليّ بالدور المميز، الذي جاء به يسوع المسيح من أجل خلاص العالم كلّهُ، وتحريره، وتقديسه، والعمل على إدخاله في ملكوت الله وإشراكه بالحياة الإلهية والاتحاد بالله.

هذا الدِّينَ الذي أُنْتَفَضُ اليومَ عليه، لا أعتبره، كما اعتبره ماركس «أفيون الشعوب» فأكون كافراً. ولا أعتبره أيضاً «من صنع الله»، كما يقول المتدينون فأكون أسراً لله في جدران عقلي؛ أو كما هو حاله في القرآن، في مثل قوله عن الإسلام: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ»^(١)، وقوله: «رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً»^(٢)، وقوله: «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ»^(٣)، وقوله: «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ»^(٤)، إلى غير ذلك من أقوال أرفضها وأرفض الله نفسه بسببها...

وكذلك أيضاً لا أعتبر الدين مجموعة حقائق وعقائد وشرائع منزلة، ثابتة، جامدة، لا تتغير ولا تتطور، جاء بها رسولٌ أو نبيٌّ من عند الله، كما يقول بذلك المتدينون...
إنَّما الدِّينَ، بالنسبة إليَّ اليوم، هو مرحلة من مراحل تطوُّر الإنسان في التاريخ، أو هو مجموعة مسلَّمات ومعتقدات، لا بدَّ منها، ليبنى الإنسانُ عليها حياته.

(١) القرآن، سورة آل عمران ١٩/٣.

(٢) سورة المائدة ٣/٥.

(٣) سورة آل عمران ٨٥/٣.

(٤) سورة الأنعام ١٢٥/٦.

لهذا، فالدين يحمل اختبارات الإنسان المتواصلة عبر التاريخ؛ والإنسان، بهذه الاختبارات، غنيٌّ جداً، ولكن ليس إلى حدِّ الاكتفاء بها والجمود عندها؛ فعليه بالتالي، ألا يقف ويستريح؛ وألا يقول كفى، ويطمئن؛ وألا يقول أيضاً: لقد تمَّ كلُّ شيءٍ واكتمل، فتجمد عندئذٍ الحياة، ويجمد الله والإنسان معها، ويجمد التاريخ.

وأثني على قول كاتب كويتي بأنَّ على «الإنسان أن يمتلك الجرأة والشجاعة والوعي لنقد أية مرحلة في حياته، سواء أكانت جيّدة أم رديئة، ولستُ من الذين يساومون على حريّتي وقراري وإنسانيّتي وفكري... فالإنسان في النهاية مسؤول عن قراره واختباره وحياته وإرادته...»^(٥).

لهذا، فأنا اليوم، لا أدين الدين ولا أشتمه؛ ولا أقول بأنّه لم يقدّم للتاريخ أعمالاً مجيدة في مجالات الفكر والأدب والفنّ والروائع الإنسانيّة...

ومع هذا، يجب عليّ، أقلّه، ألاّ اتّهم الله بصنعه، وأدخله في إنجازاته. فالله الذي أعرفه، وأعبده، وأحبه، وأحيا به وفيه ومعه، بريء من صنع كلِّ دين...

(٥) موقع «الناقد»، تجربتي مع الايديولوجيات الدينيّة (١)، بقلم محمود كرم، كاتب

هكذا فهم الناس علاقتهم بالله، واعتبروه صانعاً للاديان، وباعثاً للأنبياء، ومنزلاً عليهم الكتب، ومحدداً لهم العقائد، وسائناً الشرائع... إنَّ الله بريء من كلِّ ذلك، وعلى الإنسان أن يبرئ الله ممَّا نُسب إليه من أديان، مؤتلفة كانت أم مختلفة، متحاوره أم متقاتلة، سماوية أم أرضية... الله بريء منها كلّها...

مهمّتي في هذا البحث، إذاً، لن تكون أكثر من تبرئة الله منها جميعها، ومن تحرير الإنسان منها ومن كلّ تنزيل وتشريع وجمود.

وأما إيماني أنا فأقول فيه : إنَّ الله، كما تُعلّم المسيحية وتقول، ليس إلّا مخلصاً، أي مخلصاً الإنسان، كلّ إنسان أولاً، ثمّ مخلصاً حرّية الإنسان ثانياً. ولا يجب، ولا يحقّ لنا، ولا يمكننا أن نعرف شيئاً عنه، سوى أنّه يريد خلاص الإنسان وتحريره من كلّ ما يقيده ويكبّل حرّيته.

بذلك عُرف الله في المسيحية، بواسطة شخص اسمه "يسوع المسيح" الذي يعني اسمه المخلص. ولهذا فهي تنتسب إليه وتُسمّى باسمه، وتتشبه به، وتدعو دعوته، وتقدّس سيرته، وتقتدي بسلوكه، وتشاركه حياته الإلهية، وتتّحد به إلى آخر حدود الوحدة والاتّحاد...

فيسوع، في المسيحية إذاً، ليس مؤسس دين، ولا راباناً يهودياً، ولا كاتب إنجيل، ولا باعث رسائل، ولا حكيمًا كالحكماء، ولا زعيمًا كالزعماء، ولا قائد حركة سياسية أو اجتماعية، ولا واضع قوانين وشرائع، ولا مرسلًا رسلاً وأنبياء... ولا أتبعه لكونه نبياً، أو ملاكاً، أو صاحب رؤيا، أو مجترح عجائب، أو صانع معجزات عجيبة غريبة، يعجز عنها البشر... إنّما يسوع المسيح هو **مُخْلَصُ** **الإنسان** فحسب. هكذا يعني اسمه. وهذه هي مهمته ورسالته من أولها إلى آخرها.

هو **مُخْلَصُ الإنسان**، لا من خطيئة آدم، أو ممّا صنع آدم، كما تقول الأديان؛ بل **مُخْلَصُ الإنسان** من شرائع وعقائد ومحرمات وممنوعات، وضعها الإنسان على نفسه باسم الله، فقيّد بها حرّيته التي جاء المسيح ليخلصها من سلاسلها وقيودها، كما قيّد بها الله نفسه فاتّهمه بما اتّهمه به من صنع أديان ومذاهب مختلفة ومتناحرة.

هكذا فهم الرسل والتلاميذ مهمة معلّمهم، وهكذا كتب الإنجيليون والذين عرفوه. وهذه هي رسالة يسوع الأساسية، ودوره الإلهي، ومهمته الوحيدة. ولكأنّ المسيح جاء، أولاً وآخرًا، وقبل كلّ شيء، لينقّض ما جاء به

السابقون الذين أذلّوا الإنسانَ وقيدوه وكبّلوه بسلاسل حديدية، وجمّدوه بما رسموا له من نواميس وشرائع...

وها أنذا أستعرض أولاً، رسالة المسيح الخلاصية هذه كما رواها الإنجيليون والرسل؛ وأتوقّف ثانياً، عند تبرئة الله تبرئة نهائية، ممّا اتّهمه به البشر، لدعم خلافاتهم وسخافاتهم بحجج عقلانية واهية.

ويجب عليّ أخيراً أن أقول: لو لم أجد يسوع، والإنجيليين، وبولس، والكثير من آباء الكنيسة ولاهوتييها جريئين على تبرئة الله هذه، لما تجرّأت أنا على السير في هذا الاتجاه، وعلى تبني هذا الموقف الذي يلامس الكفر.

أكاد أقول، نتيجة لما توصلت إليه، إنّ يسوع نفسه كان أوّل الرافضين للأديان والشرائع ولـ «ما قيل لكم...» وعليّ الآن أن أبين ذلك بالتفصيل والتبسيط، ولو كان في ذلك تكرار وترداد، إذ المطلوب، من التكرار والترداد، إظهار أهميّة الموضوع الذي أتجرّأ على معالجته، ابتداءً من الإنجيل الأوّل وما توقّف عليه من أحداث في حياة يسوع، وانتهاءً بقناعات لاهوتية شخصية، استناداً إلى تعاليم آباء الكنيسة وأئمة الفكر في التاريخ.

القسم الأول

موقف يسوع من اليهودية

- ١ . موقف يسوع في إنجيل متى
- ٢ . موقف يسوع في إنجيل مرقس
- ٣ . موقف يسوع في إنجيل لوقا
- ٤ . موقف يسوع في إنجيل يوحنا
- ٥ . موقف يسوع في أعمال الرسل
- ٦ . موقف يسوع في رسائل بولس

الفصل الأول

يسوع في إنجيل متى

يشدّد متى، في إنجيله، على موقف يسوع الرافض للتوراة، ولرؤساء اليهود والأخبار ولتعاليمهم وتقاليدهم. وقد اختزل متى موقف يسوع هذا بكلام واضح وضع فيه يسوع بمواجهة موسى، فتوجّه إلى سامعيه في قول صريح : « قيل لكم... أمّا أنا فأقول لكم... » (متى ١١/٢ - ١٣/٥٢).

وردّد هذا الكلام مراراً، وبرهن بالحجج والوقائع موقفه الرافض هذا. إنّه موقف واضح ثائر. موقف فيه، كما يفسّر شراح إونجلّيون^(١)، "أحداثٌ تُظهر سرّ ملكوت

(١) الذين لمسنا جرأتهم في إبداء رأيهم وإظهار مواقف المسيح البالغة الجرأة. وسنعمد على تفسيراتهم وشروحهم في بحثنا هذا.

يسوع الخفيّ، الغريب عن منطق الفريسيين والكتبة والرؤساء، وعن أغنياء خورزّين وبيت صيدا وكفرناحوم، وعن المعمدان نفسه " (٢).

وكذلك أيضاً، يبيّن يسوع في متى رذلَ الله اليهود، واختياره شعباً جديداً، وذلك في " جدالات يسوع الخمسة مع الرؤساء حول سلطته الإلهية... وأمثال يسوع الأخيرة الأربعة، حيث يبيّن رذله الشعب القديم، واختياره شعباً جديداً، هو كلّ شعوب الأرض ".

وكذلك، يشدّد يسوع في متى على " الولايات السبعة الموجهة إلى رياء الكتبة والفريسيين ".

وفي " نداء خطير يائس إلى أورشليم، يدعوها به يسوع إلى التوبة، ويهددها بالدمار " (٣).

" وتتبع كلّ هذه الأحداث خطبةً خامسة (متى ٢٤-٢٥)، وخطبة النهايات، حيث يُنذر يسوع بدمار الهيكل، وقيام كنيسته على أنقاض الشعب اليهودي القديم، ويتكلّم على يوم الدين، ومجيء الملكوت النهائي " (٤).

(٢) إونجليون، ترجمة كلّية اللاهوت الحبرية، حاشية على متى ١١/٢-١٣/٥٢.

(٣) المرجع السابق ذاته.

(٤) المرجع السابق ذاته، ص ٣٨-٣٩.

في إنجيل متى أيضاً، وفي كل فصل منه، فكرة رئيسية، وهي أنّ "العهد الجديد لم يكن جديداً لو لم ينقض العهد القديم ويتفوّق عليه، أي يتخطّاه، ويبني عليه، ويكمّله" (٥).

لقد "كان اليهود يتوقّعون ملكاً زمنياً يحرّر شعبه سياسياً، ويحكمه، فإذا بيسوع يأتي يبشّر بملكوت روحي يحرّر الإنسان من الخطيئة، ويعدّه لنعيم أبديّ. بشّر يسوع شعبه بملكوت غير ملكوتهم، فإذا هو سبب شكّ، وحجر عثرة، وتحول كل شيء إلى مأساة.

"فيسوع، إذاً، هو موسى الجديد، النبيّ والمعلّم ومخلّص شعبه المختار، ولكنّه أعظم من موسى، لأنّه هو ابن الله، ومخلّص جميع البشر" (٦).

ويملاً الخلاص، الذي جاء يسوع من أجله، إنجيل متى من أوّله إلى آخره. من البدء، يقول متى إنّ اسم يسوع يعني المخلّص: قال الملاك ليوسف خطيب مريم (١/ ٢١): «ستلدُ ابناً، فسمّه يسوع، لأنّه يخلّص شعبه من خطاياها».

(٥) المرجع السابق ذاته، ص ٣٩.

(٦) المرجع السابق ذاته، ص ٤١.

ومن البداية أيضاً يكشف متى عن مدى رفض
الرؤساء اليهود ليسوع وتعاليمه، فيعلن في إنجيله أن :
١ . هيرودوس « جمع كلُّ الأحرار وكتبه الشعب »
(٢/٤).

أي جمع " المسؤولين الروحيين" ^(٧) عن شعب التوراة،

(٧) أي **الأحرار**، وهم من عائلات أورشليم الكهنوتية الشريفة، وكان الكتبة علماء التوراة، ومعظمهم فريسيون. وكان الأحرار والكتبة أعضاء في المجلس الكبير. **والفريسيون** حزب يهودي ديني سياسي. ظهر في عهد الملك يوحنا هيركانوس (١٣٥-١٠٥ ق.م). قوى نفوذ الفريسيين، فأصبحوا قادة اليهود، في حياتهم الدينية والروحية، ولا سيما بعد أن هُدم الهيكل سنة ٧٠ ب.م. يسلم الفريسيون بسلطة توراة موسى المكتوبة، وبجميع الأسفار المقدسة، ويأخذون بجميع التفاسير، والتعاليم الشفهية، وتقاليد الأقدمين، ويؤمن الفريسيون بخلود النفس، وقيامة الأجساد، والثواب والعقاب، ووجود الأرواح (ر: رسل ٨/٢٣). كان الفريسيون، أول عهدهم، أنبل الناس خلقاً، وأصفاهم ديناً، ولكن سرعان ما داخل معظمهم العُجب والرياء، حتى صار اسم فريسي مرادفاً لمُراءٍ. ولذلك وبّخهم المسيح وانتقدهم، فكان لهم في المؤامرة على حياته دورٌ بارز. إنّما بقي في صفوفهم أفراد مخلصون، أمثال نيقوديم، وجمليثيل، وبولس الرسول قبل اهتدائه. وكان عدد الفريسيّين، أيام المسيح، نحو ستة آلاف شخص.

الصدوقيون : حزب يهودي، خصم للفريسيّين. هم دون الفريسيّين عدداً، ولكنهم أرقى ثقافة، وأوفر غنى، وأسمى مرتبة، وإليه انتمى الأحرار والأرستقراطية الكهنوتية. يسلم الصدوقيون بسلطة التوراة المكتوبة، والأسفار المقدسة، ويرفضون التفسيرات، والتعاليم الشفهية، والتقاليد، ويُنكرون القدر، وخلود النفس، وقيامة الأجساد، والثواب والعقاب، ووجود الأرواح. زج الصدوقيون أنفسهم في السياسة، بل قدّموا الاعتبارات السياسية على الاعتبارات الدينية، وأقبلوا على الثقافة اليونانية. كان منهم رئيسا الأحرار حننيا وقيافا. وحذر يسوع تلاميذه من تعاليمهم. وكان لهم في المؤامرة على حياته باع طويل (حاشية إونجليون على متى ٣/٧؛ ر:

والمسؤولين عن رفض هذا الشعب ليسوع، وعن مأساة حياته وآلامه وموته. جمعهم ليقول لهم إِنَّ تعاليم يسوع تهدّدهم وتهدّد توراتهم، وقد تقضي عليهم.

٢ . قيل لكم (٥ / ٢١ - ٤٤) يقول يسوع: «٢١. سمعتم ما قيل لأبائكم الأولين: لا تقتل، ومَنْ قتل دانه القضاء. أمّا أنا فأقول لكم...».

ويقول: ٢٧. سمعتم ما قيل: لا تزني. أمّا أنا فأقول لكم: مَنْ نظر إلى امرأةٍ نظرةً هوى فيها في قلبه زنى.

ويقول: ٣٣. وسمعتم ما قيل لأبائكم الأولين: لا تحنّث في يمينك بل فِ بها للربّ. أمّا أنا فأقول لكم...

ويقول: ٣٨. سمعتم ما قيل: عين بعين، وسنّ بسنّ. أمّا أنا فأقول لكم: مَنْ لطم خدّك الأيمن فأدير له الآخر..

ويقول: ٤٣. سمعتم ما قيل: أحبّ قريبك وأبغض عدوك. أمّا أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم...».

أتصوّر يسوع وموسى على قمّتي جبلٍ متقابلين يتبادلان الكلام كرجمٍ صواريخ. ولكلّ منهما كلام وموقف

ينقض كلام الآخر وموقفه. فلكنَّ يسوع شاء بهذا الكلام الانتهاء من شريعة موسى والحد منها، ومن سيطرتها على حرية الإنسان وإرادته. إنها تعاليم ينقض بها يسوع تعاليم التوراة بوضوح.

٣ . رئيس الأبالسة (٣٤ / ٩) يقول متّى: «أما الفريسيّون فكانوا يقولون: إنه برئيس الأبالسة يطرد الأبالسة».

كلام الفريسيّين هذا يؤذي يسوع في صميم رسالته، هو الذي جاء ليقضي على الأبالسة وأعوانهم، ليخلص الإنسان منهم، فكيف بهم يحشرونه بينهم؟!

٤ . الأصغر في الملكوت (١١ / ١١) قال يسوع «... ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه»، أي من يوحنا المعمدان.

تفسير ذلك، كما جاء في حاشية إونجليون: "فاق المعمدان الآباء والأنبياء، لأنّه أعدّ مباشرةً لمجيء ملكوت الله. ولكنّه لم يدخل الملكوت؛ فظلّ من أبناء العهد القديم؛ ودون أصغر مؤمنٍ بيسوع : لا يقاس العهد القديم، الذي ختمه المعمدان بالعهد الجديد الذي بدأه يسوع " .

٥ . وحده الابن يعرف الآب (٢٧ / ١١) قال يسوع:
«أتاني أبي كل شيء. فما من أحدٍ يعرف الابنَ إلا الآب. وما
من أحدٍ يعرف الآب إلا الابن، ومن يشاء الابنُ كشفه له».

هذا يعني أن لا أحد ممّن سبق يسوع، من أنبياء
ورسل، عرف الله، كما عرفه يسوع وعرف عنه. والمسيحيّ
مسيحيّ لأنّه يعرف الله من خلال يسوع المسيح. ولا يحقّ
له أن يعرف الله إلا من هذه الطريق. لهذا فهو مسيحيّ، لا
«إلهيّ»؛ أي ينتسب إلى المسيح الذي يعرفه، لا إلى الله الذي
لا يعرفه، ولا يمكن أن يعرفه. فلنأخذ إله يسوع غير إله
موسى والتوراة؛ وهو حقّاً كذلك، ومن أجل ذلك جاء
يسوع.

٦ . التلاميذ وحرمة السبت (١٢ / ١-٨) قال متى:

«١. في ذلك الزمان، في أحد السبوت، جاز يسوع
بالزروع. وجاء تلاميذه، فأخذوا يقطفون سنابلَ ويأكلون.
٢. ورآهم الفرّيسيّون فقالوا ليسوع: ها هم تلاميذك
يفعلون ما لا يجوز فعله في سبت. ٣. قال يسوع: أما
قرأتم ما فعل داود وصحبُه حين جاعوا، ٤. كيف دخل بيتَ
الله، وكيف أكل خبزَ التقدمة وأكلوا، وأكله لا يجوز له، ولا

لهم، بل للكهنة وحدهم. ٥. أو ما قرأتم في التوراة أن الكهنة، أيام السبت، يَنْتَهِكُونَ في الهيكل حُرْمَةَ السبت، وليس عليهم حَرْج؟ ٦. وأقول لكم: إنَّ ما هنا لأعظم من الهيكل! ٧. ولو فهِمْتُمْ ما معنى: أريد رحمة، لا ذبيحة! لما حكمتكم على من ليس عليهم حَرْج. ٨. لَرَبُّ السبتِ ابنُ الإنسانِ».

هذا كلام واضح، وموقف جريء جداً من شريعة مقدّسة يقول بها اليهود في توراتهم، وهي شريعة السبت التي اتُّهم الله بتنزيلها. ويسوع، في هذا الكلام، لا يَرَعَى حُرْمَةَ السبت، لا هو ولا تلاميذه^(٨). لذلك "تكثر الجدالات في شريعة السبت"^(٩)؛ وفيها يظهر سلطان يسوع على الشريعة عامّة، وعلى شريعة السبت، كما يفهمها الفرّيسيّون، بنوعٍ خاصّ".

هذا بالإضافة إلى أنّ الرحمة التي فضّلها يسوع على الذبيحة، إنّما هي شرعة العهد الجديد؛ فيما الذبيحة هي شرعة العهد القديم. والرحمة أعظم من الشريعة.

(٨) ر: مر ٣/٦-٦؛ لو ٦/١١.

(٩) ر: متى ١٢/٩-١٤؛ لو ١٠/٣-١٧؛ ١٤/١-٦؛ يو ٥/١-١٨؛ ٧/١٩-٢٤.

وكذلك أيضاً، اعتبر يسوع أنَّ الحفاظَ على كرامة الإنسان أولى من الحفاظ على شريعة السبت. ويسوع مع الإنسان لا مع الشريعة، وجاء من أجل محبة الإنسان لا من أجل تطبيق الشريعة، حتّى ولو كانت الشريعة منزلة من عند الله.

٧. يسوع وحرمة السبت (١٢/٩-١٤) يقول متى: «٩. ثمّ انتقل (يسوع) إلى مجمعهم، ١٠. فوافاه إنسانٌ أشلّ. فسألَ الفرّيسيّون يسوعَ: أيجوزُ الشفاء في السبت. سألوهُ لكي يشكوه. قال يسوع: مَنْ منكم تكون له نعجةٌ واحدة، وتقع سبّتها في حفرة، فلا يُمسكها، ويُقيمها؟ ١٢. وكم الإنسانُ أفضلُ من نَعجة! ففعلَ الخير إذا جازَّ في السبت. ١٣. ثمّ قال للإنسان: مُدّ يدك. ومدّها. فعادتُ كهَيْئَتِها صحيحةً كاليد الأخرى. ١٤. فخرج الفرّيسيّون وتشاوروا كيف يَقضونَ على يسوع».

مرّةً أخرى يفضّل يسوع محبة الإنسان على حفظ شريعة السبت، حتّى ولو كانت منزلةً من عند الله. فلكأنّ يسوع صنع ما صنع نكاية بشريعة السبت وبالقيّمين عليها، بسبب محبّته للإنسان، التي تتفوّق على شريعة

السبت وعلى كلّ شريعة، أنزلها موسى والأنبياء، جعلت الإنسان خادماً للشريعة.

٨ . يسوع والفريسيّون ورئيس الأبالسة (١٢ / ٢٤) يكمل متى قائلاً: «وسمع الفريسيّون، فقالوا: إنّما يطردُّ هذا الرجلُ الأبالسة ببعْل زبول، برئيس الأبالسة»...

إنّها تهمة قاسية في حقّ مَنْ لا يعلم تعاليم الأخبار والرؤساء. ويسوع الذي جاء ليخلص الإنسان من الأبالسة، ومما تسبّب به من عذابات وعداوات وأمراض، هو يخلصه الآن ممّا جاءت به التوراة من شرائع وتقاليده أثقلت كاهل الإنسان الذي خلقه الله حرّاً. هذه أخذ بها اليهود وقدسوها، فجعلوا الأبالسة تسيطر عليهم.

٩ . فريسيّون يطلبون آية (١٢ / ٣٨) «كلم كتبة وفريسيّون يسوع قالوا: يا معلّم، نريد أن نرى منك آية. فقال لهم: جيلٌ شريرٌ زانٍ يلجُ في طلب آية...».

فاليهود، بنظر يسوع، كانوا "يتوقّعون مسيحاً يأتي بآيات كونيّة خارقة يثبت بها رسالته، ولكن يسوع أبى أن يأتي بمثل تلك الآيات، وأحال سائله على آية موته وقيامته، معبراً عنها بآية يونان، وبالثلاثة الأيام، والثلاث

الليالي " .. ليست الآيات التي يطلبها اليهود من يسوع، مقابل آية موته وقيامته، تعني شيئاً.

١٠ . تقاليد السلف (١٥ / ١ - ٩) قال متى: «١. دنا إلى يسوع فرّيسيون من اورشليم وكتبة، وقالوا له: ٢. لِمَ يَخْرُقُ تلاميذك تقاليد السلف، فلا يَغْسِلُونَ أيديهم، إذا ما أكلوا خبزاً؟ ٣. قال يسوع: وأنتم، لِمَ تَخْرُقُونَ وصية الله بتقاليدكم؟ ٦. فبتقاليدكم أبطلتم كلمة الله».

تَقَالِيدُ السَّلف هي تفسيرات التوراة، التي بدأت شفهيّة، ثمّ دُوِّنَتْ في القرن الثاني المسيحيّ، كما هي واردة في الميشنا والتلمود. أهمّ هذه التفسيرات يُعْنَى بالغسل الذي تفرضه التوراة (أح ١١-١٦)، وبالطهارة الجسديّة والروحيّة. أشار بولس الرسول إلى هذه التقاليد^(١٠)، وهي قد أثقلت مناكب الناس، وأصبح العمل بها ضرباً من المُحال^(١١)... لقد جاء يسوع ونقضها كلّها.

١١ . الطاهر والنّجس (١٥ / ١٠ - ٢٠) يقول متى: «١٠. ودعا (يسوع) إليه الجمْع، وقال: اسمَعُوا وعُوا! ١١.

(١٠) غل ١ / ١٤؛ قول ٨ / ٢ و ٢٢.

(١١) ر: ٢٣ / ٤ و ١٣؛ لو ١١ / ٤٦ و ٥٢؛ رسل ١٥ / ١٠.

لَا يُنْجَسُ الْإِنْسَانُ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ، بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْفَمِ
يُنْجَسُ الْإِنْسَانُ. ١٢. عندها دنا التلاميذ، وقالوا: «أَتَظُنُّ أَنَّ
الْفَرِيسِيِّينَ زَلُّوا إِذَا سَمِعُوا هَذَا الْكَلَامَ؟» ١٤. دعوهم! إِنَّهُمْ
لَعُمَيَّانِ، قَادَةُ عُمَيَّانَ، وَإِنْ قَادَ الْأَعْمَى أَعْمَى فَكِلَاهُمَا فِي
حَفْرَةٍ يَقَعَانِ».

لقد كان الفريسيون يطلبون آية خاصة من الله
برهاناً على صدق رسالة يسوع. ويسوع قد أتى بآيات
كثيرة، ولكنهم لم يؤمنوا به. لذلك يقول متى: «ودنا
الفريسيون والصدوقيون يمتحنون يسوع، فسألوه أَنْ
يُرِيَهُمْ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ. فَقَالَ فِيهِمْ يَسُوعُ مَا قَالَ: إِنَّهُمْ جِيلٌ
شَرِيرٌ زَانٍ»^(١٢). وهو كلام يدل على امتعاض يسوع منهم
وعلى رفضه إياهم وتعاليمهم.

١٢. خمير الفريسيين والصدوقيين (١٦/٥-١٢)

جاء في متى: «٥. ونسي التلاميذ، في عبورهم إلى الضفة
الأخرى، فما تزودوا خبزاً. ٦. وقال لهم يسوع: تَنَقُّظُوا
وَاحْذَرُوا خَمِيرَ الْفَرِيسِيِّينَ وَالصَّدُوقِيِّينَ... ١١. أَلَا احْذَرُوا
خَمِيرَ الْفَرِيسِيِّينَ وَالصَّدُوقِيِّينَ»^(١٣).

(١٢) رَ: متى ١٦/٤-١٢/٣٨-٣٩؛ مر ٨/١١-١٣؛ لو ١١/١٦ و ١٢/٢٩-٥٤-٥٥

(١٣) متى ١٦/٢٥-١٢؛ مر ٨/١٤-٢١؛ يو ١٢/٦-١.

لقد جمع يسوع بين الفريسيين والصدوقيين، وهما فئتان دينيتان متخاصمتان في شأن أمور دينية كثيرة، واعتبرهما فاسدين، وحذر منهما لخبثهما وريائهما. كلاهما من خميرة واحدة، يتفقان في إفساد المجتمع بالرغم من اختلافهما. فلهذا، لن يسلم يسوع من شرهما. كلاهما سيشتركان، بالرغم من اختلافهما، في الحكم عليه وقتله. وهما أيضاً لن يسلما من رفض يسوع إياهما وتعاليمهما.

١٣ . يسوع يُنبئ بآلامه وموته وقيامته (٢١ / ١٦)

قال متى: «مُذْ ذَاكَ، بدأ يسوع المسيح يُري تلاميذه أن عليه أن يذهب إلى أورشليم، ويعاني آلاماً كثيرة على أيدي الشيوخ والأحبار والكتبة، ويُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم».

وكذلك ينبئ يسوع ثالثاً بآلامه وموته وقيامته، كما

جاء في (متى ٢٠ / ١٧-١٩). يقول: «بينا كان يسوع صاعداً إلى أورشليم خلا بالاثني عشر في الطريق، وقال لهم: ها نحن صاعدون إلى أورشليم، وسيُسلم ابن الإنسان إلى الأحبار والكتبة، فيحكمون عليه بالموت، ويُسلمونه إلى الأمم لتُسخر منه، وتُجلده، وتصلبه. وفي اليوم الثالث يقوم».

لقد كان يسوع يعرف مسبقاً بأن هلاكه المحتّم سيكون على أيدي هؤلاء الأحرار والرؤساء والكتبة. سيحكمون عليه بالموت. ذاك لأنّ سلوكه ومواقفه وتعاليمه كانت على طرفي نقيض من سلوكهم ومواقفهم وتعاليمهم. فالحكم عليه، باسم التوراة، أي باسم الله والدين، كان لا بدّ منه، لأنّ يسوع أعلن نفسه عدوّاً لدوداً لتعاليمهم وتوراتهم وشرائعهم المنافية لمحبة الإنسان وحقوقه. هذه التي ناضل يسوع ومات من أجلها.

١٤ . باعة الهيكل (٢١/١٢-١٧) يقول متى: «١٢. ودخل يسوع الهيكل، وطرد منه كلّ الباعة والشراة، وقلبَ مناضد الصّيارفة، ومقاعد باعة الحمام.. ١٤. ودنا منه، في الهيكل، عُميانٌ وعُرجان، فشفاهم. ١٥. اغتاز الأحرارُ والكتبة، إذ رأوا العجائب التي أتى بها يسوع، والصّبّية الذين يهتفون في الهيكل: "هوشعنا لابن داود».

مرّة أخرى يشير متى إلى غضب الكتبة والأحرار على يسوع بسبب العجائب التي يأتيها. لقد غضب يسوع عليهم، واتّهمهم بالتجارة وجمع المال. أمّا المساكين والفقراء والمحتاجون والمرضى فكانوا معه ضدّ هؤلاء الرؤساء.

ثمَّ إِنَّ كُلَّ مَا قَامَ بِهِ يَسُوعَ، كَانَ عَكْسَ مَا كَانَ يَقُومُ بِهِ الْيَهُودُ وَأَحْبَارُهُمْ وَرُؤَسَاؤُهُمْ. لِذَلِكَ رَفَضَهُمْ يَسُوعَ وَرَفَضُوهُ.

١٥. التُّينَةُ الْيَابِسَةُ (٢١/١٨-٢٢) «١٩. وَرَأَى (يَسُوعَ) بِالْقَرَبِ مِنَ الطَّرِيقِ تِينَةً، فَدَنَا مِنْهَا، وَلَمْ يَجِدْ عَلَيْهَا سَوًى وَرَقٍ، فَقَالَ لَهَا: لَا أَثْمَرْتِ إِلَى الْأَبَدِ! فَيَبِسَتْ لَوَقْتِهَا. ٢٠. وَرَأَى التَّلَامِيزُ ذَلِكَ فَتَعَجَّبُوا».

التينة، بحسب إنجيليون، "هي رمز الشعب الذي لم يؤمن بيسوع". فيه إنذار بدمار أورشليم وهيكلها، وفيه أيضاً نبذٌ للشعب الذي لم يؤمن، ورفض لتعاليمهم وتقاليدهم.

١٦. بَايَ سُلْطَانٍ؟ (٢١/٢٣) يقول متى: «وبعدما دخل يسوع الهيكل، وأخذ يعلم، دنا منه الأحبار وشيوخُ الشعب، وقالوا له: بَايَ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ؟ وَمَنْ آتَاكَ هَذَا السُّلْطَانُ؟».

يريد الأحبار أن ينكروا على يسوع سلطانه؛ وهو ليس من طبقة اللاويين، ولا من الأحبار. ولا أحد من قبل الله أعطاه إياه. هكذا يريدون أن يذلّوه أمام الناس الذين

تَجَمَّعُوا حَوْلِيهِ، وَأَحَبُّوهُ، وَارْتَاخُوا لَهُ عِنْدَمَا رَاح يَخْفَفُ عَنْهُمْ أَثْقَالُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي اتَّهَمُوا اللَّهَ بِهَا. وَيَسُوعُ كَانَ قَدْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ حَتَّى مَعْرِفَةِ اللَّهِ.

"السؤال عن سلطان يسوع سؤال خطير^(١٤)، وهو سؤال عن مصدره: أمن الله أم من الشيطان أم من الناس أم من يسوع نفسه؟ جواب يسوع بسؤال عن يوحنا المعمدان ليس تهرّباً، بل إحراج للأحبار والشيوخ: الشعب آمن بيوحنا، وهم لم يؤمنوا، فكيف يسعهم بعد أن يؤمنوا بيسوع؟!".

١٧. ملكوت الله يُنَزَعُ مِنْكُمْ (٢١/٤٣-٤٦) «٤٣».. لهذا أقول لكم: ملكوت الله يُنَزَعُ مِنْكُمْ، وَيُعْطَى أُمَّةً يُثْمِرُ عَلَى يَدَيْهَا.. ٤٥. فلَمَّا سَمِعَ الْأَحْبَارُ وَالْفَرِيسِيُّونَ أَمْثَالَ يَسُوعَ، أَدْرَكُوا أَنَّهُ كَانَ يَعْنِيهِمْ بِكَلَامِهِ، ٤٦. وَسَعَوْا لِيُמَسْكُوهُ. وَلَكِنَّهُمْ خَافُوا الْجَمْعَ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَرَى فِيهِ نَبِيًّا^(١٥).

أن يُنَزَعَ ملكوت الله من اليهود فهذا أمر لا يُطِيقُه

(١٤) رَنَّاى ٧/٢٩؛ ٨/١٠؛ ٩/٦؛ ٢٨/١٨.

(١٥) (متى ٢١/٣٣-٤٦؛ مر ١٢/١-١٢؛ لو ١٩/٩-٢٠). رَ: رو ١١/١١؛ متى ١٤/

٥؛ ٢١/٢٦؛ متى ١٦/١٤؛ ٢١/١١؛ لو ١٦/٧؛ ١٩/٢٤؛ يو ٤/١٩؛ ٩/١٧

يهودي... وإذا كان الأمر هكذا، فمن هم شعب الله المختار إذا؟ ومن هم الذين يستحقّون هذا الملكوت؟ ولمن أعطي في الأصل؟ إنه تهديد خطر جداً، يُطلقه يسوع على اليهود الذين لم يسمحوا لغيرهم بدخول هذا الملكوت، لأنّه، في رأيهم، وجد لهم وحدهم؛ ولا حظّ فيه لغيرهم.

١٨. ما لقيصر إلى قيصر (٢٢/١٥-١٨) قال متى «١٥. عندئذٍ مضى الفرّيسيّون، وتشاوروا كيف يصطادون يسوع بكلمة. ١٦. ثمّ أرسلوا إليه تلاميذهم وأشياعَ هيرودس يقولون: عهدناك صادقاً، يا معلم، تُعلّم بالصّدق ما طريقُ الله، ولا تُحابي أحداً، لأنّك لا تُراعي مقامات؛ ١٧. فقل لنا ما ترى: أيجوز أداءُ جزيةٍ إلى قيصر أم لا؟ ١٨. وعرف يسوع مكرهم فقال: لِمَ هذه الأحابيل، أيّها المراءون؟»^(١٦).

لقد أشرك الأُخبار معهم، في اصطِياد يسوع، أتباعَ هيرودس، أو أشياعه، وهم، بالإضافة إلى الكتبة والفرّيسيّين، قادة الشعب جميعهم الذين تحاملوا على يسوع. وهي أنجح طريقة في الحكم عليه، بعدما حاولوا

(١٦) متى ٢٢/١٥-١٦؛ ر: مر ٣/٦؛ لو ١١/٥٤.

استمالته إليهم بغشٍّ ومكر، بقولهم: عهدناك صادقاً، تُعلم بالصدق، ولا تحابي إنساناً، لأنك لا تراعي مقامات.. إلا أن يسوع عرف مكرهم وغشهم. وهم أيضاً عرفوا كيف يتحينون الفرصة للقبض عليه، فأشركوا معهم أتباع هيرودس، كغطاء لعملهم الإجرامي.

١٩. إحدروا الكتبَ والفريسيين (٢٣/١-٧) «١»

وخطب يسوع في الجموع وتلاميذه، ٢. قال: «في سدة موسى جلس الكتبُ والفريسيون، ٣. فافعلوا كل ما يقولونه لكم واحفظوا، ومثل أعمالهم لا تفعلوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون. ٤. أثقالاً يحزمون، وعلى مناكب الناس يلقون، وهم بإصبع تحريكها يابون. ٥. همهم أن يراهم الناس في كل ما يفعلون. تعاويزهم يعرضون، وأهداب الرداء يطيلون. ٦. يحبون أوائل المتكآت في الولايم، وصدور المجالس في الجامع، ٧. والتحيات في الساحات...»

في هذه الخطبة الجريئة يتهم يسوع الكتبَ والفريسيين بأنهم يقولون ولا يفعلون، وبأنهم يحملون الناس أحمالاً ثقيلة، وهم لا يمسونها. هذه الأحمال هي،

كما يقول إنجيليون، "تفاسيرهم الضيقة للتوراة، التي لا تُطاق، ولا يُعمل بها". يهتمّون بالظاهر دون الباطن؛ ويزاحمون الناس على المناصب العليا؛ ويحبّون التحيّات والألقاب.. وكلّ ذلك باسم الدّين... فكيف، والحال هذه، تستوي العلاقة بين يسوع وأحبار اليهود؟!

٢٠. الويل للفرّيسيّين والكتبة (٢٣/١٣-٣٦)
يقول لهم يسوع: «١٣. ويلكم، يا كتبة وفرّيسيّين مُرائين: تُغلقون ملكوت السماوات في وجهِ الناس، لا أنتم تدخلون، ولا تدعون الدّاخلين يدخلون.

١٤. ويلكم، يا كتبة وفرّيسيّين مُرائين: بيوت الأرامل تلتهمون، والصلاة دجلاً تُطيلون، فيا لصرامة عقابٍ سوف تُقاسون!

١٥. ويلكم، يا كتبة وفرّيسيّين مُرائين: تجوبون البحرَ والبرّ لِتُهودوا إنساناً، فإذا ما تهودَ صيرتُموه ابنَ جهنم ضِعْفَ ما أنتم.

١٦. ويلكم، يا قادة عُمياناً تقولون: مَنْ حلفَ بالهيكل فلا حرجَ، ومَنْ حلفَ بذَهَبِ الهيكل فهو مُلزمٌ^(١٧)..

(١٧) متى ١٥/١٤؛ ٢٣/٢٤؛ يو ٩/٣٨-٤١؛ روم ٢/١٩، «مَنْ حلفَ» نقدٌ لطريقة علماء

١٧. يا للحمقى العميان!.. ١٩. يا للعميان!..

٢٣. ويلكم، يا كتبة وفريسيين مُرائين: تُؤَدُّون
عشور النعنع والشومار والكمون^(١٨)، وتُهْمِلُونَ ما هو في
التوراة أخطر: العدل والرحمة والوفاء. وكان عليكم أن
تعملوا بهذا، ولا تُهْمِلُوا ذاك. ٢٤. يا للقادة العميان!
تُصَقِّونَ الشرابَ من البَعُوضِ، وتَبْلَعُونَ الجمل!

٢٥. ويلكم، يا كتبة وفريسيين مرائين: ظاهر الكأس
والصحنُ تُنَقُّونَ، وباطنُهما بَنُهَبٌ وَنَهَمٌ مَشْحُون. ٢٦. يا
فريسيًا أعمى، نقُّ باطن الكأسِ أَوَّلًا لِيَنقَى ظاهرُها أيضًا.

٢٧. ويلكم، يا كتبة وفريسيين مرائين: يا مَنْ
تُشَبِّهُونَ قبوراً مَجَصَّصَةً، ظاهرُها يبدو بهيًّا، وباطنُها
ركامُ رُفَاتٍ وأرجاس! ٢٨. لِمَثَلُهَا أَنْتُمْ! في الظاهرِ تَبْدُونَ
للناس أبراراً، وباطنكم مشحونٌ رياءً وإثمًا!

٢٩. ويلكم، يا كتبة وفريسيين مُرائين: مَدَافِنَ
الأنبياءِ تَبْنُونَ، وضرائح الصَّديقين تُزَخْرِفُونَ، ٣٠.

الناموس في حلِّهم من النذور: يدَّعون أنَّها تستند إلى توراة الله، وهي في الواقع
احتيال عليها».

(١٨) أمر موسى (تث ١٤/٢٢) بأداء العشور عمَّا تنبتة الأرض سنوياً، وغالى
الفريسيون فأمرُوا بأدائها عن أعشاب ضئيلة القيمة.

وتقولون: لو كنّا في أيّام آبائنا لما كنّا لهم في دم الأنبياء شركاء، ٣١. فإنّكم على أنفسكم تشهدون: لأنتم أبناء من قتلوا الأنبياء، ٣٢. فاملأوه كيل الآباء! (١٩).

٣٣. لحيات أنتم، سلالة أفاع، فكيف من عقاب جهنم تهربون؟ ٣٤. لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة، فتقتلون منهم وتصلبون، وفي مجامعكم تجلدون، ومن مدينة إلى مدينة تطاردون. ٣٥. فيقع عليكم كل ما سفك على الأرض من دم زكي، من دم هابيل البار إلى دم زكريّا بن برَكْيا، ذاك الذي قتلتم بين الهيكل والمذبح. ٣٦. الحق أقول لكم: سيقع كل هذا على هذا الجيل!.

من الصعب المستصعب، اختصار هذا الكلام الشامل الذي استوحى يسوع مضمونه من سلوك رؤساء اليهود وأحبارهم، الذين عرفهم معرفة عميقة وحقيقيّة. فأيّ شيء لم يقله عنهم، ولم ينعتهم به! إنهم حمقى، وعميان، وحيات، وسلالة أفاع. يقودون الناس إلى الهلاك. هم قتلّة، أبناء قتلّة. قتلوا الأنبياء في أقدس مكان على الأرض، أي «بين الهيكل والمذبح».

(١٩) آخر الويلات السبعة توجز تاريخ الخلاص: الفرّيسيّون سائرون على خطى آبائهم، قتلة المرسلين والأنبياء، قادمون على مقتل يسوع (٢١/٣٨-٣٩)،

ما عسى يكون مصير يسوع الذي نخع الأحرار
وهاجمهم، ولم يترك عليهم سترًا يستترهم؟!

٢١. المؤامرة على يسوع (٢٦/٣-٥) جاء في
متّى: «حينئذ اجتمع الأحرار وشيوخ الشعب في دار عظيم
الأحرار، المدعو قيافا^(٢٠)؛ وتشاوروا لكي يقبضوا بحيلة
على يسوع، ويقتلوه. ٥. على أنهم كانوا يقولون: لا في
العيد لئلا يقع في الشعب شغب».

لقد "كان الأحرار وشيوخ الشعب، كما يشرح
إنجيليون، قرّروا قتل يسوع بعد العيد، ولكنهم عادوا عن
قرارهم، وقتلوا يسوع في العيد، بسبب خيانة يهوذا"،
وبسبب أن يسوع لم يعد يُحتمل، والشرعية تقضي بقتله.
فلا بدّ، إذًا، من حيلة لكي ينفذوا ما تأمر به الشرعية.

إننا لا نستغرب إطلاقاً مصير يسوع هذا، ومسيرته
المحتمة نحو الصليب. فالأسباب باتت واضحة جداً، فيسوع
لم يترك على رؤساء الدين هؤلاء سترًا يستتر مكرهم
ورياءهم.

(٢٠) قيافا: ذو نفوذ في المجلس اليهودي. قام بدور كبير في الحكم على يسوع (متى
٥٧/٢٦؛ يو ١١/٤٩؛ ١٨/١٣)، وعلى الرسولين بطرس ويوحنا (رسل ٦/٤).

٢٢ . خيانة يهوذا (٢٦ / ١٤ - ١٦) قال متى: « ١٤ . عندئذ ذهب إلى الأحبار أحد الاثني عشر، الذي يدعى يهوذا الإسخرُيوطي، ١٥ . وقال لهم: ما تُعطوني فأُسَلِّمَه إليكم؟ فوزنوا له ثلاثين من الفضة^(٢١). ١٦ . ومذ ذاك أخذ يتلمَّسُ فُرصةً لِيُسَلِّمَه ».

يعلّق إونجليون: " كان يسوع يعلم كل يوم في الهيكل (لو ٢١ / ٣٧)، وكان في وسع اليهود أن يلقوا القبض عليه، دون الاستعانة بيهوذا. ولكن يسوع آثر التخفي في المدّة الأخيرة من حياته (يو ١١ / ٥٧)، فاحتاج الرؤساء إلى يهوذا ليدلّهم على مكانه (يو ١٨ / ٢) .

هنا أيضاً إمعانٌ في الشرّ في استعمال اليهود شخصاً من تلاميذ يسوع لكي يُسلمه إليهم، ويشاركهم، بالتالي، في الجريمة. لقد لبّى يهوذا رغبة الأحبار والرؤساء. وكلّهم شأؤوا ما تشاؤوه التوراة والشرعية الموسويّة. فمصير يسوع إذاً واضح ومحتّم.

٢٣ . القبض على يسوع (٢٦ / ٤٧) «وإنّه لَيَتَكَلَّمُ،

(٢١) ثلاثون من الفضة: دية عبد (خر ٢١ / ٣٢)، وأجر راع صالح قضى عمره في الخدمة (زك ١١ / ١٢ - ١٣).

إذ وافى يهوذا، أحدُ الاثني عشر، وقد أرسله الأحرارُ
وشيوخ الشعب، ومعه عصابة كثيرة مسلحة بسيفٍ
وعصيّ.

إنَّه عمل الأحرار والشيوخ ورؤساء اليهود الغيورين
على الشريعة والمناضلين من أجل تطبيقها... أغروا أحد
التلاميذ بالمال، والمال ربّ ثانٍ يغري حتّى الأبرار والكبار
والأغنياء. لهذا توفّق الأحرار بخطّتهم. وكان يسوع يعلم
بهذه الخطّة وبأنّ خصومه سيستعملون المال ضده. وقد
حدّر سابقاً من شرّه. فلا بدّ وأنّهم سينجحون في خطّتهم،
لأنّ المال خائن والشريعة الإلهيّة يجب أن تُنفّذ، ولو كان
الإنسان هو الضحيّة.

٢٤. أمام المجلس (٢٦/٥٧-٦٨) قال متى: «٥٧.
وساقوا يسوع إلى عظيم الأحرار قيافا. وفي دار قيافا
اجتمع الكتبة والشيوخ. ٥٨. وكان بطرس يتبع يسوع من
بعيد. وبلغ دار عظيم الأحرار فدخل، وجلس مع الخدم،
ليرى النهاية. ٥٩. وكان الأحرار، وكل أعضاء المجلس،
يبحثون عن شهادة زور على يسوع ليقتلوه^(٢٢). ٦٠. ولم

(٢٢) حكم على يسوع بالموت قبل أن يُحاكم. شهادة الزور تغطية.

يَجِدُوا، مع أَنَّ شَهِودَ زورٍ كَثِيرِينَ تَقْدُمُوا. وأخيراً مَكَلَّ شَاهِدًا زورٍ ٦١. يقولان: هذا الرجلُ قال: يَسَعُنِي هَذَا هَيْكَلُ اللَّهِ، ثُمَّ بَنَاؤُهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ^(٢٣).

٦٢. فقام عظيمُ الأَحْبَارِ، وقال لِيَسُوعَ: أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ ما الذي يشهد به هذانِ عليك؟ ٦٣. فَظَلَّ يَسُوعُ صَامِتًا. قال له عظيمُ الأَحْبَارِ: بِاللَّهِ الْحَيِّ قُلْ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ؟^(٢٤) ٦٤. قال يسوع: أَنْتَ قُلْتَ. وَأَنَا أَقُولُ: مِنْذُ الْآنَ تَرَوْنَ ابْنَ الْإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْعِزَّةِ، آتِيًا عَلَى غَمَامِ السَّمَاءِ.

٦٥. عِنْدَئِذٍ شَقَّ عَظِيمُ الْأَحْبَارِ ثِيَابَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: لَقَدْ جَدَفَ! أَنْحَنُ بِحَاجَةٍ بَعْدُ إِلَى شَهِودٍ؟ لَقَدْ سَمِعْتُمُ الْآنَ التَّجْدِيفَ، ٦٦. فَمَا تَرَوْنَ؟ قَالُوا: إِنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ. ٦٧. فَبَصَقُوا فِي وَجْهِهِ، وَلَطَمُوهُ، وَلَكَمَهُ بَعْضُهُمْ ٦٨. قَائِلِينَ: تَنْبَأْ، أَيُّهَا الْمَسِيحُ! قُلْ لَنَا مَنْ الَّذِي ضَرَبَكَ؟».

مشهد آخر حيث يسوع واقف أمام مجلس الأَحْبَارِ

(٢٣) الهيكل الجديد: أنبأ يسوع بدمار هيكل أورشليم، بنهاية العبادة اليهودية (متى

٢٤)، وبقيام هيكل جديد حيِّ مكانه، هو يسوع نفسه القائم من الموت (متى ١٦ /

٢١: ٢٣ / ١٩: ٢٠ / ١٩: ٢٠ / ١٩: ٢٢).

(٢٤) أش ٥٣ / متى ٧: ٢٧ / ١٢: ١٦ / ١٦: ١٦ - ١٧: ٤ / ٦: ١٤ / لو ٢٣ / ٩: ١٩ / ٩: ١٩.

والشيوخ، يتلقَّى الضربة بعد الضربة والإهانة تلو الإهانة. لقد اتُّهم أخيراً بأنّه يجذّف على الله. وهل في التوراة شتيمة أعظم من هذه؟! بعد التجديف لا يحتاج العدل إلى شهود؛ يعني: لقد حكم يسوع على نفسه، عندما قام ضدّ التوراة وإله التوراة وتعاليم التوراة، وعندما قال أيضاً: إنّي كنت عند الله، وسوف أرجع إليه.. إنّه حقّاً كلام لا يُحتمل في موازين العقل البشري، ولا في أحكام شريعة التوراة الإلهيّة، ولا في الأديان جميعها.. فكيف ينجو يسوع من هذه الورطة؟! بل مَنْ ينجّيه؟ إله التوراة؟ وقد طعن يسوع به في الصميم؛ أم الشيوخ والأحبار؟ وقد عارضهم وأهانهم ورفض تعاليمهم وتفاسيرهم؟!

٢٥ . إلى بيلاطس (متى ٢٧ / ١-٢) وبعد هذا كلّه، دفع اليهود بيسوع إلى بيلاطس: «ولمّا أسفر الصبحُ تشاور كلُّ الأحبار وشيوخ الشعب، وهمُّهم قتلُ يسوع. ٢. ثمّ أوثّقوه، وإلى بيلاطس ساقوه، فأسلموه».

يردّد متى ويشدّد على أنّ كلّ الأحبار وشيوخ الشعب كان همُّهم قتل يسوع، من دون شهود، أي من دون محاكمة ودعاوى ومحامين ومدافعين. وحدهم المتسلّحون

بالتوراة وتعاليم الدين يستطيعون تخطي العوائق. حكم التوراة وحده يكفي. ولكنهم، في ظلّ الحكم الروماني، لا يستطيعون تنفيذ الإعدام؛ بل يجب موافقة القضاء الرومانيّ على الأمر. لذلك التجأوا إلى المحكمة الرومانيّة، التي هي أكثر عدلاً، على ما يبدو، من الدين والتوراة وإله التوراة والأخبار والشيوخ.

٢٦. أمام بيلاطس (٢٧/١١-١٨) لهذا، «١١. مثل يسوع بين يديّ الوالي فسأله: أملك اليهود أنت؟ قال يسوع: أنت تقول. ١٢. وعمّا اتّهمه به الأحرار والشيوخ لم يُحرّ جواباً. ١٣. قال له بيلاطس: ألا تسمع كم يشهدون عليك؟ ١٤. فلم يُجبّه عن أيّ سؤال. وعَجِبَ الوالي كلّ العَجَب. ١٥. وكان من عادة الوالي، في كلّ عيد، إطلاق سجينٍ يختاره الجمع، أيّ سجين. ١٦. وكان ثمة يومئذٍ سجينٌ شهيرٌ اسمه برأبّا، ١٧. فقال بيلاطس للجمع المحتشد: أيّما أطلق لكم: أبرأبّا أم يسوع، الذي يقال له المسيح؟ ١٨. وكان يعلم أنّ الأحرار والشيوخ إنّما حسداً أسلموه».

"يقتصر متى، في محاكمة بيلاطس ليسوع، على

أمرين: اتَّهام يسوع بالثورة على الرومان وطلب الملك لنفسه، ورفض الشعب اليهوديَّ له. وعلى الرومان الآن أن يُحبطوا الثورة عليهم، وأن يهمدوا غضب اليهود على يسوع.

فثورة يسوع ثورتان: ثورة على إله الرومان، وثورة على إله التوراة. ثورة يسوع هذه تشبه ثورة برأبا. لهذا فالخيار بين برأبا ويسوع كان خياراً ناجحاً. لهذا أُدرجت قصّته هنا مع قصّة يسوع.

٢٧. **مسؤوليّة قتل يسوع** (٢٧/ ١٩-٢٦) «١٩.

وبينا هو (أي بيلاطس) جالسٌ على منصّة القضاء أرسلت امرأته تقول له: ما لك ولهذا البار؟ بسببه تعذّبت اليوم في الحكم عذاباً شديداً. ٢٠. وكان الأحبار والشيوخ قد أقنعوا الجموع بأن تطلق برأبا، وتُهلك يسوع. ٢١. وتكلم الوالي قال: أيهما تريدون أن أطلق لكم؟ قالوا: برأبا. ٢٢. قال بيلاطس: وما أفعل إذا بيسوع الذي يُقال له المسيح؟ قالوا جميعهم: ليُصلب! ٢٣. قال: وأي قبيح أتى؟ فتعالى صياحهم: ليُصلب. ٢٤. ورأى بيلاطس عُقم مسعاه. وتفاقم الهيجان، فأخذ ماءً، وغسل يديه بمرأى من الجمع،

وقال: بريء أنا من دم هذا البار! أنتم انظروا! (٢٥). ٢٥.
هتف الشعب بأسره: دمه علينا، وعلى أولادنا! ٢٦. فأطلق
لهم برأباً. أما يسوع فجلده، ثم أسلمه ليُصَلَّب.

يعلق إنجيليون: "يجاهر بيلاطس الوثني وامرأته،
في إنجيل متى، ببراءة يسوع (١٩ و ٢٤)، وهذا يضحّم من
مسؤولية اليهود شعباً ورؤساء... وفي غسل بيلاطس
يديه، وتبرئة نفسه من دم يسوع، تُلقى التبعة كلّها على
الشعب اليهودي". ومع هذا يتحمّل بيلاطس مسؤولية
تنفيذ الحكم، ومسؤولية الجبانة أمام الشريعة الموسوية.
إنّما الكلّ يريد قتل يسوع، لأنّ يسوع كان يرفض تعاليمهم
وتعاليم توراتهم.

٢٨. الصلب (٢٧/٣٧-٤٤) ٣٧. وعلّقوا فوق
رأسه ما كان سبب صلبه، فكتبوا: هذا يسوع، ملك اليهود..
٣٩. وكان المارّة يشتمونه، ويهزّون الرؤوس.. ٤١.
وكذلك سخر الأحرار، وسخر معهم الكتبة والشيوخ.

هنا قمة عداوة اليهود ورؤسائهم ليسوع، إذ راحوا،

(٢٥) بريء أنا: بهذا التعبير المؤلف في التوراة (تث ٦٠/٨؛ مز ٢٦/٦؛ ١٣/٧٣)
يتبرأ بيلاطس من دم يسوع، ويُلقى التبعة كلّها على الشعب اليهودي

حتَّى بعد موته على الصليب، يهزأون به، ويشتمونه، ويبصقون في وجهه. لهذا يضع المسيحيون تبعة موت يسوع، لا على الرومان الذين نفّذوا، بل على اليهود الذين أصرّوا على التنفيذ بهذا القدر من الإهانة، وذلك باسم التوراة والشريعة الإلهية.

٢٩. اليهود يَرشُون الحَرَس (٢٨/١٢-١٥) «١٢». واجتمع الأُحبارُ والشيوخُ، وتشاوروا، ورشّوا الجنودَ بمبلغٍ ضخْمٍ من الفضة. ١٣. وقالوا لهم: هم تلاميذهُ أتوا ليلاً، في أثناء نومنا، وسرقوه.. ١٥. فأخذ الجنودُ الفضةَ، وعملوا بما لُقّنوا، وشاع في اليهود ما قالوا حتّى يومنا».

ليس من حيلة بعد كلّ ذلك إلّا الرشوة، رشوة الجنود الرومان بالمال، ليرتاح رؤساء اليهود والأحبار من قصّة يسوع، ومن حدّث القيامة التي كانت الصدمة الأخيرة، كما كانت النصر المؤكّد ليسوع عليهم وعلى أعوانهم، الذين هم: الشعب اليهودي، والشيوخ، والأحبار، والكتبة، والفريسيّون، والصدّوقيّون، وكلّ من تسلّح بتعاليم التوراة والشريعة المنسوبة إلى الله.

هكذا روى متى في إنجيله موقف يسوع من اليهود، ورؤساء اليهود، وتقاليد اليهود، وشرائع اليهود، في السبت، والختان، والزنى، والرجم، والقتل، وغيرها...

فلكأن يسوع جاء فعلاً ليوقف مفعول العهد القديم ويبدأ بعهد جديد. جاء ليعيد للإنسان حرّيته التي ميّزه الله بها، وخلقها لها.

لقد جاء يسوع ليخلص الإنسان من قيود الشريعة التي أحكمت ربطه بعمد السماء... هذه هي رسالة يسوع الأساسية، والوحيدة، في خلاص البشر من قيود وضعها البشر على أنفسهم باسم الله.

وهذه هي المسيحية في تعاليمها، ومبادئها، وعقائدها، وسلوكها. وفي هذا هي تتميز عن سائر الطرق، أو الأديان، التي تسيّر الإنسان نحو الله.

وها هو الله نفسه، مع يسوع ابنه، يتولّى تحطيم هذه القيود..

الفصل الثاني

يسوع في إنجيل مرقس

أمّا مرقس فقد كتب الشيء نفسه في موضوعاتٍ كثيرة رآها في مواقف يسوع من الدين اليهودي والتوراة والأحبار وتقاليد السلف. من هذه المواقف والتعاليم الأحداث التالية:

١ . يسوع يجذّف (مر ٢/٦-٧) يقول مرقس: «٦. وكان في الجالسين كُتّبة، ففكّروا في قلوبهم: ٧. ما لهذا يتكلم هذا الكلام؟ إنّه يجذّف! مَنْ يَسَعُهُ غفرانُ الخطايا إلّا الله وحده؟».

لقد أعطى يسوع الفرصة للكتبة لكي يتّهموه بالتجديف؛ وما كانوا ليتّهموه لو لم يتح لهم الفرصة. ومن الطبيعي أن يتّهم اليهود يسوع بما جاء به من أعمال هي من خصائص الله وحده، مثل مغفرة الخطايا. وفي ذلك تعدّ

على حقوق الله، وعلى تعاليم التوراة ومبادئ الدين اليهودي برمتها. فالشفاء، أي الرحمة بالإنسان، أقل أهمية، بنظرهم، من الحفاظ على حق الله.. لهذا ستقع العداوة بين يسوع واليهود بسبب أن يسوع كان أكثر محبة للإنسان منهم ومن شريعتهم وتعاليم دينهم، بل من إلههم الذي يؤثرون محبته على محبة الإنسان.

هذه العداوة وقعت لا محالة بسبب موقفين متناقضين بين يسوع واليهود. يسوع يُبدي محبة الإنسان، فيما اليهود يبدون محبة الله.

٢ . دعوة لاوي (١٥/٢-١٨) يقول مرقس: «١٥. في بيت لاوي أتكا يسوعُ يأكل، وأتكا جبأة وخطاة كثيرون يؤاكلون يسوع وتلاميذه. ١٦. ورأى كتبة فريسيون أن يسوع يؤاكل الخطاة والجباة، فقالوا لتلاميذه: ما له يؤاكل الجباة والخطاة؟ ١٧. وسمع يسوع فقال لهم: لا يفتقر الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى، ما جئت لأدعو أبراراً، بل خطاة^(١). ١٨. وكان تلاميذ يوحنا والفريسيون صائمين،

(١) كان يُقصد بالخاطئ ذو السيرة السيئة، والقائم بوظيفة غير شريفة، كجباية الضرائب للدولة الرومانية، مثلاً. وما كان يُسمح للمؤمن أن يؤاكل هؤلاء الخطاة لئلا يتنجس. وقد رفض يسوع هذا التحريم مشبهاً نفسه بالطبيب: المريض يحتاج إلى طبيب، والخاطئ مريض، ويسوع طبيبه (حاشية على مر ١٥/٢).

فأتى مَنْ يقول ليسوع: لماذا تلاميذك يوحنا والفرّيسيّون يصومون، وتلاميذك لا يصومون؟».

في إشارة مرقس إلى مؤاكلة يسوع الخطأة، وإلى عدم صيام تلاميذه، مخالفة مباشرة لشريعة التوراة. بل هي مخالفة قاتلة لشريعة أساسية في الدين اليهودي. فلأنّ يسوع، في مرقس، جاء لينقض تعاليم التوراة وشريعة الله، ويبدلها بشيء آخر، سوف يتّضح لنا ما هو.

٣. لا حرمة للسبت (٢٣/٢-٢٨) «٢٣. في أحد السبوت، جاز يسوع بالزروع، فأخذ تلاميذه يمشون، وهم يقطفون السنابل. ٢٤. قال الفرّيسيّون ليسوع: ألا انظروا! لم يفعلون ما لا يجوز فعله في السبوت؟» ٢٧. ثم قال لهم: السبت للإنسان، لا الإنسان للسبت، ٢٨. فابن الإنسان رب السبت نفسه».

واضح أنّ يسوع هنا ينال من أقدس ما في التوراة والشريعة اليهودية، أي من حرمة يوم السبت، حيث لا يجوز للإنسان اليهودي في هذا اليوم أي نشاط أو عمل أو حركة. وحجة اليهود في ذلك أنّ الله نفسه استراح يوم السبت، فكم على الإنسان أن يتشبهه بالله ويمتنع عن أي عمل يوم السبت؟!

وحجة يسوع هي أنّ السبب وُجد للإنسان لا الإنسان وُجد للسبب. وهذه من تعاليم يسوع الأساسية التي تخالف تعاليم الدين اليهودي مخالفة مباشرة.

٤ . يسوع نفسه لا يرفع حرمة السبب (٣ / ١-٦)

يقول مرقس: «١. عاد يسوع فدخل مجمعا. وكان كم إنسان أشل. ٢. وكان الفرّيسيّون يراقبون هل يشفيه يسوع يوم السبت، لكي يشكوه. ٣. قال يسوع للأشل: قم في الوسط. ٤. ثمّ سأل: أفعل الخير يجوز، يوم السبت، أم فعل الشرّ، إنقاذ نفس أم قتلها؟ فلزم الفرّيسيّون الصمت. ٥. أجال يسوع فيهم الطّرفَ ساخطا، حزيناً لقساوة قلوبهم، ثمّ قال للإنسان: مدّ يدك. فمدّها. وعادت كهيئتها. ٦. وللوقت خرج الفرّيسيّون وأشياع هيرودس، وأخذوا يتشاورون كيف يقضون على يسوع».

يضيف مرقس إلى إلغاء شريعة السبب اتّهام يسوع الفرّيسيّين بقساوة قلوبهم، وبعدم إيمانهم برسالته، وبتصميمهم على قتله. ومرقس، بحسب إونجليون، "يتفرّد بهذا التعبير، ويرى فيه السبب الحقيقي، الذي حال دون إيمان الفرّيسيّين بيسوع، وفهمهم لرسالته".

فواضح، إذّا، أنّ ليسوع رسالة تخالف تعاليم

الفريسيين وأحبار اليهود، وتضعه في تناقض تامّ معهم، ورفض كامل لتعاليمهم، بل وفي حالة عدااء مستحكم.

٥ . **إنّه إبليس (٢٢/٣)** يشدّد مرقس على اتّهام الكتبة يسوع بأنّه إبليس، بل رئيس الأبالسة. قال: «أما الكتبة الهابطون من أورشليم فكانوا يقولون: إنّ فيه بعل زبول، وبرئيس الأبالسة يطرد الأبالسة».

هكذا قالوا عن يسوع. وما على يسوع إلّا أن يدفع عن نفسه هذه التهمة، لا ببراهين وحجج، بل برفضه تعاليمهم رفضاً كاملاً ونهائياً. لهذا كانت المعركة بين يسوع ورؤساء اليهود حامية الوطيس، حتّى أودت بحياته بأذلّ مיתה، أي على الصليب، خشبة العار والذلّ.

٦ . **النّجس والطاهر (١٣-١/٧)** يقول مرقس: «١.

وتجمّع لدى يسوع الفريسيّون، وكتبّة آتون من أورشليم.

٢. وراوا بعض تلاميذه يأكلون بأيدي نجسة، أي غير

مغسولة. ٣. وكان الفريسيّون، وكلّ اليهود، يُعنون بغسل

أيديهم قبل الأكل، عملاً بتقاليد أخرى كثيرة، كغسل

الكؤوس، والجرار، وأنية النحاس. ٥. فهؤلاء الفريسيّون

والكتبّة سألوا يسوع: لم لا يسير تلاميذك بحسب تقاليد

السلف، بل يأكلون بأيدي نجسة؟ ٦. قال لهم: نعم ما تنبأ به

أَشْعِيَا عَنْكُمْ، أَنْتُمْ الْمَرَاثِينَ، إِذْ كَتَبَ: يُكْرِمُنِي هَذَا الشَّعْبُ بِشَفَّتِيهِ، وَقَلْبُهُ مِنِّي بَعِيدٌ. ٧. باطلة عبادته، ووصايا بشرِ تعاليمه. ٨. لقد تهاونتم بوصية الله، وتمسكتم بتقاليد الناس. ٩. وتابع: نَعَمْ مَا تَعْمَلُونَ! تَتَهَاوَنُونَ بِوَصِيَّةِ اللَّهِ لِتَرْعَوْا تَقَالِيدَكُمْ! ١٣. فهكذا تُبْطِلُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ بِتَقَالِيدٍ تَتَنَاقِلُونَ، وَأُمُورًا كَثِيرَةً مِثْلَ هَذِهِ تَفْعَلُونَ».

يشدد مرقس على موقف يسوع من تقاليد اليهود التي تناقض وصية الله؛ وقد عاد يسوع ثلاث مرّات في هذا الفصل (٧/٨، ٩، ١٣) على هذا الانحراف. وهذا موضع انتقاد شديد منه لتصرّف اليهود وتفسيرهم لوصية الله. لذلك كان العداء بين الطرفين: فبالنسبة إلى يسوع: "الوصية هي الأصل، والتقليد تفاسير غير مهمة، فكيف يُهمَل الأصل للتفسير؟" (٢).

إنّ التمييز بين الطاهر والنّجس سبب من أسباب العداء بين يسوع واليهود. لهذا سيكون، بسبب ذلك، انتصار اليهود على يسوع، ثمّ الحكم عليه الحكم المبرم.

٧. جدال بين يسوع والفرّيسيّين (٨/١١-١٣)

يذكر مرقس لقاء يسوع والفرّيسيّين، فيقول: «١١. وافى

(٢) رَ: حاشية على مر ٨/٢.

الفريسيّون، وطفقوا يجادلون يسوع، ويطلبون آيةً من السماء امتحاناً له. ١٢. فتنهّد من الأعماق، وقال: لِمَ يَطْلُبُ هذا الجيلُ آيةً؟ الحقّ أقول لكم: لن يُعطى هذا الجيلُ آية. ١٣. ثمّ تركهم.. وانصرف».

هنا ذكّر للجدال بين يسوع والفريسيّين، يطلب فيه الفريسيّون من يسوع «آيةً من السماء امتحاناً له». إنّهُ حدّث سوف يأخذ الفريسيّون فيه موقفاً عدائياً صارماً من يسوع. ورأى يسوع أنّ أفضل موقف الآن، لكي يستطيع أن يُكمل رسالته حتّى الأخير، هو أن يترك الجدل مع الفريسيّين، وينصرف إلى الضفّة الأخرى. فالجدال، في نظر يسوع، لا يُجدي، أكثر الأحيان، نفعاً، بخاصّة مع المستكبرين والمرائين والمدّعين. هؤلاء يرون الآيات ولكنّهم لا يفقهون معانيها.

٨. قساوة الفريسيّين (٨ / ١٤-١٥)، يذكر مرقس هذا الحدث الذي فيه يحذّر يسوع من شرّ الفريسيّين، يقول: «١٤. وكان التلاميذ قد نسّوا فما تزودوا خبزاً، ولم يكن معهم في القارب سوى رغيف واحد. ١٥. وأوصاهم يسوع، قال: تَبَقِّظُوا، واحذروا خميرَ الفريسيّين، وخميرَ هيرودس».

من الطبيعي أن يشمل يسوع هيرودس مع
الفرّيسيّين. فمن كليهما يجب الحذر والحيطه، لأنّهما في
القساوة على الناس سواء. هؤلاء يقسون على الناس باسم
التوراة، وأولئك باسم القيصر.. ويسوع يرغب في خلاص
الإنسان من الشرائع الإلهيّة ومن القيصر معاً.

٩. يسوع يُنبئ بآلامه وموته وقيامته (٨ / ٣١ -
٣٣) قال مرقس : « ٣١. وبدأ يسوعُ يعلمُ التلاميذ أن على
ابن الإنسان أن يتألم كثيراً، ويردّله الشيوخُ والأحبارُ
والكتبة، وأن يُقتل، وبعد ثلاثة أيام يقوم».

هنا يذكر مرقس أيضاً، لا عمّا سيحدث ليسوع في
آخر حياته فحسب، بل عن عمل الشيوخ والأحبار والكتبة
ورذلهم له ونيّتهم في قتله. والسبب بات معروفاً، وهو أن
تعاليم يسوع تخالف تعاليمهم جذرياً. لهذا يجب أن يُقتل
لمخالفته تعاليم التوراة والشرعة اليهوديّة.

١٠. الزواج والطلاق (١٠ / ٢-٧) يقول مرقس:
« ٢. ودنا منه فرّيسيّون يسألون، ويمتحنون: أيجوزُ لرجلٍ
أن يُطلقَ امرأة؟ ٣ قال: وبم أوصاكم موسى؟ ٤. قالوا:
أجازَ موسى أن نكتبَ شهادةَ الطلاق ونُطلق. ٥. قال:
لقساوة قلوبكم كتب لكم موسى هذه الوصيّة. ٦. ولكن

الله، مذ خلق، ذكراً وأنثى صنعهما، ٧. ولهذا يتركُ إنسانُ أباه وأمه».

هنا يشير مرقس إشارة واضحة إلى مخالفة يسوع لتصرّفات اليهود والشرعية الموسويّة في شأن الزواج والطلاق، ويشدّد يسوع على وصيّة الله الأساسيّة، التي تقضي بالوحدة الزوجيّة الثابتة، وبدوام الحبّ (تك ١/٢٧، ٢٤/٢). وهكذا يبقى الزواج، في رأي يسوع، رمزَ عهدٍ أبديٍّ بين الله وشعبه.. وهذا موضوع خلاف جسيم بين يسوع واليهود، مارسوا فيه الاحتيال للإيقاع به.

١١ . يسوع ينبئُ ثالثةً بآلامه وموته وقيامته (١٠/٣٣-٣٤) جاء في مرقس قول يسوع لتلاميذه: «٣٣. ها نحن صاعدون إلى اورشليم، وسيُسَلَمُ ابنُ الإنسانِ إلى الأحبار والكُتّبة، فيَحْكُمون عليه بالموت، ويُسلمونه إلى الأمم، ٣٤. ويسخّرون منه، ويصُفّقون عليه، ويجلّدونه، ويقتُلونه، وبعد ثلاثةِ أيّامٍ يقوم».

هنا يفصّل مرقس ما سيكون ليسوع بسبب تسليمه إلى الأحبار، والحكم عليه بالموت، وتسليمه إلى الوثنيين، والسخريّة، والبصق، والجلد، والقتل... إنّها أفعال اليهود مع يسوع، أي موقفهم العدائي منه حتّى نهاية حياته. فهم

المسؤولون، على ما يتّضح، عن تسليمه، وعن قتله.. وذلك بسبب رفض يسوع تعاليمهم وتقاليدهم وشريعتهم... سلّموه إلى القتل والذلّ.

١٢. باعة الهيكل (١١/١٥-١٩). وثمة أيضاً موقف ليسوع من باعة الهيكل، الذين طردهم منه، واتّهمهم بأنهم لصوص وتجّار. قال مرقس: «١٥. وانتهوا إلى أورشليم، ودخل يسوع الهيكل، وشرع يطرد منه الباعة والشّراة، وقلب مناضد الصّيارفة، ومقاعد باعة الحمام. ١٦. وما كان يدع أحداً يجتاز الهيكل، وهو يحمل متاعاً. ١٧. وكان يُعلّم قائلًا: أما جاء في الكتاب: سيُدعى بيتي لكلّ الأمم بيت صلاة، وأنتم مغارة لصوص جعلتموه؟ ١٨. وسمع الأحرار والكتبة فأخذوا يبحثون كيف يهلكونه. كانوا يخافونه، لأنّه أعجب بتعليمه كلّ الشعب. ١٩. وعند المساء خرج يسوع وتلاميذه من المدينة».

في هذا الحدث إشارة إلى مكانة الهيكل وقدسّيته في الشريعة اليهوديّة. فهو، بالتالي، كما يبدو، موضوع اختلاف بين يسوع واليهود. هؤلاء يريدون هيك الحجارة بيت صلاة لله، ليجعلوه مغارة لصوص؛ ويسوع يريد الإنسان بيتاً مقدّساً لله. فقدسّية الهيكل ليست بشيء أمام

قدسيّة الإنسان، تماماً كحرمة السبت ليست بشيء بالنسبة إلى حرمة الإنسان..

١٣ . يسوع يعلم من عنده (١١/٢٧-٣٣) وفي الهيكل أيضاً، كما يخبر مرقس، وقف اليهود في وجه يسوع، واتّهموه بأنّه يعلم من عنده، لا بما تقوله التوراة. قال: «٢٧. وعادوا إلى اورشليم. وبينما يسوع يطوف في الهيكل، أقبل إليه الأحرار والكتبة والشيوخ، وقالوا له: بأيّ سلطان تفعل ما تفعل؟ أو من آتاك هذا السلطان لتفعل؟ ٢٩. قال لهم يسوع: عن أمر واحد أسألكم، فإن أجبتُم عنه أقل لكم بأيّ سلطان أفعل».

يعلّق إونجليون على سؤال الأحرار ليسوع: «بأيّ سلطان تفعل ما تفعل»: "إشارة إلى تطهير يسوع الهيكل، وقد عدّ الكهنة ذلك اعتداء على حقوقهم. أجاب يسوع عن هذا السؤال بسؤال يفضح عجزهم: سألهم إن كانوا يؤمنون بيوحنا المعمدان، لأنّ إيمانهم به إيمان بيسوع وبسلطته؛ وجوابهم «لا ندري» دليل على خبث نيّتهم. وهكذا أفحمهم يسوع بجوابه أكثر ممّا لو كان صارحهم بسلطته الإلهيّة.

وهذا الجدل فاتحة الجدلّات الخمسة الأخيرة في

أورشليم، بين يسوع ورؤساء الشعب^(٣)، وقد خرج منها كلها منتصراً^(٤).

١٤ . حقوق الله وحقوق قيصر (١٢/١٣-١٧)

يقول مرقس: «١٣. ثم أرسلوا (أي اليهود) إليه (أي إلى يسوع) نفرًا من الفرّيسيّين وأشياع هيرودس لكي يصطادوه بكلمة.. ١٥. وعلم يسوع رياءهم، فقال: لِمَ هذه الأحابيل؟ ٢٧. أدّوا ما لقيصر إلى قيصر، وما لله إلى الله».

في هذا الكلام دليل اختلاف عميق بين يسوع والأحبار؛ فلهذا، لن يكون بينهما سلام؛ بالرغم من أنّه أعطى لله حقّه ولقيصر حقّه. واليهود لا يريدون ذلك، بل إنهم يريدون أن يوقعوا يسوع في حبال مكرهم؛ أي أن يرفضوا يسوع مهما كان جوابه لهم.

١٥ . قيامة الأموات (١٢/١٨-٢٧) يقول مرقس:

«١٨. وأتاه صدّوقيّون^(٥)، وهم قومٌ يُنكرون القيامة،

(٣) ر: مر ١١/٢٧-٢٣؛ ١٢/١٣-١٧؛ ١٨-٢٧؛ ٢٨-٣٤، ٣٥-٣٧.

(٤) حاشية إنجيليون على ١١/٢٧-٢٣.

(٥) أكثر الصدّوقيّين كهنة، ويخالفون الفرّيسيّين دينياً في أمرين مهمّين: أولاً، يخلو الفرّيسيّون في الحفاظ على التقاليد، وينبذها الصدّوقيّون. ثانياً، يؤمن الفرّيسيّون بقيامة الأموات استناداً إلى نصوص كتابيّة (حز ٣٧/٨؛ أي ١٠/١١)، وينكرها الصدّوقيّون استناداً إلى نصوص أخرى (تك ٣/١٩). جواب يسوع إيمان بالقيامة،

فسألوه قالوا: ١٩. يا معلم، لقد كتب علينا موسى: على الأخ، إن مات أخوه عن امرأةٍ دون ولد، أن يتزوج امرأة أخيه، ويُقيم له نسلًا^(٦). ٢٠. وكان سبعة إخوة.. ٢٣. ففي القيامة، لأيهم تكون؟.. ٢٤. قال يسوع: .. ٢٧. إن أنتم إلا في ضلالٍ كبير.

وكان يسوع قد أكّد القيامة، ولكن "قيامة غير خاضعة لشروط الجسد الحاضرة. وهو بالتالي ردّ على الصدوقيّ والفريسيّ معاً"^(٧)؛ وفي هذا دليل أيضاً على مدى الاختلاف بين يسوع والأحبار اليهود، أي بين تعاليمه وتعاليم التوراة والدين اليهودي.

١٦. إحدروا الكتب (١٢/٣٨-٤٠) وممّا كان يعلم: «إحدروا كتباً يُريدون التجوالَ بالحُللِ الإضافيات، والتحيّات في الساحات، ٣٩. وصدورَ المجالس

لأنّ الله إله أحياء، لا إله أموات، ولكن بقيامة غير خاضعة لشروط الجسد الحاضرة، وهو بالتالي ردّ على الصدوقيّ والفريسيّ معاً. الصدوقيّون: حزب الكهنوت الارستقراطي المناوئ لحزب الفريسيّين الديني الشعبي. لا يؤمن الصدوقيون بالقيامة (٣/٨-٦؛ لو ٢٠/٢٧-٣٨). خلافهم مع المسيحيين دفع الفريسيين إلى التقرب من المسيحيين (٥/٣٤؛ ٢٣/٨-٩؛ ٢٦/٨-٥؛ لو ٢٠/٣٩). الأحبار الصدوقيون حتّوا على القبض على يسوع (لو ٢٢/٥٢)، وعلى الرسل

(٦) ر: تك ٨/٢٨؛ تث ٥/٢٥.

(٧) حاشية على ١٢/١٨-٢٧، في تفسير إنجيليون، ص ٢٢٢.

في المجامع، وأوائل المُتَكَات في الولايم. ٤٠. بيوت الأرامل
يلتهمون، والصلاة دَجَلًا يُطِيلُونَ، فيا لَصَرَامَةِ عِقَابِ سوف
يُقَاسُونَ!».

ليس من كلام أعنف من هذا الكلام بحق الكتبة
والأحبار ورؤساء الدّين والمسؤولين عن الشريعة اليهودية:
«إحذروا». لا مهادنة بين يسوع وهؤلاء. رفضهم ورفض
تعاليمهم، وحذر من الاقتداء بهم ومن الإصغاء إليهم.
وبهذا فهو لا يهادن، ولا يقبل بحالٍ من الأحوال سلوكهم
وتعليمهم، لا في شأن القيامة، ولا في أيٍّ أمرٍ من أمور
الدّين. فلكنّ جاء من أجل هذا. فلا بدّ إذاً من أن يكون
خلاف، ويكون رفضٌ ونقضٌ متبادل.

١٧. المؤامرة (١٤/١-٢) ١. كان الفصح
والفطير سيقعان بعد يومين. وكان الأحبار والكتبة
يتلمسون كيف يقبضون بحيلة على يسوع، ويقتلونه. ٢.
فقد كانوا يقولون: لا في العيد، لئلا يقع في الشعب شغب».

هنا نصل إلى قمة المؤامرة، مؤامرة الأحبار على
يسوع، في سبيل القضاء عليه؛ أكان ذلك في العيد، أم في
أيّ يوم عادي. إلا أنّهم آثروا يوماً عادياً خشية ثورة الشعب
عليهم.. ولكن ما همّهم من الشعب وثورته إذا كانت

الضحية يسوع نفسه، يسوع الذي رفضهم ورفض شريعتهم وتوراتهم وتعاليمهم وتقاليدهم، وأنبياءهم... حتى أثار الشعب كله عليه!

١٨ . خيانة يهوذا (١٤ / ١٠ - ١١) » ١٠ . وإلى

الأحبار أتى يهوذا الإسخريوطي، أحد الإثني عشر، لكي يُسلمهم يسوع. ١١ . سرُّوا بما سمعوا، ووعدوا أن يُعطوه فضةً. وأخذ يتلمس فرصةً ليسلمه.

لا يمكن أن تتم المؤامرة إلا بخيانة أحد المقربين إليه، أي التلاميذ، وببديل من المال، كبيراً كان أو زهيداً...

وفي هذا دليل أيضاً على حجم الخلاف بين تعاليم يسوع وتعاليم الأحبار اليهود، حتى وصل الأمر إلى حدّ الخيانة والرشوة والمؤامرة... لا بدّ إذن من حيلةٍ تساعد على عملية القبض على يسوع. وهكذا كان.

١٩ . القبض على يسوع (١٤ / ٤٣) » وإنه ليتكلم،

إذ وصل يهوذا، أحد الإثني عشر، وقد أرسله الأحبار والكتبة والشيوخ، ومعه عصاٌ مسلحةٌ بسيفٍ وعِصيّ.

لو لم يكن الأحبار والكتبة والشيوخ مزعوجين من يسوع، ورافضين تعاليمه ومواقفه، إلى أقصى حدود

الانزعاج والرفض، لما استطاع مرقس أن يكتب ما كتب، عن عصابة مسلّحة، يريد أفرادها القبض على يسوع مهما كلف الثمن. فيسوع أعلن عداوته لليهود، بسبب مفهومه لله وللإنسان الذي يختلف جذرياً عن مفهومهم اليهودي التوراتي لله الذي يضحي بالإنسان من أجل تنفيذ مشيئته وتطبيق شريعته.

هنا نزوة الدليل على مفهومين لله متناقضين: مفهوم يسوع ومفهوم اليهود. وانتصر إله اليهود على إله يسوع؛ ولكن إلى حين. فلهذا تمّ القبض على يسوع، وتمّ تنفيذ الحكم من دون محاكمة.

٢٠. أمام المجلس (١٤/٥٣-٦٥) ٥٣. وساقوا يسوع إلى عظيم الأحرار، حيث اجتمع كلُّ الأحرار والشيوخ والكتبة.. ٥٥. وكان الأحرار، وكلُّ أعضاء المجلس، يبحثون عن شهادة على يسوع ليقتلوه، ولا يجدون. ٥٦. شهد غير واحد زوراً عليه، ولكن اختلفت الشهادات. ٥٧. وكان يقوم بعضهم يشهدون زوراً عليه، يقولون: ٥٨. لقد سمعناه يقول: ساهدمُ هذا الهيكلَ، المشيد بالأيدي، وفي ثلاثة أيام أبني آخر، غير مشيد بالأيدي. ٥٩. وفي هذا أيضاً اختلفت شهاداتهم. ٦٠. وقام عظيمُ الأحرار في الوسط، وسأل

يسوع: أما تُجيب بشيء؟ ما الذي يشهد به هؤلاء عليك؟
 ٦١. فظلَّ يسوع صامتاً، ولم يُجرِ جواباً. فعاد عظيم
 الأُحبار يسأله: أأنتَ المسيحُ ابنُ اللهِ سبحانه؟ ٦٢. قال
 يسوع: أنا هو. وسترون ابنَ الإنسان جالساً عن يمين
 العزّة، آتياً على غَمَامِ السماء. ٦٣. فشقَّ عظيمُ الأُحبار
 قميصه، وقال: أنحنُ في حاجةٍ بعدُ إلى شهود؟ ٦٤.
 سمعتمُ التجديف، فما ترون؟ فحكموا جميعاً أَنَّهُ يستحقُّ
 الموت. ٦٥. وأخذ بعضهم يَبصُقون عليه، وَيَعْصِبُونَ
 وجهه، وَيَلْكُمُونَهُ، ويقولون: تَنَبَّأ! وتلقَّاه الخدم بلطمات..

نحن هنا أمام مشهدٍ من أعظم مشاهد العنف في
 التاريخ، حصلت باسم الله والدين، حصلت من رؤساء
 الدين والأُحبار على يسوع، لا من غيرهم: لقد ساقوا
 يسوع إلى عظيم الأُحبار، بعدما اجتمع عليه كلُّ الأُحبار
 والشيوخ والكتبة يريدون قتله، بسببٍ أو بغير سبب.

وبالرغم من اختلاف الشهادات، انتصروا عليه، لأنَّ
 الموضوع موضوع دينيٍّ، ينتصر فيه رجال الدين، لا
 محالة. وعلى يسوع أن يرضخ لهذا الحكم الدينيِّ المبرم.

وبقي يسوع صامتاً، لأنَّ الحكم عليه كان باسم الله
 وباسم موسى والتوراة والدين والشرعية. فلا حيلة له في

ذلك مع هؤلاء جميعاً. ولا تجدي الإجابة نفعا على أيّ سؤال من أسئلة الدّين ورجاله... ولكنّ يسوع عاد وأجاب عن حقيقة هويّته ورسالته، بأنّه هو «ابن الله». هذه هي هويّته ورسالته. وهو لا يمكن أن ينكرها، أو يسكتَ عنها.

وكان برهانه على ذلك، لا بحسب مشيئة اليهود، بل بجواب أكثر صعوبة وأكثر رفضاً. قال هذا لأنّه يريد أن يكون واضحاً في شأن هويّته الحقيقيّة ورسالته الخلاصيّة التي جاء من أجلها. فما كان من عظيم الأحرار إلّا أن غضب غضباً شديداً، ومزّق ثيابه لهول ما سمع، فقال: أنحن في حاجة إلى شهود بعد؟

٢١. أمام بيلاطس (١٥ / ١ - ١٥): «١. وفي الغداة تشاور الأحرارُ والشيوخُ والكتبة، والمجلسُ كُلُّهُ، فاوثقوا يسوع، وإلى بيلاطس ساقوه وأسلموه. ٢. وسأله بيلاطس: أملكُ اليهودِ أنت؟ فأجاب: أنتَ تقول. ٣. وشكا الأحرار يسوعَ شكاوى كثيرة. ٤. فعاد بيلاطسُ يسأله: ألا تُجيب بشيء؟ أنظرُ كم يشكونك!». ٥. فامتنع يسوع عن أيّ جواب، حتّى تعجّب بيلاطس.

٦. وكان بيلاطس، في كلّ عيد، يُطلق سجيناً، أيّ سجين طلبوا. ٧. وكان في العصاة السجناء، الذين اقترفوا

جرائم قتل في غضون العصيان، سجين يدعى برأبا. ٨. وصعد الجمع إلى بيلاطس، وأخذ يطالبه بما اعتاد أن يفعله لهم. ٩. قال بيلاطس: أتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود؟ ١٠. ذاك أنه كان يعرف أن الأحرار إنما أسلموا يسوع حسدا. ١١. فهيج الأحرار الجمع، ليطلق لهم بالأولى برأبا. ١٢. فعاد بيلاطس يسأل: وما أفعل إذا بمن تدعونه ملك اليهود؟ ١٣. فصاحوا: اصلبه! ١٤. قال: وأي قبيح أتى؟ فتعالى صياحهم: اصلبه! ١٥. وأراد بيلاطس إرضاء الجمع، فأطلق لهم برأبا. وبعدما جلد يسوع أسلمه ليُصلب.

اليهود كلهم، الأحرار، والشيوخ، والكتبة، والمجلس كله، ألحوا على بيلاطس أن يَصلب يسوع، ويطلق برأبا، السجين الثائر على الحكم الروماني... والسبب قاله يسوع نفسه عندما اعترف بأنه ملك اليهود. لذا فهو يستحق الموت. هذا بالإضافة إلى شكاوى كثيرة رفعها الأحرار ضد يسوع منذ بدء حياته ورسالته وتعاليمه بين الناس.

٢٢. الهزة والصلب (١٥/١٦-٣٢) «٢٩. وكان المارة يشتمونه، ويهزون الرؤوس، ويقولون: أيا هادم الهيكل وبانيه، في ثلاثة أيام. ٣٠. خلص نفسك، وانزل عن

الصليب. ٣١. وكذلك سخر الأحرار والكتبة، قالوا في ما بينهم: خلّص آخرين، ولا يسعّه أن يُخلّص نفسه!. ٣٢. المسيح ملك إسرائيل! لينزل الآن عن الصليب فنرى ونؤمن!. وكان المصلوبان معه يسبّانه».

مصير يسوع هذا مذلّ جداً: تفضيل برأبا المجرم الثائر على قيصر، والموت بين لصّين، على صليبٍ هو عنوان العار والذلّ. اشترك فيه اليهود والرومان، اليهود لأنّه خالف الشريعة الإلهية في تعاليمه وسلوكه؛ والرومان لأنّه ينادي بإله غير قيصر. اليهود والرومان يمثلون البشرية كلّها آنذاك. كلّ البشر، إذًا، اشتركوا في قتل يسوع. والسبب الأساسي لقتله، هو امتعاض اليهود من تعاليم يسوع ضدّ موسى والشريعة وتعاليم التوراة وتقاليد السلف، وامتعاض الرومان من التنكّر لألوهية قيصر.

مناصرو موسى والقيصر اشتركوا في القضاء على يسوع، بحقّ أو بغير حقّ. والسبب لم يكن تافهاً، كما يُظنّ. بل السبب، في حقيقة الأمر، هو تعدّي يسوع على موسى وتعاليم التوراة، وعلى رُفُض ما «قيل لكم»، وعلى التنكّر لألوهية القيصر.

تعاليم التوراة في شريعة السبت، والختان، والزنى،
والزواج والطلاق، وما إلى ذلك... كانت سبباً من الأسباب
التي تبرّر عملية القتل... والتنكّر لألوهية القيصر الروماني
كان أيضاً سبباً من الأسباب التي تبرّر عملية الصلب.

لم يكن مصير يسوع المأساوي بسبب شفائه
المرضى، وإقامة الموتى، وتعاليمه في محبة الإنسان التي
تعادل محبة الله... بمقدار ما كان بسبب عدم احترامه
الشريعة والأحكام الدينية. فلكنّ يسوع قد تعمّد صنع هذه
كلّها أيام السبت المقدّسة، حيث العمل فيها مخالفة
صريحة لمشيئة الله.. ومن يخالف ذلك يستحقّ الموت.

لا يمكننا أن ندخل إلى أعماق الله لنعرف إذا ما كان
يسوع قد جاء من أجل هذا المصير. بل يمكننا أن نقول إنّ
يسوع جاء ليخلّصنا من شرّائع وضعها الإنسان على
نفسه باسم الله. فلكنّ يسوع جاء ليلغي تلك الشرّائع
والأديان المنسوبة إلى الله، والله منها بريء. فالله الذي
شاء الإنسان حرّاً منذ البدء لا يغيّر سلوكه معه ولن يغيّر،
مهما تعنّت الدين ورجاله.

الفصل الثالث

يسوع في إنجيل لوقا

١ . شمول الخلاص : " يرقى (لوقا) بنسب يسوع إلى آدم (٣/٢٣-٣٨)، ليشدّد على شمول الخلاص. ويتفرّد بنصّين يظهر فيهما يسوع مخلصاً كلّ البشر (٢/٢٠-٣٢؛ ٣/٦). ويهمل وصيّة يسوع لتلاميذه ألاّ يسلكوا طريق الأمم، أو يدخلوا مدينة السامريّين، كما جاء في متى (١٠/٥). ويُعنى بالسامريّين عنايةً خاصّة^(١). ويتّخذ النصّ (١٣/٢٢-٣٠) أهميّةً بالغةً بالنسبة إلى شمول الخلاص، لوروده في إطار صعود يسوع المباشر إلى أورشليم. "يعود لوقا بيسوع من البريّة إلى مجمع الناصرة (٤/١٦-٣٠)، ليظهر، منذ بدء رسالة يسوع، رَفْضُ شعبه إيّاه رَفْضَهُم تلاميذه من بعده"^(٢).

(١) ٥٥/٩، ٣٧-٣٠/١٧، ١٩-١١/١٧، رسل ٨، ٨/١، ٣١/٩-٤٨/١٠

(٢) إنجيليون مقدّمة على لوقا، ص ٢٤٦.

ثمَّ "يُلقي يسوع خطبة النهايات في الهيكل، لا على جبل الزيتون. ويفصل لوقا دمارَ أورشليم (٢١ / ٢٠-٢٤) عن نهاية العالم (٢١ / ٢٥-٢٧). وخطبة النهايات هذه دليل واضح على كفر اليهود بيسوع، وقرارهم المبرم بقتله، ودليل قاطع على نهاية عهد قديم، وقيام عهد جديد، تدخل فيه الأمم ملكوتَ الله. إنها نداء أخير، وإنذار خطير لأورشليم، المدينة المقدسة" (٣).

٢ . الملاك للرعاة (لو ١١ / ٢) «اليومُ وُلِدَ لكم، في مدينة داود، مُخَلَّصٌ، هو المسيحُ الربُّ» (٤).

"التعبيران: «الرب المسيح»، و «المسيح الرب» (لو ٢ / ٢٦)، بحسب إنجيليون، هما وصفان يردان في العهد الجديد، ويعبران أوفى تعبير عن دور يسوع التاريخي الخلاصي والإلهي: هو المسيح، أي الملك المسؤول عن قيادة شعبه إلى الخلاص، والذي يهب الخلاص (٥) للجميع .

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٢٤٧

(٤) أش ٥ / ٩؛ متى ١ / ٢١؛ مخلص: المخلص هو الله (تث ٣٢ / ١٥؛ أش ٤٣ / ١١؛ هو ١٣ / ٤؛ مل ١٩ / ١٠؛ مز ٥٤ / ٢٥؛ ١ / ٢٧؛ ٩ / ٦٢؛ ٧ / ٦٥؛ ٩ / ٧٩؛ ١ / ٩٥؛ ١٣ / ٤؛ أو من يقيمه الله مخلصاً باسمه (قض ٩ / ٣؛ ١٥؛ نح ٩ / ٢٧). يدعوا لوقا يسوع مخلصاً هنا، وفي (رسل ٥ / ٣١؛ ١٣ / ٢٣)، ويدعوه مثله يوحنا. أما متى فيفسر اسم يسوع بالمخلص (١ / ٢١).

(٥) حاشية على لو ١١ / ٢.

٣ . سمعان يتنبأ (٢/٣٢-٣٤) » ٣٠. رأت عيناى خلاصاً، ٣١. أعددتَه لكلِّ الشعوب، ٣٢. نورٌ وحيٌّ للأمم، ومجداً لشعبك إسرائيل. ٣٣. وكان أبوا الطُفل يعجبان ممّا يُقال فيه. ٣٤. وباركهما سمعان، ثمّ قال لمريم، أمُّ يسوع: يكونُ هذا الطُفلُ مدعاةً لسقوطٍ كثيرٍ في إسرائيل، وقيامٍ كثيرٍ، وعلامةٌ يَخْتَصِمُ فيها الناسُ».

منذ البداية، يشير لوقا إلى أنّ يسوع الآتي من عند الآب هو «خلاص كلِّ الشعوب»؛ كما سيكون أيضاً علامة خصام (لو ١٢/٥١-٥٣). وكان «أبوا الطفل يعجبان ممّا يُقال فيه»، لأنّهما، مثل سائر اليهود، ينتظران من مولودهما أن يكون لبني إسرائيل وحسب.

وقد لا يستطيع أحدٌ من اليهود، حتّى اليوم، أن يعرف أنّ المسيح جاء لخلاص جميع الأمم. فهم يحتكرون عمل المسيح فيهم. لهذا، فإنّ مسيح الإنجيل غير مسيحهم.

٤ . المعمدان (٣/٦) يضع لوقا على لسان يوحنا المعمدان قوله «يرى كلُّ بشرٍ خلاصَ الله».

لقد استشهد لوقا بآيتين من أشعيا (٤٠/٤-٥)، دون متى ومرقس؛ واختصر الآية الثانية مشدداً على

شمول الخلاص، الذي ينادي به المعمدان. وسيعود لوقا إلى هذا الموضوع في سفر أعمال الرسل (٢٨/٢٨).

٥ . نسب يسوع (٢٣/٣-٢٨) "يبدأ لوقا بيسوع وينتهي بآدم، ليجمع في يسوع شتات تاريخ الإنسانية... يسوع، في نظر متى، هو ابن داود الملك، وابن إبراهيم، وهدف التاريخ اليهودي. وهو، في نظر لوقا، آدم الثاني، ومحور التاريخ البشري العام: كل ما قبله إعداد لمجيئه، وكل ما بعده تحقيق لرسالته" (٦).

٦ . يسوع في الناصرة (١٦/٤-٣٠) «١٦. وجاء يسوع الناصرة، حيث ترعرع، وكعاداته دخل المجمع، يوم السبت، وقام ليقرأ.. ٢٣. فقال لهم: إنكم، ولا ريب، تقولون لي هذا المثل: أيها الطبيب، اشف نفسك! سمعنا بكل ما فعلته في كفرناحوم، فافعله هنا في وطنك. ٢٤. ثم قال: الحق أقول لكم: لا يُقبل نبي في وطنه.. ٢٨. استشاط غضباً كل الذين كانوا في المجمع، لدى سماعهم كلامه هذا. ٢٩. وقاموا فأخرجوه من المدينة، وذهبوا به إلى شفير ربوة لكي يرموا به عنه. ٣٠. ولكنه انسل من بينهم، ومضى».

(٦) حاشية على لو ٢٣/٣-٢٨.

من الطبيعي أن يستشيط غضباً كلُّ اليهود الذين كانوا في المجمع، لأنَّهم لم يقبلوا تعليم يسوع في تعميم الخلاص على جميع الشعوب.. فما فضل شعب إسرائيل إذًا، لو كان الله سيمنح الخلاص لجميع الشعوب؟!

يشير لوقا منذ البداية إلى العداوة التي ستحصل بين يسوع واليهود، وقد أرادوا أن يرموه من على سور مدينتهم، لينتهوا منه ومن تعاليمه وأعماله وتعميم الخلاص الذي لا يزال ينادي به. ولكنَّ يسوع، منذ البداية أيضاً، عرف أنَّ السبيل الوحيد للخلاص منهم، هو أن يتركهم، أن ينسلَّ من بينهم ويمضي. يعلِّق إونجليون: "يتفرّد لوقا بذكره كلِّ شيء عن صلات يسوع بالناصره.. وكأنَّ صلاة يسوع ببلدته صلَّته بشعبه: تبدأ بالحماس، ثمَّ تهمد، ثمَّ تنتهي بالردل والصلب".

هكذا انتهت حياة يسوع مع شعبه، بالردل والصلب. فما كان عليه بعد هذا إلَّا أن ينطلق إلى الشعوب كافّة. فمن أجل هذه الرسالة العامّة والخلاص الشامل أتى.

٧ . شفاء مفلوج (١٧/٥-٢٦) «وكان يُعلِّم ذات

يوم. وكان في الجالسين فرّيسيّون، وعُلماء بالتوراة،

جاءوا من كلّ قرى الجليل واليهوديّة، ومن اورشليم. وكانت قدرةً من لدن الربّ تعمل، فيشفي يسوعُ المرضى.

يشير لوقا إلى وجود فرّيسيّين وعلماء من كلّ قرى الجليل واليهوديّة، ومن اورشليم، جاءوا، لا ليستفيدوا من تعاليمه، بل ليدينوه أمام الشعب، لأنّه كان يعمل أعمالاً لا يستطيعون هم أن يعملوها، أعمالاً لا يعملها إلّا الله، وقد اتّبعه يهود كثيرون، وتخلّوا عنهم وعن تعاليمهم..

لقد بدأت العداوة، إذًا، بين يسوع واليهود تظهر جلياً. وبدأ لوقا يدوّنّها عن قصدٍ وبدقّة.

٨ . جئتُ للخطاة لا للابرار (٢٩-٣٢) «٢٩.

وأولم لاوي ليسوع وليمةً عظيمةً في بيته. واتّكا كثيرون - جباة وغير جباة- يؤاكلون يسوع وتلاميذه. ٣٠. وتذمّر الفريسيّون وكتبّتهم، قالوا لتلاميذ يسوع: ما لكم تؤاكلون الجباة والخطاة، وتشاربون؟ ٣١. قال يسوع: لا يفتقرُ الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى، ٣٢. ما جئتُ لأدعو إلى التوبة أبراراً، بل خطاة».

من الطبيعيّ أن يتذمّر الفريسيّون والكتبة من يسوع وتلاميذه، لأنّ مؤاكلة الوثنيّين والجباة والخطاة والمرضى

لا تجوز في الشريعة اليهودية. أمّا يسوع فيحمل رسالة خلاصية، أي رسالة للإنسان الخاطيء. لهذا جاء. فهو لا يستطيع أن يحصر عمله الخلاصي بفئة من خلق الله، أي باليهود فقط. لهذا كان جواب يسوع بمبدأ اعتمده كل حياته وأخذ عنه، وهو: «لا يفتقر الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى».

فإذا كان اليهود يعتبرون أنفسهم أصحاء فإن يسوع لم يأت ليعالج الأصحاء؛ بل المرضى، أي أناساً غيرهم ليسوا منهم. هذا المبدأ كان مدعاة خصام بينه وبين اليهود، سوف يتفاقم حتى أدّى بيسوع إلى القتل صلباً.

٩. التلاميذ وحُرمة السبت (٦/١-٥) «١. وأحد السبوت، جاز يسوع بزرع، فصار تلاميذه يَقْطِفُونَ السنابل، يفركونها بأيديهم، ويأكلون. ٢. قال فَرِيسِيُّونَ: ما لكم تفعلون ما لا يجوز فعله في السبت؟ ٣. قال يسوع: أما قرأتم ما فعل داود وصحبُه، حين جاعوا، ٤. كيف دخل بيتَ الله، وأخذ خُبْزَ التقدمة، فأكل وأطعم صحبَه، وأكله لا يجوز إلا للكهنة وحدهم؟ ٥. وقال: لَرَبُّ السبتِ ابنُ الإنسان».

كان هذا أعظم كلام قاله يسوع، لإعلان رفضه لشريعة موسى، التي هي هنا شريعة السبت، وهي أعظم شريعة في التوراة وعند اليهود. وأهميّة هذا الرفض تكمن في أن يسوع استشهد بالتوراة ذاتها (١ مل ٢١ / ١-٦)، وبدادود أكبر ملوكهم. لهذا لم تبق لديهم حيلة إلا أن يحكموا عليه بالموت. لقد طعنهم في صميم دينهم وتاريخهم. وهي مخالفة واضحة وكبيرة للشريعة، في نظرهم.

١٠. يسوعُ وحرمةُ السبت (١١-٦ / ٥) ٦. وفي سبت آخر، دخل يسوعُ المجمع، وأخذ يعلم. وكان ثمَّ إنسانٌ أشلُّ اليمين. ٧. وكان الكتبةُ والفريسيُّون يُراقِبون هل يشفي يسوعُ يومَ السبت، ليَجِدوا ما به يشكونه^(٧). ٨. وعلمَ ما فيه يُفكِّرون، فقال للأشل: قُمْ، وقِفْ في الوسط. فقام ووقَف. ٩. قال يسوع: أسألكم: أفعَلُ الخير يجوز، يومَ السبت، أم فَعَلُ الشرِّ، إنقاذُ نفسٍ أم إهلاكُها؟ ١٠. ثمَّ أجال الطُّرْفَ فيهم جميعاً، وقال للأشل: مَدِّ يَدَكَ. فمَدَّها، وعادتْ كهينئتها. ١١. هاج هائجُهم، وتساءلوا ما عساهم يفعلون بيسوع».

(٧) يَعدُّ الفريسيُّون الشفاء عملاً طبيّاً ممنوعاً يومَ السبت (١٢ / ١٤؛ ١٤ / ١-٢)

يَتَّهَم لوقا الفرّيسيّين والكتبة والأخبار بمقتل يسوع؛ لأنّ يسوع قامتُ قيامتُه، لا على رجال الدين والشيوخ الذين يقومون بتطبيق الشريعة، بل على الشريعة نفسها. الشريعة هي المسؤولة، لا الذين هم ضحيّتها فحسب. لقد أناطوا شريعة السبت هذه باللّه، واللّه منها بريء. لهذا كان عدااء مستحكم بين يسوع والشريعة التي يتّهمون اللّه بصنعها، وبينه وبين الأخبار القِيَمين على تطبيقها .

١١ . يسوع يثني على يوحنا (٢٨/٧) «أقول لكم: ليس في مواليد النساء أعظمُ من يوحنا، ولكنّ الأصغر في ملكوت اللّه أعظمُ منه».

يعلّق شرّاح إنجيليون: "يوحنا نبيّ من أنبياء العهد القديم، فهو، مهما عظم، يظلّ أصغر من يسوع، بل أصغر من أصغر تلاميذ يسوع. وهو فعلاً أصغر من التلاميذ، لا لأنّه دونهم قداسة، بل لأنّ علاقته بيسوع أضعف " .

وبالتالي إن شريعة العهد القديم لم تفد الإنسان شيئاً، نسبةً إلى استفادته من عمل يسوع الخلاصيّ .

ومع هذا لقي يسوع مصير يوحنا، لأنّ الشريعة

التي قام الأُحبار على تنفيذهـا كانت أقوى ممّا جاء به يسوع، لذلك انتصروا عليه، وقادوه إلى الصليب.

١٢ . رَذُلَ الأُحبار لـيسوع (٢٢/٩) «وقال (يسوع): على ابن الإنسان أن يتألم كثيراً، ويرذُله الشيوخُ والأُحبارُ والكتبة، وأن يُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم».

الشيوخ والكتبة والأُحبار: فئات المجلس اليهوديِّ الثلاث، الذين رذلوا يسوع، وجلدوه، وصلبوه. والسبب أن يسوع خالف شريعتهم، ورفض تعاليمهم وأعمالهم، ونقض السبتَ والختانَ وشريعة موسى كلّها. ويسوع كان يعرف مصيره على أيدي هؤلاء، لأنّه يعلم ويعي تمام العلم والوعي ما صنع بمقدّساتهم وتقاليدهم.

١٣ . الويل للفرّيسيّين (١١/٣٧-٥٤) «٣٧. وإنّه ليَتَكَلَّمُ إذ دعاه فرّيسيٌّ إلى الغداء في داره، فدخل واتكأ يأكل. ٣٨. ورأى الفرّيسيُّ أن يسوع لم يَغْتَسِلِ، قبل أن يتغذى، فتعجّب. ٣٩. قال له الربّ: أنتم الفرّيسيّين، ظاهر الكاسِ والطَبَقِ تُنْقَوْنَ، وباطنُكم بجشعٍ ومساءةٍ مشحون. ٤٠. يا للحمقى! أليس صانعُ الظاهرِ صانعُ الباطنِ أيضاً؟! ٤١. ألا تَصَدَّقُوا بما في الداخل يُصْبِحُ كلُّ شيءٍ لكم نقيّاً.

٤٢. الويلُ لكم، أيّها الفرّيسيّون، فإنّتم تؤدّونَ
عشورَ النّنعِ والسّدابِ وسائرِ البُقُولِ، وتُهمَلونَ العدلَ
وحُبَّ الله. وكان عليكم أن تَعْمَلوا بهذا، ولا تُهمَلوا ذاك.

٤٣. الويلُ لكم، أيّها الفرّيسيّون، يا من تُحِبّونَ
صدورَ المجالسِ في المِجامعِ، والتّحيّاتِ في السّاحاتِ.

٤٤. الويلُ لكم، يا قُبُوراً خفيّةً يطلّها الناسُ، ولا
يَدرونَ.

٤٥. تكلّمَ عالمٌ بالتّوراةِ قال: إن ثَقُلَ هذا، يا معلّم،
نَسُبنا نحن أيضاً.

٤٦. قال يسوع: والويلُ لكم، يا علماء التّوراةِ،
فإنّكم تُحْمَلونَ الناسَ الأثقالَ، وأنتم بإحدى أصابعكم لا
تَمَسُونَهَا.

٤٧. الويلُ لكم، يا من تَبْنونَ قبورَ الأنبياء الذينَ
قَتَلْتُم آباؤكم، ٤٨. فإنّتم تَشْهَدونَ، وعمّا أتى به آباؤكم
تَرْضَوْنَ: هم قَتَلُوا، وأنتم تَبْنونَ! ٤٩. لهذا قالتِ حكمَةُ الله:
أرسل إليهم أنبياءَ ورُسلًا، فيَقْتُلونَ منهم، ويَضْطَهدونَ،
٥٠. فيُحاسِبُ هذا الجيلُ عن كلّ ما سَفِكَ من دمِ الأنبياءِ -
منذ إرساءِ العالمِ - ٥١. من دمِ هابيلَ إلى دمِ زكريّا، الذي

قُتِلَ بَيْنَ الْمَذْبَحِ وَالْهَيْكَلِ. أَجَلٌ، لَكُمْ أَقُولُ: سَيُؤَدِّي هَذَا الْجِيلُ الْحِسَابَ.

٥٢. الْوَيْلَ لَكُمْ، يَا عِلْمَاءَ التَّوْرَةِ! قَبَضْتُمْ عَلَى مِفْتَاحِ الْمَعْرِفَةِ، فَلَا أَنْتُمْ دَخَلْتُمْ، وَلَا تَرَكْتُمْ الْآتِينَ يَدْخُلُونَ.

٥٣. وَخَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ، وَقَدْ نَقَمَ عَلَيْهِ الْكُتُبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ كُلُّ النِّقْمَةِ، فَشَرَعُوا يَسْتَشِيرُونَ رَأْيَهُ فِي مَسَائِلَ شَتَّى. ٥٤. يَنْصُبُونَ لَهُ الْحَبَائِلَ لِيَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ مَا مِنْ فِيهِ».

كَلَامُ يَسُوعَ هَذَا فِي ذَمِّ الْفَرِيسِيِّينَ وَالْكُتُبَةِ وَعِلْمَاءِ التَّوْرَةِ، وَفِي لَعْنِهِمْ، وَإِدَانَةِ عَمَلِهِمْ وَاضِحٌ؛ وَوَاضِحٌ أَيْضاً مَوْقِفُ الْيَهُودِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ النَّاسَ أَثْقَالَ شَرِيعَةِ مُوسَى وَتَعَالِيمِ التَّوْرَةِ وَتَقَالِيدِ السَّلَفِ، وَهُمْ لَا يَمَسُّونَهَا... لِهَذَا قَالَ يَسُوعُ بِأَنَّ الْيَهُودَ سَيُحَاسِبُونَ عَلَى جَرَائِمِ التَّارِيخِ، بِسَبَبِ تَمَسُّكِهِمْ بِتَعَالِيمِ التَّوْرَةِ وَتَقَالِيدِ السَّلَفِ.

١٤. قُلُوبُ الْحَقِّ (١٢ / ١) «فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ، احْتَشَدَتْ عَشْرَاتُ الْأُلُوفِ مِنَ الْجُمُوعِ، حَتَّى دَاسَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً؛ فَبَدَأَ يَسُوعُ يَقُولُ لِتَلَامِيذِهِ: احْذَرُوا أَوَّلًا خَمِيرَ الْفَرِيسِيِّينَ، احْذَرُوا الرِّيَاءَ!».

يبدو أنّ رياء الفريسيين أدهى وأعظم من كل رياء. وقد سلّط لوقا عليه الضوء أكثر من غيره من الإنجيليين، إذ اعتبره "خمير" الفريسيين. لقد فهم الفريسيون موقف يسوع منهم. فقامت قياמתهم عليه، يدعون إلى المحافظة على شريعة موسى وتعاليم التوراة؛ ولو على حساب تهديم الإنسان وهلاكه. ويسوع جاء من أجل خلاص الإنسان لا من أجل الحفاظ على الشريعة وتعاليم التوراة والأحبار.

١٥. شفاء حدباء يوم السبت (١٣/١٠-١٧)

«١٠. وكان يسوع يعلم في مجمع يوم السبت. ١١. وكانت هناك امرأة أسقّمها روحٌ منذ ثماني عشرة سنة، فاحدودبتُ، وأعيا عليها الاستواء. ١٢. وأبصرها يسوع، فدعاها وقال لها: يا امرأة! لقد عُوفيتِ من سقّمكِ. ١٣. ووضع عليها يديه، فإذا هي تستوي، وتُمجّد الله. ١٤. واغتاظ رئيس المجمع، لأنّ يسوع قام بشفاء يوم السبت، فقال للمجمع: لديكم سنّة أيام للعمل، فتعالوا واستشفوا فيها، لا في يوم السبت. ١٥. قال الربّ: أيّها المراءون، ألا يحلُّ كلُّ منكم عقال ثوره، أو حماره، يوم السبت، وينطلق به من المَعْلَف لِيَسْقِيَه؟ ١٦. وابنة إبراهيم هذه، التي عقّلها

الشيطان منذ ثمانِي عشرة سنة، ألا ينبغي فكُّ عقالها يوم السبت؟ ١٧. قال هذا فخزيّ جميعُ خصومِه، وسرُّ الجمعِ كُلِّهِ بجميع ما كان يأتي على يده من عملٍ مجيدٍ.

يعلّقُ إونجليون: "شعب التوراة أشبه بهذه الحدياء، ويسوع يُفهم هذا الشعب أنّه قادر على شفائه، وفكُّ عقاله، على ما أعلن الأنبياء (عا ٩/١١؛ رسل ١٥/١٦)". يسوع قام، في رأي الرؤساء والأحبار، بما لا يحقُّ له القيام به؛ فيما الجميع من عامّة الشعب المظلومين يُسرّون بما قام به، رافضين بذلك، شريعة موسى والدين اليهودي، وتعاليمهما، اللّذين كانا سبب ظلمهم وقهرهم.

١٦. شفاءُ مُستسقيّ يوم السبت (١٤/١-٦) «١». وفي أحدِ السبوت، دخلَ يسوعُ دارَ أحدِ الرؤساءِ الفرّيسيّين لتناولِ الطعام -والحاضرون يُراقبون- ٢. وإذا بمُستسقيّ بين يديه. ٣. خاطبَ يسوعُ علماء التوراة والفرّيسيّين قال: أيجوزُ الشفاءُ يوم السبت أم لا؟ ٤. فأطرقوا. فأخذ السقيم بيده، وشفاه، وصرفه. ٥. ثم قال لهم: مَنْ منكم يقعُ ابنُه، أو ثورُه، في بئرٍ، يوم السبت، ولا يسارعُ فينتشله؟ ٦. فأعيا عليهم الجواب.

يعلّق إونجليون: "كان يسوع يقبل دعوة الفرّيسيّين إلى الطعام^(٨)، ويجادلهم^(٩). جادلهم أربع مرّات في انتهاك حرمة السبت: في قلع السنابل^(١٠)، وفي شفاء أشل^(١١)، وشفاء حدباء (لو ١٣ / ١٠-١٧)، وشفاء مستسق (لو ١٤ / ١-٦). ويدور الجدل كلّهُ (لو ١٤ / ١-٢٤) في دار الفرّيسيّ، أثناء تناول الطعام".

إنّ في ذلك دليلاً ساطعاً على رفض يسوع لشرعية السبت، ودليلاً على الاختلاف الحاصل بينه وبين اليهود. فلأنّ يسوع تعمّد إظهارَ هذا الاختلاف برفضه تعاليم التوراة في أقدم شريعة فيها، أي شريعة السبت، وفي بيت أحد من يمثّل الحفاظ على تطبيق الشريعة.

١٧. يسوع يُرَحِّب بالخطاة (١٥ / ١-٢) «١». كان الجُباة والخطاة يدنّون جميعاً من يسوع ليُسمعوه، ٢. وكان الفرّيسيّون والكتبة يتذمّرون ويقولون: هذا الرجلُ يستقبلُ خطاة ويؤاكل!».

(٨) لو ١١ / ٣٦؛ ١١ / ٣٧.

(٩) لو ١٧ / ٥؛ ٣٩ / ٦؛ ١١ / ٦؛ ٣٦ / ٧؛ ٥٠ / ١٣؛ ٣١-٣٢.

(١٠) لو ١٥ / ٦؛ متى ١٢ / ١-٨؛ مر ٢ / ٢٣-٢٨.

(١١) لو ١١-٦ / ٦؛ متى ١٢ / ٩-١٤؛ مر ٣ / ١-٦.

جمهور يسوع كان الجبابة والخطاة؛ أما الأخبار ورجال الدين فكانوا خصومه، ويطربصون به شرّاً، بسبب أنه خالف تعاليم التوراة وتكاليف الدين.

هنا يعلّق إونجليون: "الآيتان (١ و ٢) مقدّمة لكلّ ما في الفصل من جدال بين يسوع والفرّيسيّين، لأنّ يسوع يستقبل جبابةً وخطاةً (٥ / ٣٠؛ ٧ / ٣٤)".

يسوع يستقبل الخطاة، يؤاكلهم، ويشاربهم، ويحدثهم... وهذا كلّه مخالفة للشرّعة ولتعاليم الدين. وكأنّ يسوع كان يتعمّد ذلك. وبالفعل صنع كلّ ذلك في بيت فرّيسيّ، وأحياناً أيّام السبت، ما يخالف الشرّعة اليهوديّة مخالفة مباشرة، وقد تكون متعمّدة.

١٨. التوراة وملكوت الله (١٦ / ١٤-١٥) «١٤.

وكان الفرّيسيّون، هواة المال، يسمعون كلّ هذا الكلام، ويتهمون. ١٥. فقال لهم يسوع: أنتم تتظاهرون بالبرّ للناس، والله بما في قلوبكم عليم. الرّفيّع عند الناس رجسٌ في نظر الله».

يعلّق إونجليون: "يصف يسوع الفرّيسيّين بالرياء: يتشدّدون في الحفاظ على أوامر الشرّعة ونواهيها طلباً

لمجد الناس، ومكاسب الدنيا. يذكّر كلام يسوع بحكماء العهد القديم^(١٢). " لهذا قال فيهم : «تتظاهرون»، أي تظهرون للناس غير ما تخفون؛ أي أنتم مع الناس على غير ما أنتم عليه مع الله. من هنا كنتم أعظم الناس رياء.

١٩ . الفرّيسيّ والجابي (١٨ / ٩ - ١٤) « ٩.

وضرب يسوع هذا المثل في مَنْ هم على ثِقَةٍ من برارتهم؛ ويحتقرون الآخرين، قال: ١٠. صعد إلى الهيكل اثنان، فرّيسيّ وجابٍ، لكي يُقيما الصلاة. ١١. وانتصب الفرّيسيّ يُصلي في سرّه هذه الصلاة: لك الحمد، يا الله، فما أنا كسائر الناس، أو كهذا الجابي: ما أنا بجشعٍ ظالمٍ زانٍ، ١٢. وأصوم في الأسبوع يومين، وأؤدّي العُشرَ عن كلّ دخلي. ١٣. أمّا الجابي فوقف بعيداً، وهو يابى حتّى رَفَعَ عينيه إلى السماء، وأخذ يقرع صدره ويقول: اللّهم، اصفح عني، أنا الخاطيء!. ١٤. ألا إنّي أقول لكم: نزل الجابي باراً إلى بيته، دون صاحبه. فكلُّ مُتعالٍ إلى ضِعة، وكلُّ مُتَضِعٍ إلى علوّ.

يعلّق إونجليون: " صلاة الفريسيّ هي صلاة البارّ (مز ١) يعدّد فيها أعماله الصالحة: الصوم، وأداء العشر (٣٣/٥؛ ٤٢/١١)، ويرى في أعماله تلك عطية من الله تجعله أكمل من غيره، ويشكره عليها. النقص في صلاة الفريسيّ اعتقاده أنّه كاملٌ لا عيب فيه، بارٌّ بأعمال يقوم بها، ضامنٌ خلاصه. أمّا صلاة الجابي فهي صلاة صاحب المزامير (مز ٥١) يعترف فيها أنّه خاطئٌ دون أن يعدّد خطاياها، ويتّضع لله سائلاً الرحمة والغفران ".

يقف يسوع مع الجابي لتواضعه وإظهار نواقصه وحقيقة وضعه، ويقارنه بذاك الفريسيّ الذي يعتبر نفسه كاملاً بارّاً. الله يمقتُ، في نظر يسوع، المتكبرين الذين يظنون براءتهم، وهم ليسوا، لريائهم، أبراراً. فيما الله يحبّ الإنسان الوضيع مهما كان خاطئاً.

٢٠. يا معلّم ازجرُ تلاميذك (١٩/٣٨-٤٠) «٣٨.

وكانوا يقولون: مبارك الملكُ الآتي باسم الرب! سلامٌ في السماء، ومجدٌ في الأعالي! ٣٩. قال فريسيّون من الجمع: يا معلّم، ازجرُ تلاميذك. ٤٠. قال: لكم أقول: لو سكتوا هم لهتفتِ الحجارة».

لم يكنِ الفرّيسيّون راضين عن موقف التلاميذ، ولا عن كلامهم في تمجيد معلّمهم وتعظيمه. لهذا انزعجوا من يسوع ومن تلاميذه؛ ليس فقط بسبب تعاليم يسوع المخالفة لتعاليمهم، بل بسبب تعظيم التلاميذ لمعلّمهم، وكأنّه نبيّ صاحب شريعة إلهيّة، مثله مثل موسى.

٢١. الأبحار يسعون إلى قتل يسوع (١٩/٤٧) -
(٤٨) ٤٧. وكان يُعلّم في الهيكل كلّ يوم. وكان الأبحار والكتبة وأعيان الشعب يسعون إلى أن يُهلكوه. ٤٨. وما كانوا يَهْتَدُون إلى ما يفعلون، لأنّ الشعب كلّهُ كان يُصغي إليه مفتوناً.

يعلّق إونجليون: "يشدّد لوقا على تردّد يسوع إلى الهيكل طوال هذه المدّة الأخيرة من رسالته، وما تردّد ليقوم بفرائض العبادة، بل ليعلمّ الشعب. وبه اقتدى تلاميذه من بعده (رسل ٥/٢٠-٢١)".

قبل ذلك كان يسوع قد دخل الهيكل وأخذ يطرد الباعة منه، "لأنّ الهيكل بيت صلاة وعبادة، لا تطهيراً له كما يعود موضع العبادة اليهوديّة القديمة، التي انتهت زمانها. ورأت السلطات اليهوديّة في عمل يسوع اعتداء

على صلاحياتها، وإنذاراً بتدمير الهيكل، فصممت على قتله، وعلى قتل اسطفان من بعده (رسل ٦/١٣-١٤)، وقتل بولس (رسل ٢١/٢٨) .

الهيكل لا يهّم يسوع كثيراً؛ إنّما عبادة الله، أكانت في الهيكل أم خارجه، هي الأهمّ. فيما القداسة عند اليهود هي للهيكل. لهذا صمّموا على قتل يسوع، لأنّهم رأوا في كلامه تهديداً وإنذاراً بتدمير الهيكل، ولأنّ يسوع، في موقفه هذا، يدمّر التوراة ومقدّساتها أيضاً. لهذا كانت العداوة بينه وبين القيمين عليها على أشدها.

٢٢ . بأيّ سلطان؟ (٢٠/١-٢) «١. في أحد الأيام، وبينما كان يسوع يُعلّم الشعب في الهيكل، ويُبشّر، وافاه الأحبار والكتبة والشيوخ، ٢. وقالوا له: قلّ لنا: بأيّ سلطان تفعل ما تفعل، أو من آتاك هذا السلطان؟».

يعلّق إونجليون: "الأحبار والكتبة والشيوخ ذوو السلطان الشرعيّ في شعب الله، ولذا أنكروا على يسوع سلطانه. ويسألهم يسوع لماذا رفضوا سلطان يوحنا المعمدان، فخالفوا مشيئة الله (٧/٣٠)، وانفصلوا عن شعب الله الذي آمن بيوحنا نبياً (٢٠/٦)، وكأنّه يُنكر

عليهم سلطانهم، مَنَّاَهُم مَنَّاَ الكَرَّامين الذين قتلوا الابن الحبيب، فانتزع الله منهم سلطانهم وأهلكهم (١٦/٢٠) ".
ثم هل يبغى الأُحبارُ دليلاً أسطع ممَّا يفعل يسوع مع المرضى من شفاءات، ومع الخطاة من مغفرة لخطاياهم! حتَّى يتجرَّأوا على سؤال يسوع عن سلطانه وعن مصدر هذا السلطان؟!

ولكنَّ العداوة بين الطرفين أخذتْ تشتدُّ وتقوى.

٢٣ . مَنَّاَ الكَرَّامين القتلة (٢٠/١٩-٢٠) بعدما أرسل ربَّ الكرم عبيداً ليعطوه من ثمر الكرم، فقتلوا من قتلوا، «١٩. ساعتها سعى الكتبةُ والأُحبارُ أن يُلْقوا القبض عليه (الابن)، ولكنهم خافوا الشعب. لقد أدركوا أنَّه عناهم بهذا المثل، ٢٠. وترصدوه، وأرسلوا جواسيسَ يتظاهرون بالبرِّ، عساهم يجدون، في كلمةٍ منه، مأخذاً عليه، فيُسَلِّمونه إلى أمر الوالي وسلطانه».

يعلِّق إونجليون: " لا يحدِّد لوقا هويَّة الجواسيس، وإن كان يوضح قصدَهم، وهو تسليم يسوع لأمر الوالي ".
في هذا المثل، يشير لوقا إلى نيَّة الأُحبار اليهود في تسليمهم يسوع إلى الوالي الروماني، ليحكم عليه بالقتل.

وهذا ما حدث. وهذا هو المنتظر، بسبب الخلاف الدائم والحاصل بين يسوع وبين الكتبة والأحبار في أمور الدين وتعاليم التوراة والشرعة.

٢٤. **إحذروا الكتبة** (٢٠/٤٥-٤٧) «٤٥. وقال لتلاميذه، بمسمع من الشعب كله: ٤٦. **إحذروا كتبة** يريدون التجوال بالحُللِ الضَّافيات، والتَّحِيَّاتِ في الساحات، وصدورَ المجالسِ في الجامع، وأوائلَ المتكآت في الولايم، ٤٧. **بيوت الأرامِلِ يَلْتَهُمون، والصلاة دَجَلًا يُطيلون، فيا لصرامةِ عقابِ سوف يُقاسُون.**»

يصف يسوع الكتبة هنا، وهم إحدى فئات رجال الدين، بأنهم يخدعون الناس، بما يلبسون، ويتظاهرون بالبرِّ والتقوى في تطويل صلاتهم، ومساعدة الأرامِل واليتامى والمساكين. إلا أنَّهم، في حقيقتهم، يعملون كل ذلك رياءً وخبثاً. فالويل لهم لريائهم وخبثهم.

يبدو أنَّ الخبث والرياء أبرز صفات الأحبار التي تبعدهم عن الله. ويبيِّن يسوع فسادهم بسبب هاتين الصفتين الممقوتتين جدًّا، لأنَّهما تجعلان من الإنسان مكرًّا غير صريح، لا مع الناس فحسب، بل مع الله أيضاً.

٢٥ . المؤامرة (٢٢ / ١ - ٤) « ١ . وقَرُب عيدُ القَطِيرِ،
الذي يُدعى الفِصْحُ! ٢ . وكان الأَخبارُ والكَتَبَةُ، في خَوْفِهِم
من الشعب، يَتَلَمَّسون كيف يَقضُون على يسوع. ٣ . ودخل
الشَّيْطَانُ في يَهُوذَا، المعروف بالإسْخَرِيوطيَّ، وأحدِ الإِثْنِي
عَشَرَ، ٤ . فذهبَ، وفاوَضَ الأَخبارَ، وقادةَ الحَرَسِ، كيف
يُسَلِّمُ إليهم يسوع.»

لم يكن الإسْخَرِيوطيَّ سوى آلة بيد الشَّيْطَانِ
والأخبار والكتبَة. هؤلاء هم أعداء يسوع، منذ البدء؛
والإسْخَرِيوطيَّ يَنفِذ ما شاءوا لطمعه بالمال، أكثر من
بغضه للمعلِّم. فالمال، كما قال يسوع، ربٌّ ثانٍ، ويهوذا كان
يعرف أكثر من سواه أَهَمِّيَّتَه، لأنَّه كان أَمِيناً على الصندوق.
فالأعداء إذاً هم الأَخبار، وليس يَهُوذَا، الذي يَنفِذ رغباتهم.
إنَّ يسوع جاء لينقِض دورهم في الشعب، ويلغي تعاليمهم.

٢٦ . القبض على يسوع (٢٢ / ٥٢) «ثُمَّ قال يسوع
لِلْأَتَيْنِ إِلَيْهِ مِنَ الأَخبارِ، وقادة حَرَّاسِ الهيكلِ، والشَّيُوخِ:
إِلِصُّوا أَنَا فَتَخْرُجُوا عَلَيَّ بِسَيُوفٍ وَعِصِيٍّ؟!»

يَعْلُقُ إِنْجِيلِيون: "يتفرَّد لوقا، هنا، بذكر الأَخبار مع
الْأَتَيْنِ للقبض على يسوع. ومجيئهم غريب! قد يكون لوقا

أراد التشديد على مسؤوليّة الأُحبار وقادة حُرّاس الهيكل، في مقتل يسوع، فيعيد ذكرهم هنا مع يهوذا " .

فمسؤوليّة مقتل يسوع تقع كلّها على عاتق الأُحبار؛ والسبب معروف، وهو رفض يسوع لتعاليمهم وتعاليم توراتهم وتشريعاتهم، وتقاليدهم، مثل حرمة السبت، والختان، والرجم، والسنّ بالسنّ.. وما إلى ذلك، من تعاليم أتت بها التوراة، ووقف معها الأُحبار ضدّ يسوع وتعاليمه.

٢٧ . أمام المجلس (٢٢/٦٦-٦٧) «٦٦. وفي الصباح، انعقد مجلسُ شيوخِ الشعبِ أُحباراً وكتبةً، واستقدموا يسوع إلى مجلسهم، ٦٧. وقالوا له: إن كنتَ أنت المسيحَ فقلْهُ لنا. قال يسوع: إن قلتُ لكم فلن تؤمنوا...».

لا يزال يسوع يُقلق الأُحبار والكتبة، إذا كان هو المسيح الموعود به أم لا؟ وكان يسوع يجيبهم: إن قلت لكم بأنّي أنا المسيح فلن تؤمنوا. وهذا واضح من سيرتهم ومواقفهم ضدّ يسوع طوال حياته. فلماذا يقول لهم الآن ما رفضوه دائماً؟ وإذا ما قال لهم عن هويّته فهل يصدّقونه هم الذين يقفون مع تعاليم التوراة ضدّ تعاليمه؟!

٢٨ . إلى بيلاطس (٢٣ / ١-٢) « ١. وقاموا كلهم معاً، وذهبوا بيسوع إلى بيلاطس. ٢. وأخذوا يشكونه قالوا: لِقِينَا هَذَا الرَّجُلَ يَفْتِنُ أُمَّتَنَا، يَنْهِي عَنْ آدَاءِ الضَّرِيبَةِ إِلَى قَيْصَرٍ، وَيَدَّعِي أَنَّهُ مَسِيحٌ مَلِكٌ».

من الطبيعي أن تكون شكوى الأحرار اليهود على يسوع أمام بيلاطس الوالي الروماني، والشكوى تقوم الآن، لا لمخالفته أحكام التوراة، في رفض الختان وشرعية السبت وحسب؛ بل لادّعاء يسوع بأنّه ملك، كقيصر، أو أعظم، وبأنّه، بالتالي، ينهى عن أداء الضريبة إلى قيصر. وفي هذا دليل على ضعف حجّة الأحرار في الحكم على يسوع، لأنّهم ما اشتكوه إلّا بما يخصّ الرومان والقيصر.

٢٩ . أمام هيرودس (٢٣ / ٩-١٠) « ٩. وسأله (هيرودس) أسئلةً عديدة فلم يُجِبْهُ أَيَّ جَوَابٍ. ١٠. وكان الأحرار والكتبة واقفين يشكون، ويحتدّون».

يسوع لم يجب على أسئلة هيرودس، ولا على أسئلة الأحرار والكتبة، الذين كانوا يشكونه. فهو يعرف أنّهم يعرفون ما سيجيبهم عليه؛ ولكنّهم لا يصدّقونه إذا ما

أجابهم؛ فالأفضل له، إذًا، ألاّ يعرض نفسه لتهمة الكذب والرفض مرّة أخرى.

٣٠. قرار بيلاطس (٢٣/١٣-١٦) ١٣. ودعا بيلاطس إليه الأحبار والرؤساء والشعب؛ ١٤. وقال لهم: جئتموني بهذا الإنسان على أنّه يفتنّ الشعب. وما أنا قد استنطقته أمامكم، فلم أجد لهذا الإنسان أيّ ذنبٍ ممّا تشكّونه به، ١٥. ولا هيرودس وجد، إذ قد أعاده إلينا. فهذا إذًا لم يأت ما يستوجب الموت. ١٦. سأؤدّبه، ثم أطلق سراحه».

واضح ببيلاطس في حكمه، فهو المسؤول الرومانيّ الوثني الذي كان أرحم بيسوع من الأحبار اليهود الذين يدّعون معرفة مشيئة الله والتكلّم باسمه وباسم الشريعة والتوراة. لهذا قرّر أن يطلق سراحه. وبالفعل "حاول بيلاطس ثلاث مرّات إطلاق سراح يسوع (١٦، ٢٠، ٢٢)، وذلك: بإعلانه براءة يسوع، وإحالته إياه على هيرودس، ومحاولة استبدال الموت بالتأديب، وبراءاً بيسوع".

إله الأحبار والتوراة، على ما يبدو، كان أكثر ظلماً على يسوع من بيلاطس الوثني والشريعة الرومانيّة.

٣١ . الصلب (٢٣/٣٥-٤٠) » ٣٥. وكان الشعبُ قائماً هناك ينظر، وكان الرؤساء أنفسهم يتهكمون قائلين: خلّص غيره، فليُخلّص نفسه، إن يكن مسيحَ الله، ذلك المختار! ٣٦. وكان الجندُ أيضاً يسخّرون، يدنّون منه، ويُقدّمون له خلاً: ٣٧. ويقولون: إن كنتَ أنتَ ملكَ اليهود فخلّص نفسك! ٣٨. وكان قد كُتِبَ فوقه: هذا ملكُ اليهود. ٣٩. وكان أحدُ المجرمين المصلوبين يشتم يسوع قائلاً: ألسنتَ أنتَ المسيح؟ خلّص نفسك، وخلصنا! ٤٠. فانتهره المجرمُ الآخر، قال: أوّما تخاف الله؟».

لا يزال رؤساء الشعب والأحبار يسخرون من يسوع ويتهكمون عليه، حتّى آخر لحظة من حياته، وهو معلّق فوق الصليب، بين لصّين. الجنود الرومانيون يسخرون منه أيضاً، والأحبار والمتكلّمون باسم الله أيضاً.. أمّا الشعب فكان «قائماً ينظر». إنّه، كما يقول شراح إنجيليون: "شعب العهد المؤمن برسالة يسوع"^(١٣). هذا الشعب شعر بالأمس ويشعر اليوم بأن يسوع كان يحبّ الإنسان، يعتني بالمرضى، يرقّ للمساكين والفقراء..

٣٢ . على طريقِ عَمَّاوُس (٢٤/١٧-٢١) «١٧. قال (يسوع) لهما (أي لتلميذَي عَمَّاوُس): بِمَ تتحدّثان، وأنّما تَسيران؟ فوقفا عابِسَيْن. ١٨. ثمّ قال أحدهما، واسمُه كَلْيُوباس: أتكُونُ وحدَكَ غريباً عن أورشليم، جاهلاً ما حدّث فيها هذه الأيام؟ ١٩. قال يسوع : وما حدّث؟ قالوا: ما كان من أمرِ يسوعَ الناصري، ذاك النبيّ القويّ قولاً وفعلًا قدّامَ الله والشعبِ كلّه، ٢٠. وكيف أسلمَه أحبارُنا ورؤساؤنا ليُحكَمَ عليه بالموت، وكيف صلبوه. ٢١. وكنا نحن نرجو أن يكونَ هو مَنْ سيّفدي إسرائيل. زدْ على كلِّ ذلك أن هذا هو اليومُ الثالثُ بعدَ تلك الأحداثِ».

يعترف تلميذا عَمَّاوُس بتسليم الأحرار والرؤساء اليهودِ يسوعَ إلى السلطات الرومانيّة ليحكموا عليه بالموت صلباً. ويعلنان أيضاً أنّ يسوع كان بارّاً تقيّاً، جاء يفدي إسرائيل، ويخلّصه من أعدائه، ومن حكم الشرعيّة الموسويّة، ومن حكم الرومان. هذان التلميذان كانا يعترفان بأنّ يسوع كان نبيّاً قوياً قولاً وفعلًا؛ فيما القيّمون على التوراة لم يفهموا من تعاليمها شيئاً.

عند هذا الاعتراف توقّف لوقا عن الكلام برفض يسوع الشريعة اليهوديّة، وبرفض اليهود تعاليم يسوع. لم يطل لوقا الكلام أكثر، لأنّه لم يكن يهوديّاً، ولم يعانٍ من ثقل الشريعة اليهوديّة عليه مثل غيره.

لهذا، فهو لم يقدر ضغط الدين اليهودي على الإنسان. فلم يتوسّع في رفض يسوع اليهوديّة والأحبار اليهود وذمّهم. لقد سرد وقائع أكثر من إظهاره المعاناة. ولهذا أيضاً تكلم لوقا، وبالغ في كلامه، عن شموليّة الخلاص لجميع الأمم. لهذا كان كلامه عن مولد يسوع ابتداءً من أوّل البشريّة...

الفصل الرابع

يسوع في إنجيل يوحنا

١. لم يكن في حساب يوحنا الإنجيلي أن يُظهر موقف يسوع الرافض لتعاليم التوراة والدين اليهودي، كما فعل سائر الإنجيليين، لأنّ همّ يوحنا كان إظهار هويّة يسوع الإلهيّة. فهو كلمة الله الأزليّة، الذي جاء ليخلص الناس أجمعين. وكان جلّ همّه أيضاً التشديد على حقيقة التجسّد ودوره الخلاصيّ، من دون اهتمامه بخلفيّة رفض يسوع للشرعية الموسويّة.

ومع هذا، لم يتورّع يوحنا عن الكلام على مواقف يسوع ضدّ اليهوديّة ورفض شريعتها وتعاليمها وتقيد الإنسان بشرائع أنزلت عليه باسم الله.

٢ . آية الهيكل (١٥/٢) «فجدل (يسوع) سوطاً من حبال، وطردهم جميعاً من الهيكل، طرد الغنم والبقر، وبدّد نقود الصيارفة، وقلب مناظدهم».

يعلّق إونجليون بقوله: " طرد يسوع الغنم والبقر بالسوط، أمّا البشر فما ضربهم؛ بدّد نقودهم، وقلب مناظدهم، وخاطبهم بالكلمة، لأنّ يسوع يحترم الإنسان، ولو شدّد. أتى يسوع عملاً نبوياً إصلاحياً، فكان أهمّ سبب لحقد الكهنة عليه ومطالبتهم في أورشليم بصلبه ".

٣ . شفاء مفلوج يوم سبت (١٨-٨/٥) «٨. قال يسوع له (للمفلوج): قُمْ، واحمِلْ فراشك، وامشِ. ٩. فشفي الإنسان لوقته، وحمل فراشه، ومشى. وكان ذلك اليوم سبتاً ١٠. فقال اليهود للمعافى: إنّه سبت، فلا يجوز لك حمل فراشك. ١١. قال المعافى: ذاك الذي شفاني قال لي: احمِلْ فراشك، وامشِ. ١٢. قالوا: وأي إنسان قال لك: احمِلْ فراشك، وامشِ؟ ١٥. فمضى المعافى إلى اليهود، وأخبرهم أنّ يسوع هو الذي شفاه. ١٦. فصار اليهود يطاردون يسوع. ١٧. وردّ عليهم يسوع: أبي لا ينفكّ يعمل، وأنا أيضاً أعمل. ١٨. فازداد اليهود سعيّاً لقتله، لأنّه ما كان يكتفي بانتهاك حرمة السبت، بل يدعو الله أباه».

هنا، كما يعلّق إنجيليون "أول صدام جدّي، في إنجيل يوحنا، بين يسوع والسلطة اليهوديّة. وسوف يتفاهم هذا الصدام، ويبلغ ذروته في الفصول (٧-١٠)، وفي الحكم على يسوع بالقتل (١١/٤٧-٥٣) .

وسبب الصدام معروف، وهو أنّ يسوع لم يحترم شريعة السبب فحسب، بل لم يحترم سموّ الله على الإنسان. فيسوع ساوى نفسه بالله الكلّي القدرة والمعرفة. وهذا شرك وكفر بالله وبالشرعية اليهوديّة كلّها.

لهذا، لا بدّ من أن ينال يسوع جزاءه، بحسب الشريعة، وبحسب غيره القيمين عليها وبطشهم.

٤ . يسوع يصعد سرّاً إلى العيد (١/٧) «وكان

يسوع، بعد ذلك، يطوف في الجليل، ويأبى الطواف في اليهوديّة، حيث كان اليهود يبتغون قتله.. فقال له إخوته: اذهب من هنا، وسرّ إلى اليهوديّة، فيرى تلاميذك أيضاً ما تأتيه من أعمال».

منذ البداية، كان يسوع يتفادى الأحبار والرؤساء اليهود الذين يريدون قتله، لأنّه، كما يبدو، كان يعلم غير تعاليمهم، وكان يقف من الشريعة غير موقفهم، وكان يتجرّأ على دعوة الله أباه. لهذا «أبى الطواف في اليهوديّة»،

ونذهب إلى قرى الجليل. أمّا إخوته فيريدون أن يشهد لما من أجله أتى في اليهودية أولاً لا في الجليل. إلا أن يسوع، عند يوحنا، يعلم، قبل سواه، متى تأتي الساعة، ومتى يجب أن يحزم أمره ويعلن وقت رسالته، وأين يعلنها.

٥ . حيرة في أمر يسوع (١١/٧-١٣) «١١». وكان اليهود يبحثون عن يسوع في العيد، ويقولون: أين هو ذاك؟ ١٢. وكان في الجمع تهاؤسٌ عليه كثير، فمن قائل: "إنه صالح"، ومن قائل: "لا، بل هو يُضللُّ الجمع". ١٣. وما كان أحدٌ يجاهر برأيه فيه خوفاً من اليهود».

لماذا كان اليهود يبحثون عن يسوع؟ الجواب : لأن يسوع عمل أعمالاً تخالف تعاليم التوراة، كما تخالف مواقف الرؤساء والأحبار. لذلك نوا به شرّاً، بل نوا أن يقتلوه. لهذا ما كان أحدٌ يجاهر برأيه فيه خوفاً منهم، ومن الشريعة التي تقضي بقتله، وقتل من يخفي علمه به.

٦ . الختان يوم سبت (٢٢/٧-٢٣) «٢٢». أعطاكم موسى الختان -وما هو الذي أعطى، بل الآباء-، وتختنون إنساناً يوم سبت. ٢٣. فإن يُختن إنسانٌ، يوم سبت، لئلا تُخالفَ توراَةُ موسى، أفتسخطون عليّ لأنّي شفّيتُ إنساناً من كلّ ما به يوم سبت؟».

يعلّق إونجليون: " يخن اليهود يوم سبت، إذا كان اليوم الثامن (لولادة الطفل)، ويسوع يشفي يوم سبت. كان علماء الشريعة يجيزون العناية بالمريض، يوم سبت، إذا كان في خطر الموت، ويجيزها يسوع في كلّ مرض. يعتمد يسوع برهنة علماء الشريعة، ولكنّه لا يضيق تضيقهم ".

٧ . الفرّيسيّون يبغون اعتقال يسوع (٧/٢٥-٣٦) «٢٥. وكان قوم من أورشليم يقولون: أليس هذا من يبتغي الرؤساء قتله؟ ٣٠.. وكانوا يبغون اعتقاله، ولكنّ أحداً لم يقبض عليه. ٣١. وآمن به من الجمع عددٌ كثير، وكانوا يقولون: إذا ما جاء المسيح، أفيأتي من الآيات بأكثر ممّا أتى به هذا؟ ٣٢. وبلغ مسامع الفرّيسيّين ما كان يتهامس به الجمع في شأن يسوع، فأرسلوا هم والأحبارُ حرساً لاعتقال يسوع».

لم يتورّع يوحنا عن الكلام على نيّة الفرّيسيّين في اعتقال يسوع، وتسليمه للسلطات الرومانيّة، والحكم عليه بالموت. والسبب هو رفض يسوع لشريعة التوراة، من أجل الإنسان، حتّى ولو كان ذلك يوم سبت، أي نكاية بالتوراة وبالقيمين عليها.

٨ . أَتُرْجَمُ الزَّانِيَةُ؟ (٨ / ١ - ١١) «٣. وأتاه الكتبة والفريسيون بامرأة دُهِمَتْ تَزْنِي، وأقاموها في الوسط. ٤. وقالوا: أَيُّهَا الْمَعْلَمُ، ذَهَبَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ فِي زَنْىَ مُشْهُودٍ، ٥. وتوراة موسى تَقْضِي عَلَيْنَا بِرْجَمٍ أَمْثَالِهَا، فما تقول أنت؟.. ١١. فانتصب يسوع وقال: أَيْنَ هُمْ، أَيُّهَا الْمَرْأَةُ؟ أَمَا دَانَكَ أَحَدٌ؟ قَالَتْ: مَا دَانَنِي أَحَدٌ، سَيِّدِي. قال يسوع: وَلَا أَنَا أَدِينُ رُوحِي، وَلَا تَعُودِي تَخْطِئِينَ».

يعلق إونجليون: "تقضي التوراة برجم امرأة تؤخذ في جرم الزنى المشهود، ويعرف الكتبة والفريسيون أن يسوع يؤثر الرحمة على أحكام التوراة الصارمة، ولهذا أتوه بزانية، وسألوه رأيه، لعله يخالف التوراة، في موقف علني، فيمكنهم الحكم عليه. ولكن يسوع وقف موقف الرحمة، وخزى الكتبة والفريسيين! اختصر أغوستينوس المشهد قال: لم يبق سوى اثنتين: مسكينة ورحمة!"

نحن هنا أمام مشهد صارخ ضدّ تعاليم التوراة وعادات الشيوخ والأحبار. إزاء هذا المشهد، لم يتورّع يسوع من أن يكون مع محبة الإنسان أكثر ممّا يكون مع الدفاع عن الشريعة. فالإنسان، هنا، وفي تعاليم يسوع عادةً، أولى من الله نفسه، لأنّه هو الوسطة إلى الله.

٩. لو كان الله أباكم لأحببتموني (٨ / ٣١ - ٥٩)
« ٣١. قال يسوع لليهود آمنوا به^(١). ٤١. إنكم أعمال أبيكم تعملون. قالوا: نحن لسنا أولاد فجور. لنا أب واحد هو الله. ٤٢. قال يسوع: لو كان الله أباكم لأحببتموني، لأنني أنا من الله خرجت. وأتيت. وما من تلقائي أتيت، بل هو أرسلني». يعلق إونجليون: "يشدد اليهود على أنهم شعب الله، والله أبوهم. يعترض اليهود على يسوع، ويؤكدون أمانتهم لعهد الله، ولكن يسوع يصرّ على أنهم أولاد الشيطان (٨ / ٤٤) "، وأولاد فجور. والفجور، في لغة الأنبياء، خطيئة شعب الله المتكررة، وتعني خروجه على عبادة الله الأحد^(٢).

فهل بعد هذا الكلام من هدنة وسلام بين يسوع واليهود؟. هو لم يقدر عليهم، أمّا هم فقدروا عليه، لتسلّحهم بالدين وبتعاليم التوراة. لقد انتصروا عليه، لأنهم حاربوه باسم الله وباسم الدين والتوراة والأنبياء والناموس.. ولكنهم انتصروا إلى حين.

(١) وما آمن هؤلاء اليهود بيسوع إلا بصعوبة، لأن إيمانهم به كان تنازلاً عن بعض تقاليدهم

(٢) ر: هو ١-٣؛ إر ٣-١؛ أش ٥٧-٧؛ حز ١٦-٣٣.

١٠ . شفاء أعمى يوم سبت (٩/١٣-٢٤) «١٣. ذهبوا به، هو الذي كان أعمى، إلى الفرّيسيّين. ١٤. وكان يسوع قد جبل طيناً، وفتح عينيه يوم سَبَت. ١٥. وعاد الفرّيسيّون يسألونه كيف أبصر، فقال: وضع طيناً على عينيّ، واغتسلتُ، وأبصر. ١٦. قال فرّيسيّون: ليس هذا الإنسانُ من عند الله، فهو لا يرعى حُرْمَةَ السَبْتِ.. ٢٤. وعاد الفرّيسيّون، فدعوا بذاك الذي كان أعمى، وقالوا له: مَجِدِ الله! نحن نعلمُ أنّ هذا الإنسانَ خاطئٌ»...

مرّة أخرى لا يرعى يسوع حُرْمَةَ السبت؛ ومرّة أخرى ما كان على الفرّيسيّين إلّا ملاحقة يسوع ومطاردته بسبب ذلك. هم يقدّسون السبت على حساب الإنسان، ويسوع يقدّس الإنسان على حساب السبت، بل على حساب الشريعة التوراتيّة برمّتها. والصدام، بسبب ذلك، سيقوم، ويطول، وسيؤدّي حتماً إلى الصليب والموت.

١١ . الرّاعي الصالح (١٠/١-١١/٨) «٨. جميعُ الذين أتوا (قبلي) سارقون ولصوص، ولم تسمعْ لهمُ النّعاج.. ٣٠: أنا والآب واحد. ٣١. عاد اليهود يتناولون حجارةً ليرجّموه.. ٣٩: وعادوا يبيغون اعتياله، فأقلت من يدهم. ٤٠. وعاد إلى عبْرِ الأردنّ.. ٧/١١. وبَعَدَهُما (أي

بعد يومين) قال (يسوع) للتلاميذ: عودوا بنا إلى اليهودية.
٨. قال التلاميذ: أعودُ إلى هنالك، يا معلّم، ولا يزال اليهودُ
يَبْغُونَ رَجْمَكَ؟»

يعلّق إونجيليون: "الرّاعي المثالي (الذي يتكلّم عليه
العهد القديم)^(٣)؛ يرسله الله في آخر الأزمنة ليرعى شعبه
بدل موسى، ويقوده إلى الخلاص (عد ٢٧ / ٢١). أمّا
السارقون واللصوص فهم المسحاء الدجالون،
والفرّيسيّون، والصدّوقيّون، والأحبار، وجميع قادة
الشعب اليهوديّ، وقد اصطدم يسوع بهم مرّات ومرّات،
ودعاهم «قادة عميان»^(٤).

لا بدّ من راعٍ غير موسى؛ لأنّ تعاليم موسى أدّت
إلى ما أدّت إليه. لهذا قام يسوع عليها وعلى موسى وعلى
مَنْ يتبع موسى من قادة الشعب اليهوديّ، الذين يضحّون
بالإنسان لحساب الشريعة.

موسى وأتباع موسى «قادة عميان»، «سراقون
ولصوص».. هؤلاء سمع لهم اليهود، فكيف يكون يسوع
بأمان وسلام معهم؟!

(٣) ٢: مل ٨/٧؛ مز ٧٨-٧٠؛ سي ١٢/٢-١٣؛ إر ٢٣/١-٤؛ ١٠/٣١؛ حز ٣٤؛

زك ١١/٤-١٧

(٤) متى ١٥/١٤؛ ١٦/٢٣؛ لو ١٥/١-٧؛ يو ٩/٣٩-٤١.

١٢ . قَتَلَ يَسُوعَ (١١/٥٣-٥٧) «٥٣. ومن ذلك اليوم قرَّرَ رأيَ الفَرِيسِيِّينَ على قَتْلِ يَسُوعَ. ٥٤. وامتنع يسوع عن التجوال علناً بين اليهود، واعتزلَ في بُقْعَةٍ متاخمةٍ للبريةِ، في مدينة يُقال لها إفرائيم.. ٥٦. وكانوا يبحثون عن يسوع، في الهيكل يتساءلون: ما تَظُنُّونَ؟ ألن يأتِيَ إلى العيد؟ ٥٧. وكان الأُحبار والفَرِيسِيُّونَ قد أصدرُوا هذا الأمرَ: على كُلِّ مَنْ يَعْلَمُ بمَقَرِّ يَسُوعَ أن يُخْبَرَ عنه، لكي يَعْتَقِلُوهُ».

مهما صنع يسوع من شفاءات وإقامة أموات، لا يزال اليهود يبحثون عنه ليعتقلوه. والسبب هو أن هذه الأعمال صنعها يسوع يوم السبت الذي لا يحقُّ له فيه أيَّ عمل أو حركة. لهذا أصدر الفَرِيسِيُّونَ والأُحبار أمراً باعتقاله. يريدون أن ينتهوا منه ومن تعاليمه في إلغاء شريعة السبت، ومن ادّعاءه الألوهية، ومن تفضيله الإنسان على الله.

١٣ . نوراً أُتِيَتْ إلى العالم (١٢/٣٧-٥٠) «٤٢. على أن كثيرين من رؤساء اليهود أنفسهم آمنوا بيسوع، ولكنهم لم يجهرُوا بإيمانهم لئلا يُقَصِّبَهُمُ الفَرِيسِيُّونَ عن المجمع؛ ٤٣. فقد استحبُّوا مجدَ الناسِ على مجدِ الله.. ٤٧.

إِنِّي مَا أَتَيْتُ الْعَالَمَ دَيَّانًا بَلْ مَخْلُصًا. ٤٨. مَنْ رَدَّلَنِي، وَلَمْ يَقْبَلْ أَقْوَالِي، فَلَهُ دَيَّانُهُ».

من الطبيعي أن ينقسم الشعب اليهودي، بسبب يسوع، إلى قسمين: قسم معه، وقسم عليه؛ لأنَّ يسوع قام بأعمالٍ من أجل الإنسان؛ واليهود يدافعون عن الله وشريعته التي قيّدت الإنسان. فما على بعض اليهود إذاً إلا أن يكونوا مع يسوع، لأنَّهم يحترمون الإنسان؛ وعلى بعضهم الآخر ضدَّ يسوع لأنَّهم يؤثرون حفظ الشريعة على محبة الإنسان. وهذا ما فاقم الخصام بين يسوع واليهود وأجج نيرانه. وموضوع الخصام هو الإنسان الذي جاء يسوع ليخلصه، لا الشريعة التي يظنَّ الناس أنَّه جاء ليكملها.

١٤. يسوع طريقنا إلى الآب (١٤/٦-١٤) «٦.

قال يسوع: أنا الطريق، والحق، والحياة. لا سبيلَ لأحدٍ إلى الآب إلا بي. ٧. إنَّ تَعْرِفُونِي تَعْرِفُوا أَبِي أَيْضًا، وَمَنْ الْآنَ تَعْرِفُونَهُ، وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ.. ٩. قال يسوع: مَنْ رَأَى رَأَى الْآبَ.. ١٠. أَلَا تَوْمَنُ أَنِّي أَنَا فِي الْآبِ، وَأَنَّ الْآبَ فِيَّ؟»..

يعلّق إونجليون: "كان المسيحيّون الأوّلون ينتظرون عودة يسوع، وتلاميذه أحياء. والكنيسة لا تزال

تنتظر عودة يسوع، في نهاية الزمان، وإشراكه المؤمنين في مجده الأبدي^(٥). وكأنّ يسوع، موسى الثاني، يحقّق إذاك خروجاً جديداً وأخيراً لشعب الله الجديد إلى أرض ميعاد جديدة في ملكوت الله السماوي^(٦).

وبهذا يكون يسوع قد أعلن نفسه ضدّ موسى، إذ جاء بخروجٍ جديد، وبعهدٍ جديد، وبشريعةٍ جديدة تقوم على محبة الإنسان واحترامه وخلاصه، لا على تكبيله وتقييد حرّيته والدفاع عن تعاليم التوراة وتقاليده السلف.

١٥. أمام عظيم الأُحبار (١٨/١٣-٢٧) «١٣».

وساقوه أولاً إلى حنّان، وهو حمو قيافا، عظيم الأُحبار تلك السنة. ١٤. وقيافا هذا هو من كان قد قام بهذا النصّح لليهود: إنّه لخيرٌ أن يموتَ إنسانٌ واحدٌ فدى الشعب^(٧).

ليس على عامّة الناس أن يحكموا على يسوع، لهذا ساقوه إلى حنّان عظيم أُحبار تلك السنة، وحنّان ساقه إلى قيافا، الذي قام بفتوى قتل يسوع فدى الشعب كلّهُ. والحكم على يسوع، سواء أكان من عامّة الشعب أم من الأُحبار، هو حكم تقضي به التوراة، وينفّذه القِيّمون عليها. فشريعة التوراة، إذًا، هي وراء موت يسوع؛ وقد حرص الرؤساء

(٥) ز: يو ١٤/١٨، ٢٣، ٢٨؛ ١٥/٢٦؛ ١٦/٧، ١٣، ١٦-٢٣.

عليها على تطبيقها، من أجل الله لا من أجل الإنسان.

١٦ . أمام بيلاطس (يو ١٨ / ٢٨-١٩ / ١-١٦)

٢٨. وجاء اليهودُ بيسوعَ فجراً من عند قيافا إلى دار الولاية. ولم يدخلوا دار الولاية، لكي يظّلوا طاهرين، ويأكلوا الفصح. ٢٩. فخرج إليهم بيلاطس، وقال: بِمَ تَشْكُونَ هذا الإنسان؟ ٣٠. قالوا: لو لم يأتِ قبيحاً لما أسلمناه إليك.. ١٩ / ٤. وعاد بيلاطس فخرج، وقال لليهود: ها أنا أُخرجُ إليكم لتعلموا أنني لم أجِدْ له أيّ ذنب.. ٦. ورآه الأحرار والحرس فصاحوا: اصْلِبْ اصْلِبْ. قال بيلاطس: خذوه أنتم واصلبوا، فأنا لا أجِدْ له ذنباً. ٧. قال اليهود: إن لنا تورا، وتقضي توراتنا هذه بموته، إذ ادّعى أنّه ابنُ الله.. ١١. قال يسوع (لبيلاطس): خطيئة من أسلمني إليك أعظم^(٦). ١٢. منذ ذاك صار بيلاطس يسعى لإطلاقه، ولكن اليهود كانوا يصيحون: إنْ تُطْلِقْهُ فلستَ صديقاً لقيصر! من ادّعى الملكَ ناهضَ قيصر! ١٣. وسمع بيلاطس هذه الكلمات، فخرج بيسوع، وأجلسه على منصّة ١٤.. ثم قال بيلاطس لليهود: ها هو ملككم. ١٥. فصاح اليهود: ارفع ارفع! اصْلِبْ! قال بيلاطس: أملككم أصْلِبْ؟ قال الأحرار: لا

(٦) يهوذا، ورؤساء اليهود، وقيافا (٦ / ٦٤، ٧١ / ١٢ : ٤ / ١٣، ٢ / ٢١ : ١٩ / ٣٠، ٣٥

مَلِكَ لَنَا سَوَى قَيْصَرَ! ^(٧) ١٦. فَعِنْدَهَا أَسْلَمَ إِلَيْهِمْ يَسُوعَ
لِيُصَلَّبَ، وَذَهَبُوا بِهِ».

يَعْلَقُ إِنْجِيلِيُونَ: "هَمَّ الْيَهُودُ يَصْلُبُونَ يَسُوعَ فِي
يُوحَنَّا، وَلَوْ قَا، وَأَعْمَالُ الرِّسْلِ؛ وَالْجُنُودُ الرُّومَانُ هَمَّ
الصَّالِبُونَ فِي مَتَّى (٢٧/٣٢-٥٦)، وَمَرْقُسُ (١٥/٢١-
٤٢). وَالَّذِينَ أَسْلَمُوا يَسُوعَ إِلَى بِيلاطُسَ هَمَّ: يَهُوذَا،
وَرُؤَسَاءُ الْيَهُودِ، وَقِيَاْفَا ^(٨)."

ثُمَّ "يَعِدُّ الْيَهُودُ التَّهَمَ، فَطَوْرًا يَتَّهَمُونَ يَسُوعَ
بِالْخُرُوجِ عَلَى الرُّومَانِ ^(٩)، وَطَوْرًا بِالتَّجْدِيفِ، كَمَا فِي هَذِهِ
الْآيَةِ، لِأَنَّهُ سَاوَى نَفْسِهِ بِاللَّهِ (١٠/٣٠-٣٣)، فَاسْتَحَقَّ
الْمَوْتَ (رَ: أَح ٢٤/١٦). يَنْتَقِلُ الْيَهُودُ، فِي اتِّهَامِهِمْ يَسُوعَ،
مِنَ الصَّعِيدِ السِّيَاسِيِّ إِلَى الصَّعِيدِ الدِّينِيِّ .."

تَهْمَتَانِ جَاءَ بِهِمَا الْيَهُودُ بِحَقِّ يَسُوعَ: وَاحِدَةٌ دِينِيَّةٌ،
فِيهَا تَجْدِيفٌ عَلَى اللَّهِ؛ وَالثَّانِيَّةُ سِيَاسِيَّةٌ، فِيهَا رَفْضُ سُلْطَةِ
قَيْصَرَ. وَكُلُّهُنَّ مِنَ التَّهْمَتَيْنِ يَسْتَحَقُّ الْمَوْتَ. هَذَا الْمَوْتُ قَامَ
بِتَنْفِيزِهِ الْيَهُودُ وَالرُّومَانُ مَعًا. إِلَّا أَنَّ تَهْمَةَ الرُّومَانِ تَبْقَى

(٧) تَنَكَّرَ الْيَهُودُ لِسُلْطَانِ اللَّهِ الْمَطْلُوقِ (قُضِيَ ٨/٢٣: ١ مل ٧/٨)، وَأَعْلَنُوا وِلَايَتَهُمْ لِقَيْصَرَ
ثُمَّنَ الْحُكْمَ عَلَى يَسُوعَ.

(٨) يُو ٦/٦٤، ٧١/١٢: ٤/١٣، ٢/٢١: ١٨/٣٠، ٣٥.

(٩) يُو ١٨/٣٣-٣٥: ١٩/١٢.

أقلّ جرماً، إذ قد يستطيع يسوع التخلّص منها إذا ما أُوكل مَنْ يدافع عنه. ولكن ما نفع الدفاع إن كانت التهمة ضدّ الدّين ورجال الدّين مبرمة!

١٧. صلب يسوع وموته (١٩/١٧-٣٠) » ١٧.

وحمل يسوعُ نفسه صليبه، وخرج إلى مكانٍ يُدعى جُمُعة.. ١٨. وهناك صلبه اليهود.. ١٩. وعلّق بيلاطس على أعلى الصليب هذه الكتابة: يسوع الناصريّ ملك اليهود. ٢٠. وقرأ يهودٌ كثيرون هذه الكتابة.. ٢١. فقال أحبار اليهود لبيلاطس: لا تكتبُ: ملك اليهود! بل إنّه هو قال: أنا ملك اليهود!..»

هذه كانت نتيجة موقف يسوع من توراة موسى والقيّمين عليها. وهذا ما أقنع بيلاطس بأن يحكم عليه بالموت. ولكنّه ألقى تبعيّة القتل على الأحبار، وبرّر نفسه، بغسل يديه.. المسؤوليّة الأولى والكبرى تقع إذاً على الأحبار اليهود الذين يرومون تنفيذ أحكام الشريعة.

١٨. يسوع يظهر للتلاميذ (٢٠/١٩-٢٩) » ١٩.

وفي مساء ذلك اليوم، أوّل أيام الأسبوع، وقد أغلّق التلاميذُ عليهم الأبواب، خوفاً من اليهود..»

التلاميذ أيضاً خافوا من اليهود، لأنهم يؤيدون معلّمهم، ويأخذون بمواقفه ضدّ التوراة وتعاليمها وتفاسيرهم لها. فمصيّرهم المحتّم، إذا ما لم يتّخذوا الاحتياطات اللازم، هو مصير معلّمهم. لهذا أغلقوا عليهم الأبواب، ثمّ رحلوا من أرض فلسطين إلى آسيا الصغرى.



كنّا نظنّ أنّ يوحنا، لاهتمامه بأصل يسوع الإلهيّ، إبتداء من «البدء»، مروراً بقوله إنّ يسوع هو «ابن الله»، أقلّ اهتماماً وذكرّاً للخصام بين يسوع واليهود... ولكنّه، ما استطاع، بسبب مجريات الأحداث الجسيمة إلّا أن يتوقّف عندها، ويذكرها كغيره.

لقد اهتمّ يوحنا، كسائر الإنجيليين، بإظهار يسوع ضدّ تعاليم اليهود في التوراة، لا بل ضدّ إله التوراة. لقد بدا واضحاً أنّه مع الإنسان الخاطيء، مع المرأة الزانية، ضدّ الشيوخ والأحبار وتعاليمهم. فيسوع، عند يوحنا، عمل أيضاً على تبرئة الله ممّا نُسب إليه من شرائع منزلة وفرائض صارمة وقاسية على الإنسان..

الفصل الخامس

تعاليم الرسل وتعاليم التوراة

في مقدّمة سفر أعمال الرسل، يركّز شرّاح إنجيليون على شمول الخلاص لجميع الشعوب، في قولهم: "اهتدى الوثنيّون إلى المسيحيّة، وانضمّوا إلى مَنْ آمَن من اليهود (٦/١-٧)، ولكنّ الوحدة ظلّت ناقصة: فكنيسة أورشليم اليهوديّة، وعلى رأسها أسقفها يعقوب، ظلّت أمينة لشريعة موسى (١٥/١، ٥؛ ٢١/٢٠)، "والوثنيّون المهتدون تجمّعوا حول اسطفان، وتحرّروا من شريعة الختان (٦/٨-١٥)، وانقطعوا عن العبادة في الهيكل. ومجمع أورشليم أقرّ بالإجماع مبدأ الخلاص، القائم على الإيمان بيسوع المسيح وحده (رسل ١٥)"^(١).

(١) مقدّمة أعمال الرسل، ص ٥٠٨.

ويكْمَلُ شَرَّاحَ الأَعْمَالِ: "أُعْطِيَ مَلَكُوتُ اللَّهِ إِلَى الْيَهُودِ أَوَّلًا، وَبِدَافِعٍ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ بَشَّرَ بِهِ الرَّسُلُ السَّامِرِيِّينَ وَالْأُمَمَ: أُرْسِلَ فِيلِبُّسُ إِلَى الْخَصِيِّ (٨/٢٦-٤٠)، وَبَطْرُسُ إِلَى كَرْنِيلْيُوسَ (١٠/١٩-٢٠)، وَبُولُسُ وَبِرْنَابَا إِلَى قَبْرَصِ وَأَسِيَةِ (١٣/٢) فَإِلَى الْيُونَانِ (١٦/٩)، فَإِلَى أَقْصَايِ الْأَرْضِ، إِلَى رُومَةِ (٢٧/٢٣-٢٥) ^(٢)."

ثُمَّ ابْتَدَأَ كَاتِبُ الأَعْمَالِ يَرْكِّزُ عَلَى الْخَصَامِ الْحَاصِلِ بَيْنَ التَّلَامِيذِ وَالْيَهُودِ؛ فَيَتَكَلَّمُ عَلَى بَدْءِ اضْطِهَادِ الْيَهُودِ لِلرَّسُلِ وَالْمَسِيحِيِّينَ الْأَوَّلِينَ (١-٣)، وَيَكْمَلُ مَسِيرَةَ هَذَا الْاضْطِهَادِ حَتَّى النِّهَايَةِ. يَقُولُ:

١. الْأَحْبَارُ يَحَاكِمُونَ بَطْرُسَ وَيُوحَنَّا (٤/١-٢٢) «١. وَكَانَ بَطْرُسُ وَيُوحَنَّا لَا يَزَالَانِ يُخَاطَبَانِ الشَّعْبَ، إِذْ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا الْكَهَنَةُ، وَقَائِدُ حَرَسِ الْهَيْكَلِ، وَالصَّدُوقِيُّونَ.. ٥. وَفِي الْغَدِ، اجْتَمَعَ فِي أُورُشَلِيمَ الرُّؤَسَاءُ، وَالشَّيُوخَ، وَالْكَتَبَةُ، ٦. وَحَنَّا نَعْظِيمُ الْأَحْبَارِ، وَقِيَا فَا، وَيُوحَنَّا، وَالْإِسْكَندَرُ، وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْأُسْرَةِ الْخَبَرِيَّةِ».

فَنَأَتْ الشَّعْبُ الْيَهُودِيَّ كُلَّهُ، أَصْدِقَاءُ وَأَعْدَاءُ، حُتُّوا عَلَى الْقَبْضِ عَلَى يَسُوعَ؛ وَهُمْ الْآنَ يَحْتُونُ عَلَى الْقَبْضِ عَلَى

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٥٠٩.

الرسل: الفرّيسيّون والصدّوقيّون، الشيوخ والكتبة،
الأحبار وعامّة الشعب، اتّفقوا على القضاء على تلاميذ
يسوع، كما اتّفقوا قبلاً على القضاء على يسوع نفسه.

هذا ما يدلّ على رفض تلاميذ المسيح تعاليم الأحبار
وتقاليدهم

٢ . إضطهاد الكنيسة (٤/ ٢٣-٢٨) «٢٦. ملوك
الأرض هبّوا، وتحالف الرؤساء، واتّحدوا على الربّ
ومسيحه، ٢٧. أجل، لقد تحالف حقّاً، في هذه المدينة،
هيرودس، وبُنطوس بيلاطُس، والأمم، وشعوب إسرائيل،
تحالفوا على يسوع، ذاك القدّوس، الذي مسحته، ٢٨.
ونفّذوا كلّ ما كتبتُ يدك، وقضتُ به مشيئتُك..».

يعلّق شرّاح الأعمال: "هذه عنصرة جديدة: مادّ
المكان، وحلّ الروح على الجماعة المسيحيّة فراحت تذيع
الكلمة (رسل ٢/ ١-٤). أظهر الله، في كلّ ذلك، أنّه يؤيّد
شعبه الجديد المؤمن ضدّ شعبه القديم، الذي لم يؤمن به،
ويضطهد شعب الله الجديد".

منذ أوائل البشارة الإنجيليّة، ظهر واضحاً سبب
اضطهاد اليهود للمسيحيّين، كما ظهر واضحاً أيضاً تخطّي
المسيحيّين لليهوديّة وتعاليمها: إنّ تعاليم التوراة باتت غير

مقبولة لدى كنيسة المسيح الناشئة. لهذا كان اضطهاد اليهود والذين تأثروا بهم شديداً جداً على المسيحيين.

٣ . القَبْضُ عَلَى الرسل (١٧/٥ - ٤٢) «١٧. على أَنْ عَظِيمَ الْأَحْبَارِ، وَكُلَّ حَاشِيَتِهِ - كُلُّ شِيعَةِ الصَّدُوقِيِّينَ - أَخَذَ مِنْهُمْ الْغِيْظُ كُلَّ مَاخَذٍ، فَقَامُوا، ١٨. وَقَبَضُوا عَلَى الرسل، وَالْقَوْمِ عُلَنًا فِي الْحَبْسِ.. ٢٥. عَلَى أَنْ رَجُلًا أَتَى وَأَخْبَرَهُمْ: هَا إِنَّ الرِّجَالَ، الَّذِينَ سَجَنْتُمُوهُمْ، قَائِمُونَ فِي الْهَيْكَلِ يُعَلِّمُونَ الشَّعْبَ. ٢٦. إِذْ ذَاكَ مَضَى قَائِدُ الْحَرْسِ، وَالْخَدْمُ، وَعَادُوا بِالرسل، وَلَكِنَّهُمْ تَحَاشَوْا الْعَنْفَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَرْشَقَهُمُ الشَّعْبُ بِالْحَجَارَةِ. ٢٧. عَادُوا بِالرسل، وَمَتَكَّلُوا بِهِمْ أَمَامَ الْمَجْلِسِ، فَقَالَ لَهُمْ عَظِيمُ الْأَحْبَارِ: ٢٨. كُنَّا نَهَيِّنَاكُمْ أَشَدَّ النَّهْيِ عَنِ التَّعْلِيمِ بِهَذَا الْاسْمِ، وَهَا أَنْتُمْ مَلَأْتُمْ أُورُشَلِيمَ بِتَعْلِيمِكُمْ، وَتُرِيدُونَ أَنْ تُحْمَلُونَا تَبِعَةً دِمِّ هَذَا الْإِنْسَانِ.. ٣٣. فَحَنَقُوا، وَعَزَمُوا عَلَى قَتْلِ الرسل».

سببُ هذا الاضطهاد والسجن والتهديد، أَنَّ الرسل لَا يَزَالُونَ يُعَلِّمُونَ الشَّعْبَ بِاسْمِ يَسُوعَ. أَيُّ أَنْ اسْتَعْمَالَ اسْمِ يَسُوعَ كَانَ سَبَبًا كَافِيًا لاضطهاد اليهود للمسيحيين. إِنَّهُمْ يَبْشُرُونَ بِإِلَهِ غَيْرِ يَهُوَى، وَيُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ غَيْرِ تَعَالِيمِ التَّوْرَةِ، بَلْ تَنَاقَضُهَا، وَيَتَّبِعُونَ شَرِيعَةً غَيْرَ شَرِيعَةِ مُوسَى،

ويؤمنون بربّ واحد هو يسوع المسيح ابن الله الوحيد،
وتخلّوا، على ما يبدو، عن تعاليم يهوى وعبادته.

٤ . اليهود الهلّينيّون واليهود العبرانيّون (١ / ٦)
« ١. في تلك الأيام، تزايد عددُ التلاميذ، وأخذ الهلّينيّون
يتذرّون على العبرانيّين.. »

يقول مفسّرو الأعمال: " الهلّينيّون يهود يعيشون
خارج الأرض المقدّسة، ويتكلّمون اليونانيّة، ويملكون في
أورشليم مجامع خاصّة، ويقرأون التوراة في ترجمتها
السبعينيّة. أمّا العبرانيّون فيهود يعيشون في الأرض
المقدّسة، ويتكلّمون الآراميّة، ويقرأون التوراة في أصلها
العبري، وفي مجامعهم الخاصّة.

"انعكس هذا الوضع اليهوديّ على الجماعة
المسيحيّة الأولى في أورشليم، وقد كانت في مجملها من
أصل يهودي: اضطهد اليهودُ الهلّينيّون المسيحيّين الهلّينيّين
(٩ / ٦)، وقام المسيحيّون الهلّينيّون بأوّل انطلاقة للتبشير
بالإنجيل خارج فلسطين (٨ / ٤؛ ١١ / ١٩-٢١). وكان لدى
الهلّينيّين، يهوداً أو مسيحيّين، غيرة شديدة على التوراة أو
على الإنجيل " .

لقد انتقل الصراع، على ما يبدو، إلى ما بين

المسيحيين أنفسهم، المسيحيين الهلنيين والمسيحيين العبرانيين، كما كان بين اليهود الهلنيين واليهود العبرانيين. وهو صراع لم يكن الرسل أنفسهم بمنأى عنه : زعيم العبرانيين يعقوب أخو الرب، وزعيم الهلنيين بولس رسول الأمم. والسبب الرئيسي لهذا الصراع الأخذ بالإنجيل وحده، أم الأخذ بالتوراة والإنجيل معاً؟ وسيستمر الصراع عنيفاً سنين طويلة من تاريخ الكنيسة، وسوف ينتقل إلى الإسلام، تحت إسم "الناصرى"، هؤلاء الذين «يأخذون بالتوراة والإنجيل»، على ما سوف يقول القرآن: "لستم على شيء حتى تُقيموا التوراة والإنجيل" (٣).

٥. المجلس يُحاكم اسطفان (٦/٨-١٥) «١١. فَرَشُوا (أي اليهود) رجالاً ليقولوا: سمعناه يَنطِقُ بأقوال تجديف على موسى والله. ١٢. وأثاروا الشعبَ والشيوخَ والكتبة، وباغتوا اسطفانَ فاختطفوه، وساقوه إلى المجلس. ١٣. ثمَّ أتوا بشهودٍ زورٍ يقولون: لا يفتأ هذا الإنسانُ يَحْمِلُ على هذا المكان المقدس، وعلى التوراة، ١٤. فقد سمعناه يقول: يسوع الناصريّ هذا سيهدم هذا المكان، ويبدّل ما

ترك لنا موسى من عادات. ١٥. وحدّق كلُّ مَنْ في المجلس إلى إسطفان، فرأى في وجهه وجهَ ملاك.»

يعلّق المفسّرون: "ادّعى شهودٌ زوراً أن يسوع سينقض الهيكل (متى ٢٦ / ٥٩-٦١)، وكرّر الادّعاء شهود زور على اسطفان. ونجد، في الحكم على اسطفان (٧ / ٥٦-٥٧)، صدى للحكم على يسوع (متى ٢٦ / ٦٢-٦٦). وتهمة التحامل على التقاليد الموسويّة ستُوجّه أيضاً إلى القديس بولس^(٤). هذا هو، أساساً، سبب الصراع بين الكنيسة الناشئة والتوراة، وسبب اضطهاد اليهود للمسيحيين، وكذلك أيضاً سوف يكون الاختلاف بين المسلمين والمسيحيين. فالمسلمون يؤيّدون تعاليم النصارى، ويرفضون تعاليم المسيحيين.

٦. الاضطهاد الأوّل (٨ / ١-٣) «١. واضطّهدتْ يومها كنيسةُ اورشليم اضطهاداً شديداً، فتشتّت أبنائها جميعاً - ما عدا الرسل - في أنحاء اليهوديّة والسامرة.. ٣. أمّا شاول فكان يَعيثُ في الكنيسة فساداً، يَقتحم البيوت بيتاً بيتاً، ويَجُرُّ الرجال والنساء، ويُسَلِّمُهُم إلى السجن^(٥)».

(٤) رسل ١٥ / ١، ٥ / ٢١، ٢٨ / ٢٥، ٨ / ٢٨، ١٧ / ٢٨

(٥) ر: رسل ٩ / ١ و ١٣ / ٢٢، ٤ / ٢٦، ٩ / ١١، ١ / ٣ و ٢٣ / ١، ٩ / ١٥، فل ٣ / ٦،

١ طيم ١ / ١٣

يعلق المفسّرون: "اضطّهد الرسولان بطرس ويوحنا (١/٤ - ٢٢؛ ٥/١٧ - ٤١)، واسطفان (٧/٥٤ - ٦٠)، وتُضطهد الآن الكنيسة كلّها، أو الهلّينيّون من أبنائها، ولم يُضطهد الرسل والمؤمنون العبرانيّون لأنّهم تقيّدوا بتوراة موسى وعادات اليهود".

هذا يعني أنّ الاضطهاد كان على أيدي اليهود. والسبب لهذا الاضطهاد مخالفة المسيحيّين لتعاليم التوراة؛ فيما المسيحيّون (أي النصاريّ) الذين تقيّدوا بالتوراة لا مأخذ عليهم.

٧. اضطهاد بولس (١/٩ - ٢) «١». وكان شاول لا يزال ينفثُ على تلاميذ الربّ تهديداً وتقتيلاً، فمضى إلى عظيم الأحرار، ٢. وطلب منه رسائل إلى مجامع دمشق، حتّى إذا ما وجدَ كمّ أناساً على تلك الطريقة، رجالاً أو نساء، ساقهم مغلولين إلى أورشليم».

كان شاول المضطّهد الأعنف للمسيحيّين الأوائل، في أورشليم ودمشق وآسيا وأمّكنة عديدة من الأمبراطوريّة الرومانيّة، حتّى خافه الجميع. واشتهر في كلّ مكان بأنّه العدوّ الألد للمسيح والكنيسة الناشئة، بعدما كان مدافعاً شرساً عن توراة موسى والشريعة اليهوديّة.

وسبب الاضطهاد واضح: أأنت مع التوراة أم ضدها؟ إن طبقتَ شريعتها نجوت، وإن خالفتها قُتلت. فالحفاظ على الشريعة أولى من الحفاظ على الإنسان. وسوف تنقلب هذه المعادلة عند اهتداء بولس.

٨. شاول في دمشق (٩/ ٢١-٢٥) «٢١. كان كلُّ الذين يسمعونَه (شاول) يُدهشون ويقولون: أليسَ هذا مَنْ كان في أورشليم يفتِكُ بمن يدْعُون هذا الاسم؟ أو ما جاء إلى هنا ليسوقَهم مغلولين إلى الأحبار؟ ٢٢. على أن شاول كان يشتدّ ساعداً، ويُفحِمُ يهودَ دمشق مُبرهنًا أن يسوع هو المسيح. ٢٣. ومَرَّت الأيام، فتأمر اليهودُ لكي يُهلكوه. ٢٤. وعرفَ شاول بمكيدتهم. وكانوا يحرسون الأبواب، ليلَ نهار، لكي يُهلكوه. ٢٥. فأخذه تلاميذهُ ليلًا، ودلّوه في سُلٍّ على السُّور».

لا يوجد في سيرِ المسيحيين ما يشبه انقلاب بولس هذا. فبمقدار ما كان يطارد المسيحيين ليسوقهم إلى الحبوس، كان المسيح يلاحقه ليَجبره على ترك شريعة السبت والختان والتقاليد اليهودية التي عرفها بولس معرفة جيّدة، وجاهد من أجلها بعنف وشدة..

وأيّ شيء يوجد بعد حتّى تُعلن القطيعة النهائية بين

اليهودية والمسيحية الناشئة.. فهل سيسلم بولس برأسه؟! لا هو كل عن مطاردة التوراة، ولا هم كلوا عن ملاحقة بولس ليعتقلوه ويقتلوه.

٩. رؤيا بطرس في يافا (١٠/١٣-٣٣) «١٣. وهتف هاتف: قم، يا بطرس، فاذبح وكل. ١٤. قال بطرس: معاذ الله، سيدي! ما أكلت يوماً نجساً أو دنساً. ١٥. هتف به هاتف ثانية: لا تُنجس أنت ما طهره الله!. ٢٧. ثم دخل (بطرس بيت كرنيليوس).. ووجد كثيرين مجتمعين؛ ٢٨. فقال لهم: تعلمون أنتم أنه لا يجوز ليهودي أن يخالط غريباً، أو يدانيه، إنما الله أراني ألا أدعو إنساناً نجساً أو دنساً^(٦). ٢٩. ولهذا جئت، حين استحضرتكم، ولم أبطئ، وأود أن أعلم لماذا استحضرتكم».

هنا، على ما يعلق المفسرون، "يدعو الله بطرس إلى تخطي المفاهيم اليهودية في المأكّل، في الطاهر منها والنجس، ولا يفرّق بين يهودي ووثني، لأنّ الله يطهر بالإيمان قلوب الوثنيين، فيستغنون عن الختان.."

فإذا كان لا فرق بين يهودي ووثني عند الله، أف يكون فرقاً إذاً بين دين ودين؟ أو بالأحرى أف يكون الله هو الذي

(٦) رسل ١٠/١٥؛ ٩/١؛ ٩/١٥؛ فل ١٢/٢-١٥-١٦.

صنع الأديان المختلفة والمتناقضة، بل والمتناحرة!؟

١٠ . خُطْبَةُ بَطْرُس (١٠ / ٣٤-٤٣) « ٣٤ . ففاه

بطرس بهذا الكلام: أنا على يقينٍ من أنَّ اللهَ لا يُحابي أحداً؛
٣٥ . فأيَّ إنسانٍ اتَّقاه، مِن أيِّ أُمَّةٍ كان، وعمل أعمالَ البرِّ،
نالَ رضاه.. ٣٨ . تعلمون كيف بروحٍ قدسٍ وقدرةٍ مسح
اللهُ يسوعَ الناصريَّ، الذي ساح يعمل الخير، ويَشفي كلَّ
مَن وقعوا في حيازةِ الشيطان، لأنَّ اللهَ كان معه. ٣٩ .
ونحنَ شهودٌ على كلِّ ما فعلَ في بلاد اليهود، وفي
أورشليم، هو الذي على خشبةٍ علَّقه، فقتلوه».

أيَّ إنسانٍ اتَّقَى اللهَ، مِن أيِّ أُمَّةٍ كان، وعمل البرِّ، نالَ
رضاه، أكان يهودياً أو وثنياً، حرّاً أو عبداً، رجلاً أو امرأة...
أيَّ إنَّ اللهَ لم يميِّز إنساناً عن إنسان. الجميع أبناءُه، والكلَّ
ينال رضاه، ويسير إليه كيفما شاء، وعلى أيِّ مسار سار،
أو أيَّ دينٍ اتَّبِع.

١١ . حلول الروح القدس على الوثنيين (١٠ / ٤٤-٤٥)

٤٥ « ٤٤ . وكان بطرس لا يزال يفوه بتلك الأقوال، إذ نزل
الروح القدس على كلِّ مَن يسمعون الكلمة. ٤٥ . دُهِشَ
المؤمنون المختونون، الذين رافقوا بطرسَ، لأنَّ هبةَ الروح
القدس أفيضتُ حتَّى على الأمم».

يسمّي مفسّرون هذا الحدث «عنصرة الوثنيين». وقد تحقّق بطرس من ذلك في قوله: «وما كدتُ أبدأ بالكلام، حتّى نزل الروحُ القدس عليهم (الوثنيين) نزولَه علينا (اليهود) في البدء» (١١ / ١٥)، وفي قوله أيضاً: «واللهُ.. أعطاهم الروحَ القدسَ كما أعطانا» (٨ / ١٥)؛ وقوله أيضاً: «وما فرّق (الله) بيننا وبينهم» (٩ / ١٥)...

هذه هي، بالنتيجة، تعاليم الرسل في مجمع أورشليم (١٥ / ٥-٢١)، الذي ساوى بين اليهود والوثنيين؛ وبتعبير آخر أوضح، الذي ألغى الدّين اليهوديّ والأديان جميعها، واعتبر الخلاص إنّما يكون عن طريق يسوع المسيح الوسيط الوحيد. وليس بأية شريعة، أو دين، أو نهج، أو أي طريق كان، بل بعمل الروح القدس لا غير، لا بقوة أيّ شريعة أو وصاية أيّ نبيّ...

١٢ . الأمم أيضاً قَبِلُوا كلمةَ الله (١١ / ١-١٨) «١». وسمع الرسل والإخوة المقيمون في اليهوديّة أنّ الأمم أيضاً قَبِلُوا كلمةَ الله. ٢. فلمّا صعد بطرس إلى أورشليم، كان المختونون يناقشونه؛ ٣. يقولون: دخلتَ على غُلفٍ، وأكلتهم! (٧) .. ٧. وسمعتُ هاتفاً يهتف بي: قم، يا بطرس،

(٧) كانت شريعة موسى ترى في مؤاكلة اليهوديّ للوثنيّ تدنيساً له (رسل ١٠ / ٢٨)؛

فاذبحُ وكُلْ. ٨. قلتُ: معاذَ الله، سيدي! ما دخلَ فمي يوماً
نَجَسٌ أو دَنَسٌ! ٩. فعاد الهاتف يهتف من السماء: لا
تُنَجِّسُ أنتَ ما طَهَّره الله!.. ١١. ووقف ثلاثة رجالٍ بباب
بيتِ كَنَّا فيه.. ١٢. قال لي الروح: انطلقْ معهم، ولا تُفَرِّقْ
(أي لا تفرِّق بينك وبينهم، بين يهوديٍّ ووثنيٍّ). ورافقني
هؤلاء الإخوة الستة، ودخلنا بيت الرجل.. ١٥. وما كدتُ
أبدأ بالكلام، حتَّى نزل الروحُ القدس عليهم نزولَه علينا في
البدء.. ١٧. فإن كان الله قد أنعم عليهم بمثل ما أنعم علينا،
إذ آمَنَّا بالربِّ يسوع المسيح، فمَن أنا لأستطيع أن أُمْنَعَ الله؟
١٨. طاب خاطر السامعين، ومجدُّوا الله قالوا: هو الله قد
أنعمَ على الأمم أيضاً بأن تتوب لتحيَا!..

لقد أنعم الله على الوثنيين بمثل ما أنعم على اليهود.
لم يفرِّق. ولم ينَجِّس الوثنيُّون ما طَهَّره الله.. الكلّ نزل
عليهم الروح القدس، يهوداً كانوا أو وثنيين. وهذا ما يجعل
المسيحية تقول إنَّ الأمم أيضاً قبلوا كلمةَ الله؛ أي لن يكون
فرقٌ، عند الله، بين يهوديٍّ ووثنيٍّ، أي بين دينٍ ودين.
الجميع أبنائُه. وكلّ خلاف في الناس ليس هو من عند الله.

وكانت مؤاكلة المسيحيين من أصل يهوديٍّ للمسيحيين من أصل وثنيٍّ مشكلة شائكة
في الجماعة المسيحية الأولى (غل ٢/١١-١٤).

هذا يعني أنّ كلّ الأديان ليست من صنع الله، بل من صنع الناس.

١٣ . دعوة الأمم (١٣ / ٤٤-٤٨) « ٤٤ . وفي السبت التالي، كادت المدينة (أورشليم) كلّها تجتمع لتسمع كلمة الرب (من فم بولس). ٤٥ . ورأى اليهود تلك الجموع فامتلاوا حسداً، وعارضوا أقوال بولس بالتجديف^(٨). ٤٦ . فجرؤ بولس وبرنابا، وقالوا: كان على كلمة الله أن تُقال لكم أولاً، ولكنكم تنكرونها، ورايتم أنفسكم غير أهل للحياة الأبدية. فها نحن نتحول عنكم إلى الأمم. ٤٧ . إنّه الربّ أوصانا قال: جعلتك نوراً للأمم، لتكون خلاصاً لها حتّى أقاصي الأرض»...

لقد تحول بولس وبرنابا عن اليهود إلى الأمم، ما يعني أنّ اليهودية لم تعد وحدها الطريق إلى الله، وأنّ شريعة الله ليست في التوراة وحدها. هذا التحول سبّب لبولس وللرسل وللمسيحيين متاعب كثيرة. فالأمم أيضاً هم أبناء الله ومختاروه وأحبّاءه كاليهود أنفسهم. ولا فرق. وهذا ما لا يقبل به يهودي غيور على دينه.

١٤ . رجم بولس وبرنابا (١٤ / ٢-٧) « ٢ . إنّ الذين

(٨) رسل ١٤ / ٢؛ ١٧ / ٥؛ ١٧ / ١٥؛ ١٤ / ٢.

لم يؤمنوا من اليهود أثاروا الوثنيين، وأوغروا صدورهم على الإخوة.. ٤. وانقسم أهل المدينة، هذا مع اليهود، وذاك مع الرسولين. ٥. فهم الوثنيون واليهود، ورؤساؤهم، بإذلال الرسولين، ورجمهما. ٦. وشعرا بذلك، فلجأ إلى مدينتين في إيقونية، إلى لسترة ودربة وضواحيهما. ٧. وهناك أيضاً طفقاً يبشران.

لا يزال اليهود يلاحقون بولس وبرنابا وسائر المسيحيين الذين لا يزالون ينادون بتخطي شريعة موسى ورفضها، من أجل الإيمان بيسوع المسيح على أنه هو وحده مخلص الجميع، أي اليهود والوثنيين على السواء.

١٥. اليهود يشكون بولس (١٨/١٢-١٣) «١٢.

... اتفق اليهود على مقاومة بولس، وساقوه إلى المحكمة، ١٣. وقالوا: إن هذا الرجل يستميل الناس إلى عبادة الله عبادة تتنافى والتوراة».

يعلق المفسرون: "كان القانون الروماني يسمح لليهود بممارسة توراتهم. واليهود يشكون بولس بنشر دين جديد، مخالف للتوراة، وغير مرخص به قانوناً"، أي إن بولس يدعو إلى إلغاء اليهودية وتعاليم التوراة، وإحلال الإيمان بيسوع المسيح على أنه وحده مخلص الجميع.

١٦ . بولس يودّع كنيسة أفسُس (١٩/٢٠) «قد خدّمتُ الربَّ بكلِّ تواضع، وبدموع، وبمَحَنٍ لَقِيْتُهَا مِنْ مَكَايِدِ الْيَهُودِ»^(٩).

ليست مكاييد اليهود ضد بولس من دون سببٍ يبرّر اضطهادهم إيّاه. فهو لم يترك لهم مجالاً ليمارسوا شريعتهم، بحسب ما شاءها موسى في التوراة؛ بل نقضها نقضاً تامّاً، ونادى بدينٍ آخر يقوم على شخصٍ آخر هو يسوع المسيح وحدّه مخلصاً لجميع الأمم.

١٧ . بولس يلقي يعقوبَ في أورشليم (٢١/٢٠-٢٦) «٢٠. مَجَّدَ السَّامِعُونَ اللّٰهَ، وَقَالُوا: أَنْتَ تَرَى، أَيُّهَا الْآخِ، كَمْ أَلْفٍ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ آمَنُوا، وَكُلُّهُمْ عَلَى التَّوْرَةِ غَيُورٌ، ٢١. وَقَدْ أُخْبِرُوا أَنَّكَ تَعْلَمُ كُلُّ مَنْ عَاشَ الْأُمَمَ مِنَ الْيَهُودِ أَنْ يَرْتَدُّوا عَنْ مُوسَى، وَتَوْصِيَهُمْ إِلَّا يَخْتَنُوا أَوْلَادَهُمْ، وَإِلَّا يَجْرُوا عَلَى التَّقَالِيدِ»^(١٠).

يعلّق المفسّرون: "موقف بولس من التوراة جازم: ما عادت التوراة ميزة اليهوديِّ على الوثنيِّ، إذ لا يتبرّر أحدٌ

(٩) ر: فل ٢/٣؛ ٣/١٨؛ ٢ قور ٨/١-٩؛ ١١/٢٣-٣١.

(١٠) ر: رسل ١١/٦، ١٤، ١٥؛ ١/٢٨؛ ١٧/١٥؛ ٣٠/١٦؛ ٣/٢١؛ ٢٨/٢؛ غل ٣/٢؛ مر

إلا بالإيمان بيسوع المسيح^(١١). على أن بولس كان يحرص على تحرير الوثني من تقاليد اليهود، ولا يهتم ردع اليهود عنها، شرط ألا تتعارض والإيمان المسيحي. ولقد قبل أن ينفذ ما طلبته منه الكنيسة، عن طريق يعقوب والشيوخ، حفاظاً على رباط المحبة والسلام .. ومع ذلك لم يسلم بولس من رفض اليهود لتعاليمه ومواقفه من الشريعة التوراتية؛ كما لم يسلم من مكايدهم له، واعتقاله.

١٨ . إعتقال بولس في الهيكل (٢١/٢٧-٣٦)

«٢٧. رأى اليهود الأسويون (بولس) في الهيكل، فاثاروا الجمع كله، وألقوا القبض على بولس؛ ٢٨. وهم يصيحون: النجدة، أيها الإسرائيليون! هذا هو الإنسان الذي يعلم كل إنسان، وفي كل مكان، ما يخالف الشعب والتوراة، وهذا المقام! بل قد أدخل يونانيين إلى الهيكل، فدنس هذا المقام المقدس، ٢٩. ذاك أنهم كانوا قد رأوا تروفيمُس الأفسسي معه في المدينة، فظنوا أن قد أدخله الهيكل. ٣٠. هاجت المدينة بأسرها، وتجمع الشعب، فأمسك بولس، وجره إلى خارج الهيكل، وأغلقت الأبواب في الحال.

٣١. وكانوا يتلمسون قتله، إذ بلغ قائد السرية أن

(١١) ر: ١٦/١ و ٢٢/٣.

أورشليم كلها هائجة. ٣٢. فأخذ حالاً جنوداً، وقادة مئة، وعداً إليهم، فكفّوا، لدى رؤية قائد الألف وجنوده، عن ضرب بولس. ٣٣. ثم دنا قائد الألف وقبض على بولس، وأمر أن يؤثّق بسلسلتين، وكان يستعلم من هو، وماذا فعل. ٣٤. وكان الجمع يصيح كل على هواه، وعجز القائد، في هذه الغوغاء، عن معرفة أي شيء راهن، فأمر أن يساق بولس إلى القلعة. ٣٥. ولما انتهى بولس إلى الدّرج، حمله الجنود اتقاء لعنف الجمع، ٣٦. فالشعب بأسره كان يتبعه، وهو يصيح: ألا أقض عليه!.

يعلق المفسّرون: "بدأت تتحقّق مقاصد بولس (١٩ / ٢١؛ ٢٠ / ١٦)، وحادّسه (٢٠ / ٢٢، ٢٥؛ ٢١ / ١٣)، والنبوّات المتعلّقة به. سيبقى بولس أسيراً، وفي محاكمة مفتوحة حتّى آخر الكتاب: في أورشليم (٢١ / ٢٣-٢٣ / ٣٠)، ثمّ في قيصريّة (٢٣ / ٣١-٢٦ / ٣٢)، ثمّ في رومة (٢٨ / ١٣-٣٠) بعد إبحار إليها خطر (٢٧ / ١-٢٨ / ١٤)..
ثمّ إنّ بولس يتّهم.. بما اتّهم به إسطفان (٦ / ١١-١٤)، واتّهم به يسوع^(١٢). "فمن الطبيعيّ، إذًا، أن يثور اليهود على بولس لأنّه يعلم بما يخالف التوراة، وأدخل

يونانيين إلى الهيكل، فدَنّسَه، وكأنّه يريد إنشاء دين جديد غير ما علّم موسى والأنبياء..

السبب إنذاً واضح: بولس يدعو إلى دين جديد غير دين الآباء والأجداد. لهذا اعتقلوه، وضربوه، وهمّوا بقتله، لولا تدخل قائد الألف وجنوده الرومانيين الوثنيين.

١٩ . تأمّر اليهود على بولس (٢٣/١٢-٢٢) «١٢.

ولما طلع النهار، اجتمع اليهود، وأقسّموا ألا يأكلوا أو يشربوا ما لم يقتلوا بولس. ١٣. وكان عدد المتآمرين يربو على الأربعين. ١٤. وأقبلوا على الأحبار والشيوخ، وقالوا: أقسمنا ألا ندوق شيئاً أو نقتل بولس..».

يعتبر اليهود أنّ تعاليم بولس تؤذيهم وتؤذي الله وموسى والشريعة والأنبياء وتعاليم التوراة كلّها. فلهذا قرّروا «وأقسموا ألا يأكلوا أو يشربوا ما لم يقتلوا بولس». فقضيّته، إنذاً، أصبحت لا تُطاق، لا عند الله ولا عند موسى والتوراة ولا في تقاليد السلف. فقتله بات واجباً ملحاً لئلاّ يفسد كلّ شيء جاء به الآباء والأنبياء من شرائع وتعاليم وتقاليد.

٢٠ . رسالة من كلوديوس إلى فيليكس (٢٣/٢٣) -

(٣١) «٢٦. السلام من كلوديوس ليسياس على الوالي

الشريف فيلُكس. ٢٧. كان اليهود قد قبضوا على هذا الرجل، وأوشكوا أن يقتلوه، فتداركتُ بالجند، وأنقذته، إذ علمتُ أنه رومانيّ. ٢٨. وأردتُ أن أعلم ما به يشكونه فأحضرتُه إلى مجلسهم. ٢٩. ورأيتُ أنهم يشكونه بمسائل تتعلق بتوراتهم، وأن ليس لديهم شكوى تستوجب موتاً أو سلاسل. ٣٠. ثم بلغني أنهم يُعدّون مكيدةً لهذا الرجل، فأرسلته إليك، وأوعزتُ إلى الشاكين أن يُحاكموه لديك. ٣١. ونفّذَ الجُنْدُ الأمر...».

هذه الرسالة، إضافة إلى أنها شهادة على براءة بولس، وعلى موقف السلطة الرومانية المتسامح منه ومن أتباعه (١٨ / ١٥)، هي شهادة أيضاً على عدااء اليهود للمسيحيين. لهذا فإننا نتأكد جيّداً من موقف بولس من الشريعة اليهودية وتقاليد السلف ومن اليهودية كلّها..

٢١. بولس مُتُّهم (٢٤ / ١-٩) «١». وبعد خمسة أيام، انحدر عظيمُ الأُحبار حَنَنِيّا مُسْتَصْحِباً شيوخاً، ومُحامياً اسمُهُ تَرْتُّس، وشكّوا بولسَ إلى الوالي. ٢. واستدعيَ بولس، فشرعَ تَرْتُّسُ يَتَّهمُهُ قال.. ٤. أسألكَ (أيها الوالي) أن تَعطِفَ، وتُصغِيَ قليلاً إلينا. ٥. وجَدْنَا هذا الرجلَ وباءَ يُثيرُ فِتْناً، في المعمورة، بين اليهود كلّهم، وإماماً

في ملة النصارى. ٦. بل قد حاول أن يُدنّس الهيكل،
فَقَبَضْنَا عَلَيْهِ، وَأَرَدْنَا أَنْ نُحَاكِمَهُ بِمَا تَقْضِي بِهِ تَوَارِثُنَا...

واضح قول اليهود عن بولس وموقفهم منه، بسبب
قول بولس وموقفه العدائيّ منهم ومن التوراة: بولس
"وباء"، "يثير الفتن"، "يدنّس الهيكل"... فلا بدّ من أن
يُقْضَى عليه بحسب ما تقضي به التوراة... هذا كلّ نتيجة
دعوة بولس إلى نقض اليهوديّة وإبدالها بملة النصارى،
التي تتّبع تعاليم يسوع..

٢٢. بولس يرفع دعواه إلى قيصر (١٢/٢٥-١)

٧. وحضر (بولس)، فأحاط به اليهود النازلون من
أورشليم، وشكّوه شكاوى عديدة وثقيلة.. ٨. ودافع بولس
عن نفسه قال: ما أَجْرَمْتُ مرّةً على توراَةِ اليهود، أو الهيكل،
أو قيصر!..

لم يُجرم بولس على اليهود، بل كما قال فَسْتُس: إنّ
«كلّ ما بينهم وبينه مسائل تتعلّق بدينهم الخاصّ، ورجل
مات اسمه يسوع، ويجزم بولس أنّه حيّ» (١٩/٢٥).

فهم بولس، لا أن يقضي على توراَةِ اليهود فحسب،
بل أن يقدّم بديلاً عنها هو الإيمان بيسوع المسيح.

يمكن أن نسمي سفر أعمال الرسل سفر اضطهاد الرسل والمسيحيين الأوائل، أو سفر رفض بولس والمسيحيين الذين تبعوه التوراة والشرعة اليهودية وتقاليده السلف. بل هو سفر تكريس الفصل والعداء ثم الاستقلال بين المسيحية واليهودية، بين المسيح وموسى، بين النعمة والشرعة.. تعاليم تتناقض في العمق، في مفهوم الله وطبيعته ودوره الخلاصي بوساطة يسوع. فالمسيحية التي نشأت في بيئة يهودية، لا تتبرأ من ذلك؛ ولكنها تنقضها وتتبرأ من تعاليمها وشرائعها، أي تتخطاها لتكملها.

فكيف والحال هذه، نتهم المسيحية بأنها دين يرتكز على اليهودية والتوراة؟! أو كيف نتهم الله بأنه هو الذي أسس الدين اليهودي، وأنشأ سائر الأديان؟! الدين هو من صنع البشر؛ لهذا هم يختلفون ويتقاتلون بسببه أكثر من أي سبب آخر.

الفصل السادس

موقف يسوع في رسائل بولس

مَن هو بولس؟

١ ، بولس يهوديٌّ فرّيسيّ. تتقّف ثقافة توراتيّة عميقة. كان متعصباً لله ولشريعة موسى، سائراً سيرةً مثاليّة متشدّدة كاملة، حتّى إنّ أثر الحياة البتوليّة على الحياة الزوجيّة، خلافاً للتقاليد اليهوديّة^(١).

ولشدّة غيّرته الفرّيسيّة المفرطة على شريعة موسى وتعاليم التوراة اضطهد بعنفٍ أشدّ كنيسة المسيح، حتّى

(١) رسل ٢٦/٤-٥؛ غل ١/١٤-٢١ قور ٧/٨؛ ٩/٥، ١٢.

ذاع صيته في أورشليم وكلّ اليهوديّة (غل ١ / ٢٢-٢٣)،
وفي مجامع دمشق كلّها (رسل ٩ / ٢١).

وبدل أن تكون له الشريعة «مؤدّبة» تقوده إلى
المسيح (غل ٣ / ٢٤)، راح يضطهد الكنيسة باسم الشريعة،
وبسببها^(٢).

" ما اهتدى بولس إلى المسيح اهتداءً كافرٍ اكتشف
الله فتاب عن كفره؛ ولا اهتداءً إنسان خاطئ شرير عاد،
بعد اختبار طويل وتأمّل وتفكير، عن طريق الضلال إلى
طريق الحق؛ بل اهتدى اهتداءً يهوديٍّ مؤمن بالله ومسيحه
الموعود الآتي، ووجده محققاً في شخص يسوع الناصري،
ابن الله الحيّ القائم من الموت، مخلصاً لشعبه. كان اهتداءً
بولس بادرةً مجانيّة ودعوةً حرّة من المسيح شخصياً... إنّه
اهتداء من فرّيسي يتّكل على حفظه أحكام الله وشريعته
ووصاياه، صار بولس مسيحياً يتّكل على شخص يسوع
المسيح، واهباً له ذاته برمّتها (فل ٣ / ٨-٩؛ غل ٢ / ١٩-
٢٠) ".

بولس " هو اليهودي الفرّيسي المتطرّف المتزمت
المنغلق على شريعة موسى، تحوّل إلى رسول العالم

(٢) مقدّمة رسائل بولس، إنجيليون، ص ٦٣٢.

الوثني، ودافع عنه في مجمع أورشليم ليحرّره من عبء الشريعة اليهوديّة، وتحمل في سبيله كلّ اضطهاد وعذاب^(٣)، شاهداً للمسيح في كلّ مكان، حتّى أقاصي الأرض (رسل ١ / ٨)، بغير انقطاع، وفّق مبدأه الشهير: «الويل لي إنّ لم أبشّر» (١ قور ٩ / ١٦) " ^(٤).

وجال بولس جولاته الرسوليّة، مبتدئاً، في جولته الأولى مع برنابا (سنة ٤٥-٤٩)، في أنطاكية، وقبرص، وبمفيلية، وبسيدية، وليقونية، عوداً إلى أنطاكية.

ثمّ ابتدأ جولته الثانية مع سيلا (سنة ٤٩-٥٣)، في سورية، من قيليقية.. حتّى ميسية، في فيلبّي، وتسالونيكّي، وبيرية، وأثينا، وقورنثس، "ولمّا أراد أن يُبحر (من قورنثس) إلى أفسس، بلغه أنّ اليهود كمنوا له ليقتلوه، فغيّر طريقه عائداً أدراجه إلى مقدونية" ^(٥).

ثمّ عاد إلى أنطاكية، ومنها جال جولته الثالثة (سنة ٥٤-٥٨)، إلى أفسس، ومقدونية، وأورشليم. ومن أورشليم اقتيد أسيراً إلى رومة...

(٣) غل ٤ / ٢٩؛ ١١ / ٥؛ ١٢ / ١٧.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص ٦٣٣.

(٥) مقدّمة رسائل بولس، إنجيليون، ص ٦٤٠.

"بينا بولس في الهيكل، لوفاء النذر، قبض اليهود عليه، بتهمة أنّه أدخل معه رجلاً أفسسيّاً، ودنّس الهيكل. وراحوا يوسعونه ضرباً ملتَمسين قتله، لو لم يسرع الجنود الرومانيّون فينتشلوه من أيديهم. لما عرف قائد الألف أنّ بولس روماني، فكّ قيوده. وظهر الربُّ لبولس، وشجّعهُ على الشهادة له في أورشليم ثمّ في رومة" (٦).

"في قيصرية تآمر أكثر من أربعين يهوديّاً، وأقسموا ألاّ يأكلوا أو يشربوا ما لم يقتلوا بولس، وكنوا له. كشف المكيدة ابنُ أخت بولس، وبلغ الخبرُ أذنَ قائد الألف، فنقل بولس ليلاً من أورشليم إلى قيصرية، حيث بات بولس محروساً في قصر هيرودس مدّة سنتين.

"اتُّهم بولس بثلاث: أنّه ثائر على سلامة الدولة، ورئيس ملّة دينيّة ممنوعة، ومسيء إلى قداسة الهيكل (٢٤/٢-٨). برأ بولس نفسه من التهم: لا يثير فتناً، ويؤمن بكلّ ما تقضي به التوراة، ولم يدنّس الهيكل (٢٤/١١-١٩)، وليس رئيساً لأيّ دين أو مذهب.

استمرّ بولس، بهذه الحياة الصاخبة، يناضل ويجاهد حتّى الرّمق الأخير من أجل إيمانه بأنّ الخلاص لم

(٦) المرجع نفسه، ص ٦٤١.

ولن يكون إلاّ يسوع المسيح مصلوباً، وبيسوع المسيح وحده، وأنّ الخلاص لن يكون إلاّ شاملاً لجميع البشر...

هذه هي رسالته المسيحية، وهذه هي مواقفه من التوراة اليهودية والشرعة التي نسبوها إلى الله. والله منها براء. لقد انتهت، في رأيه، شريعة العهد القديم ليبدأ دور المسيح الخلاصي في العهد الجديد.

رسالة بولس إلى أهل روما

٢ . البرّ بالإيمان بيسوع المسيح لا بأعمال الشريعة (رو ٣ / ٢٠-٢٢): «لذلك لن يُبرَّر أحدٌ أمامه بأعمال الشريعة، لأنّ بالشريعة معرفة الخطيئة.. ٢٢. برّ الله بالإيمان بيسوع المسيح، لجميع المؤمنين، وما من فارق».

يعلّق شرّاح: "يعتبر صاحب المزامير (مز ١٤٣ / ٢) أعمال الإنسان، في ذاتها، غير صالحة للتبرير؛ إنّما أمانة الله لوعده بالخلاص (١ قور ١ / ٩)، هي وحدها الضمانة،

وقد ظهرت في شخص يسوع بن الله (رو ٣ / ٢٢)، تشهد له الشريعة والأنبياء (رو ٣ / ٢١). لا دور للشريعة في تبرير الإنسان من الخطيئة، بل دور الشريعة أن تظهر الخطيئة الكامنة في قلب الإنسان " (رو ١ / ١٦؛ ٧ / ٤ و ٧).

لقد " ملكت الخطيئة على جميع الناس، يونانيين ويهوداً، وما من فارق: «إنَّ الجميع، يهوداً ويونانيين، هم تحت الخطيئة» (٣ / ٩ و ٢٢)، فلم يعد من خلاص للبشرية إلا بتدخل الله العجيب، في شخص يسوع المسيح. وحده الإيمان بالمسيح يسوع يفتح باب التبرير والخلاص " (٧).

٣ . التبرير بالمسيح مجّاناً (رو ٣ / ٢٤) «فَيُبْرَرُونَ

مَجَّاناً بنعمته، بالفداء الذي صار في المسيح يسوع».

يقول شراح : " برّ الله يعني ما يلي:

"أولاً - الله أمين، صادق، مساوٍ لذاته، وقد وعد بالخلاص، فسيخلص، مهما حدث من جهة الإنسان. إنّه تصميم وقصد عند الله أظهره للبشرية جمعاء، في يسوع المسيح، وأعلنه في بشارة الإنجيل (رو ١ / ١٧).

"ثانياً - برّ الله يتحقّق تجاه الإنسان الخاطئ (رو

٣ / ٢٣-٢٤) بنعمة من الله مجّانية، لا تتوقّع من الإنسان

(٧) حاشية على رو ٣ / ٢٢.

سوى قبول متواضع، وخضوع كامل يعبر عن طاعة الإيمان. كلِّ برٍّ لا يأتي من الله ومن الإيمان بيسوع المسيح باطل^(٨).

"ثالثاً - هذا التبرير المجاني يخلق في الإنسان حياة جديدة، الحياة بالروح (رو ٨/٢)، والقداسة (١ قور ١/٣٠)، الحياة المنزهة عن الخطيئة (رو ٦/١٣-٢٠)، والتي تثمر أثمار المجد (رو ٧/٤؛ فل ١/١١).

"رابعاً - إنَّ الله هو الذي يدين الناس، وفق مشورته الصالحة، بناءً على استحقاق المسيح يسوع، الذي مات وقام، وهو لا يزال يشفع لهم^(٩).

لكنَّ الرسول بولس يُلحّ، في نصوص عدّة، على أهميّة الأعمال الصالحة، والطاعة لشريعة المحبة، لأنَّ الله يجازي كلَّ واحد بأعماله^(١٠).

٤ . التبرير بالإيمان (رو ٣/٢٨) «لأنّا نعتبر أنَّ الإنسان يُبرَّر بالإيمان، بمعزلٍ عن أعمال الشريعة».

(٨) رو ٣/١٩-٣٠؛ ٤/٢-١٠؛ ٩/٣١-٣٠؛ ١٠/٤-٣؛ غل ٢/١٦؛ فل ٣/٩-٦.

(٩) رو ٨/٣٠-٣٩؛ فل ٣/٨-١٤.

(١٠) رو ٢/٥-٦، ١٢-٢٧؛ ٤/١٠-١٢؛ ٢ قور ٥/١٠.

كلام واضح في الفرق بين الإيمان بيسوع المسيح وأعمال الشريعة؛ أي ليس برُّ يأتي من الأعمال مهما كانت صالحة؛ إنّما البرُّ يأتي من الإيمان بيسوع المسيح. هذا الإيمان هو الذي يقدّس الأعمال بتدخّل من الروح القدس.

٥ . تحقيق الوعد بالإيمان (رو ٤/٢) «فلو أنّ إبراهيم بُرّ بأعمال، لكان له فخر، لكن ليس عند الله».

الخطيئة في جوهرها ادّعاء وافتخار أمام الله، يفتخر اليهودي بأعماله، واليوناني بحكمته. أمّا المؤمن فيعترف أنّ كلّ شيء هو من عمل نعمة الله المجّانية، في يسوع المسيح، الذي ألغى كلّ افتخار بشري^(١١). وصار هو نفسه موضوع الفخر الجديد الأسمى، في الأفراح والآلام، على حدّ سواء^(١٢).

٦ . تبرير إبراهيم كان بالإيمان (رو ٤/٣) «... قد آمن إبراهيم بالله، فحُساب له ذلك برّاً».

يقول شرّاح: "ليس فعل الإيمان عملاً قانونياً يستحقّ التبرير أجراً؛ لأنّ محبة الله الفائقة، وبادرتة الخلاصيّة، نعمة مجّانية، وهي المبرّرة.. يجمع بولس معاً

(١١) رو ٣/٢٧؛ ١ قور ١/٢٩؛ ٣١؛ غل ٦/١٣.

(١٢) فل ١/٢٦؛ ٢/١٦؛ ٢ قور ١/١٢؛ ٧/٤؛ ١١/٣٠؛ ١٢/٩؛ ١ تس ٢/١٩.

التبرير بالإيمان مجّاناً، ومغفرة الخطايا مجّاناً. واللّه هو الذي يبرّر المؤمن، ويغفر للخطي، مجّاناً، على حدّ سواء (٣/ ٢٤؛ ٤/ ٧-٨)، لأنّ تبرير المؤمن قائم بغفران خطاياها.

٧. تحقيق الوعد بالإيمان (رو ٤/ ١٣-١٥) » ١٣.

فليس بالشرعية أُعطي الوعد لإبراهيم أو لنسله.. بل ببرّ الإيمان. ١٤. فإن كان ذوو الشرعية همّ الوارثين، فالإيمان عُطّل، والوعد أبطل؛ ١٥. لأنّ الشرعية تُنشئ الغضب، وحيث لا شرعية، فلا تعديّ للشرعية».

يعلّق شراح: "يجعل بولس، في نظرته الشاملة إلى تاريخ الخلاص، لكلّ من الوعد والإيمان والشرعية، دوراً خاصاً مميّزاً: دور الإيمان، إستناداً إلى وعد الله الحرّ، أن يمنح المؤمن الميراث. أمّا دور الشرعية، وقد أتت في وقت لاحق (غل ٣/ ١٧)، فهو أن تُظهر للإنسان الخطيئة والتعديّ (رو ٣/ ٢٠؛ ٧/ ٨-١٢)، فيعي الإنسان نفسه أنّه خاطئ أمام الله، يحتاج إلى إيمان وتبرير. وهذا ما حدث في موت المسيح وقيامته".

ألا يعني هذا أنّ الدّين، الذي هو هنا الشرعية، هو الذي أظهر للإنسان الخطيئة والتعديّ؟ وبسببه وعى الإنسان نفسه أنّه خاطئ أمام الله! ولا يمكن، بالتالي، أن

يتبرّر إلا بالإيمان بيسوع المسيح المخلّص، لا بأيّ دينٍ مهما سمّتُ تعاليمُهُ.

أضفُ إلى ذلك أنّ كلّ صاحب دين، يتصرّف بعداوة مع مَنْ هم من غير دينه. من هنا يشدّد بولس على إلغاء كلّ شريعة ودين من أجل الوفاق والمحبة بين أبناء الله.

٨ . الشريعة والخطيئة (رو ٥ / ٢٠) «أما الشريعة فقد اندستُ لكي تكثُر الخطيئة».

يعلّق شرّاح: "لا يقول بولس إنّ غاية الشريعة تكثير الزلّات، لكنّه يرى أنّ الشريعة أسهمت إلى حدّ بعيد في إظهار الزلّات وتكثيرها.

"لا يعلّق بولس أي أهميّة خلاصيّة على الشريعة، كما علّق التقليد الربّيني المعاصر، والرؤىات اليهوديّة المعاصرة، بدلاً من أن تعطي الشريعة الحياة، قوّت سلطان الخطيئة والموت .."

هذا يعني أنّ في كثرة الأديان والشرائع برهاناً على كثرة الزلّات والخطايا، وبالتالي كثرة الخلافات بين الناس.

٩ . التحرّر من الخطيئة (رو ٦ / ١٤-١٥) «١٤. لا تتسلط عليكم الخطيئة، لأنكم لستم في قيد الشريعة بل في

قيد النعمة. ١٥. إذًا، ماذا؟ أنخطأ لأننا لسنا في قيد الشريعة، بل في قيد النعمة؟ معاذ الله!

يعلّق شرّاح: "قيد الشريعة لا يحلّه إلا الموت... يموت المسيحيّ عن الخطيئة (رو ٦/٢ و ١١؛ ١ بط ٤/١)، وعن الشريعة (٦/٧؛ غل ٢/١٩)، وعن أركان العالم (قو ٢/٢٠)، ليحيا في نظام النعمة والروح (رو ٨/٥-١٣)، لا لنفسه بل للمسيح ولله الآب" (١٣).

لهذا لا يحقّ لمن كان في حال النعمة أن يعود إلى الخطيئة ونظام الشريعة.

١٠. المسيحيّ محرّر من الشريعة (رو ٧/١-٤) «أوتجهلون، أيّها الإخوة.. أنّ الشريعة تتسلّط على الإنسان ما دام حيّاً؟.. ٤. «إذًا، يا إخوتي، فأنتم أيضاً قد أمّتم بالنظر إلى الشريعة».

قال شرّاح: "يشدّد بولس على أمرين هامّين:

الأوّل أنّ المسيحيّ قد تحرّر بالمسيح من شريعة موسى (٧/١-١٦)، والثاني أنّ الشريعة في ذاتها صالحة نظريّاً، لكنّها في الواقع كانت سبباً لمأساة الإنسان الدهريّة، وصارت نقیض إنجيل المسيح يسوع (٧/٧-٢٥). ينقض

(١٣) ١١/١٣، ١٤/٧-٨؛ ٢ قور ٥/١٥؛ غل ٢/٢٠؛ ر: حاشية على رو ٤/٧.

بولس رأي الربّينّ الذين يرون في الشريعة ضرورة أبدية، لتضع حدّاً لغريزة الشرّ في قلب الإنسان الخاطيء".

"ليست شريعة موسى مجموعة فرائض ورسوم خارجية فحسب، كالختانة والسبت؛ بل هي أيضاً شريعة أدبية، كالوصايا العشر، فُرضت على ضمير الإنسان، ولا يسعها إلا أن تعرّف الإنسان بطريق الخير والصلاح، لكنّها تبقى عاجزة عن إعطائه القوّة على العمل بموجبها.

"فالشريعة في ذاتها صالحة، لأنّها تُظهر إرادة الله (رو٧/١٢-٢٥)؛ وهي امتياز لشعب الله القديم (رو٩/٤). مع ذلك تبدو فاشلة، لأنّ شعب الله خاطيء، مثل باقي الناس الذين لا شريعة لهم^(١٤)، رافض لنعمة المسيح^(١٥). فالمؤمنون، وقد ماتوا وقاموا مع المسيح، حازوا شريعة الروح، وتحرّروا من أيّ شريعة أخرى".

١١ . عَتَقُ الْحَرْفُ (رو٧/٦) «أَمَّا الْآنَ فَقَدْ أَعْتَقْنَا مِنْ الشَّرِيعَةِ، مُتَنَا عَمَّا كَانَ يَأْسُرُنَا، حَتَّى نَخْدُمَ لَا فِي عِتْقِ الْحَرْفِ بَلْ فِي جِدَّةِ الرُّوحِ».

(١٤) رو٢١/٢٧-٢٨؛ غل٦/١٣؛ أف٢/٣.

(١٥) غل٦/١٢؛ فل٣/١٨؛ رسل ١٥/١؛ ١٨/١٣؛ ٢١/٢١.

يعلق شرّاح على تعبير «عَتَقِ الحَرْف» بقولهم :
 "هي الشريعة القديمة المكتوبة، العاجزة عن تبرير مَنْ
 يخدم فيها^(١٦) لسببين :

الأوّل لأنّ الشريعة في ذات طبعها نور إلهيّ يزيد
 الإنسان وعياً ومعرفة لإرادة الله، لكنّها لا تمنحه أيّ قوّة
 داخلية تساعد على عمل الخير، ولا أيّ مناعة تُسند ضعفه
 ضدّ عمل الشرّ، مع أنّها تعبّر عن إرادة الله^(١٧). فهي إذاً
 تُسهم، ولو في صورة سلبية، في مأساة الإنسان الضعيف
 الخاطئ: تذكي فيه الشهوة (٧/٧-٨)، ولا تداوي ضعفه
 إلّا بقصاص غضب الله (٤/١٥)، واللّعة (غل ٣/١٠)،
 والدينونة (٢ قور ٣/٩)، والموت (٢ قور ٦/٧-٧). لذلك
 يدعوها الرسول «شريعة الخطيئة والموت»^(١٨).

والثاني لأنّ الشريعة نظام موقّت، أرادته الله مرحلة
 من تاريخ الخلاص، يكون فيها للشريعة دورٌ مؤدّب يقود
 إلى المسيح (غل ٣/٢٤)، ومنبّه ومحدّر (رو ١٩/٣-٢٠؛
 ٥/٢٠؛ غل ٣/١٩)، يجعلنا لا نأمل التبرير والخلاص إلّا
 من الله وحده (غل ٣/٢٢؛ رو ١١/٣٢).

(١٦) غل ٣/١١، ٢١-٢٣؛ رو ٣/٢٠؛ عب ٧/١٩.

(١٧) رو ٧/١٢-٢٥؛ ١ طيم ٨/٨.

(١٨) رو ٨/٢؛ ١ قور ١٥/٥٦؛ رو ٧/١٣.

"والمسيح يسوع قد وضع حدًا لنظام الشريعة (أف ٢/١٥؛ رو ١٠/٤) بموته فداء (غل ٣/١٣؛ رو ٨/٣؛ قول ٢/١٤)، فاستحق للإنسان المفتدى موهبة الروح القدس (أف ٢/١٤)، ومنح الإنسان المؤمن قوّة داخلية تمكّنه من العمل بما كانت تأمر به الشريعة (رو ٨/٤-٥)، وأحلّ نظام النعمة مكان نظام الشريعة، يدعوها بولس «شريعة الإيمان» (رو ٣/٢٧)، و«شريعة المسيح» (غل ٢/٦)، و«شريعة الروح» (رو ٨/١). تختصرها وصيّة المحبة.

١٢. مهمّة الشريعة (رو ٧/٧-١٠) «٧. .. ما عرفتُ الخطيئةَ إلّا بالشريعة.. ٨. فالخطيئة اتّخذتِ الوصيّةَ سانحةً.. لأنّ الخطيئة بدون الشريعة ميّنة. ٩. أمّا أنا فكنتُ حيّاً من قبلُ بدون الشريعة. ولما جاءت الوصيّة عاشتِ الخطيئة، ١٠. ومُتُّ أنا. والوصيّة التي هي للحياة، صارتُ لي هي نفسُها للموت».

يوضح بولس في قوله هذا: لولا الشريعة لما كانت خطيئة. ويقول أيضاً: بالشريعة عاشت الخطيئة.. وجاء يسوع المسيح ليقضي على الخطيئة، يعني ليقضي على الشريعة التي عنها نتجت الخطيئة. والخطيئة بدون الشريعة ميّنة.. ويوم يعود حكم الشريعة، تعيش الخطيئة

من جديد. أي: بكثرة الشرائع، والأديان الحاضنة لها، تكثر الخلافات بين البشر. وهذا ما هو حاصل فعلاً.

١٣ . **الله قضى على الخطيئة بالجسد** (رو ٨ / ٣)
«إِنَّ مَا عَجَزَتْ عَنْهُ الشَّرِيعَةُ، وَقَدْ أضعفها الجسد، أنجزه الله، لما أرسل ابنه من أجل الخطيئة في شِبْهِ جَسَدٍ خَطِيئَةٍ، ففُضِيَ فِي الْجَسَدِ عَلَى الْخَطِيئَةِ».

يقول شرّاح: "عجزت شريعة موسى عن أن تكون مبدأ خلاص للإنسان، لأنها اكتفت بإعطائه مبادئ وأوامر، دون أن تُعَيِّنَهُ على تنفيذها، فبقيت الخطيئة متسلّطة على الجسد، وأضعفت الشريعة وأعجزتها. وما استطاع أحد أن يقتل الخطيئة إلا المسيح وحده، على الصليب. وإحلال روحه القدّوس في الجسد، مبدأ خلاصٍ وحياة".

عندما حلّ الله في الجسد قضى على الخطيئة في عقر دارها، أي لم يعد الجسد مقراً لها، ولا مكاناً لفعالها الشرير. بموت جسد المسيح على الصليب أمات جسد الخطيئة، حيث منبت الشريعة.

١٤ . **لا هدف للشريعة** (رو ٩ / ٣١-٣٢) «٣١. أما إسرائيل الذي سعى إلى شريعةٍ برّ، فما بلغ تلك الشريعة. ٣٢. لماذا؟ لأنّه ما سعى إلى برٍّ من الإيمان بل من الأعمال،

فَعَثَرُوا بِحَجَرِ الْعَثَرَةِ.

يَعْلَقُ شَرَّاحُ: "لم يصل شعب إسرائيل، شعب الشريعة، إلى الغاية التي كان على الشريعة أن توصله إليها؛ إمّا لأنّه لم يحفظ الشريعة^(١٩)، وإمّا لأنّه لم يدرك الهدف الأسمى، أي المسيح؛ وقد كان على الشريعة أن تقوده إليه، ولم يسعها!".

بالشريعة لا يصل الإنسان إلى البرّ، لأنّ الشريعة تجعله يُتَقَنُ أعماله فقط؛ إمّا بالإيمان بيسوع المسيح فالبرّ حاصل به، لا بسواه. لهذا، لا يسع الشريعة أن تقود إلى البرّ، وبالتالي إلى الخلاص.

١٥ . الخلاص بالإيمان لا بالشريعة (رو ١٠ / ١ -

٢١) «٤. إن غايّة الشريعة إنّما هي المسيحُ تبريراً لكلّ مؤمن.. ٩. إن اعترفتَ بِفمك أن يسوع ربّ، وآمنتَ بقلبك أن الله أقامه من بين الأموات، تَخَلَّص.. ١٢. فما من فارق بين يهوديّ ويونانيّ، لأنّ الربّ نفسه ربّ للجميع، غنيّ لجميع الذين يدعونه. ١٣. فكلّ من يدعو اسمَ الربّ يَخَلَّص».

يَعْلَقُ شَرَّاحُ: "شعبُ الشريعة مسؤول عن عثرته وخطيئته: لأنّه جهل برّ الله في المسيح يسوع، وقد كان في

(١٩) متى ٢٣ / ١٣؛ رسل ١٥ / ١٠؛ رو ٢ / ٢١-٢٣.

متناول يده (١٠ / ١ - ٤)، فلا خلاص له بشريعة موسى، بل بالإيمان بيسوع المسيح (١٠ / ٥ - ١٣)؛ ولا عذر له إن لم يؤمن (١٠ / ١٤ - ٢١) .

ويقولون: "لا ينكر بولس أن شعب التوراة قد عرفوا برّ الله، بل يأخذ عليهم جهلهم أن برّ الله لا ينتج عن عمل بشريّ أو جهد شخصي، كممارسة الشريعة مثلاً، بل هو نعمة مجّانيّة تُقبَل بالإيمان بيسوع المسيح (١ / ١٦؛ ٤ / ٢٥؛ ٧ / ٧). والبرهان القاطع على جهلهم إنّما هو رفضهم للمسيح يسوع، باسم التوراة نفسها!" .

الرسالة الأولى إلى أهل كورنثس

١٦ . بولس يريد أن يربح الكلّ للمسيح (٩ / ٢٠ - ٢١) . صِرْتُ لليهود كأني يهوديٌّ لأربح اليهود، وللذين هم في قيد الشريعة كأني في قيد الشريعة، مع أنّي لستُ في قيد الشريعة، لأربح الذين هم في الشريعة^(٢٠) .
٢١ . وللذين هم بغير شريعة كأني بغير شريعة، مع أنّي

(٢٠) رَ: رسل ١٦ / ٣؛ ٢١ / ٢٠ - ٢٦؛ غل ٤ / ٤ - ٥ .

لستُ بغير شريعة الله، بل أنا في شريعة المسيح، لأربح الذين هم بغير شريعة».

يقول شرّاح: "الذين هم بغير شريعة هم الوثنيّون الذين ما أوحى الله إليهم بالشريعة الموسويّة". ومع هذا فإنّ بولس يعمل من أجل أن يربحهم للمسيح. وهم مؤهلّون لذلك، لأنّ المسيح لم يأت من أجل فئة من الناس على حساب فئة، كما يظنّ اليهود.

١٤ . قوّة الخطيئة إنّما هي الشريعة (١٥/٥٦)

هذا كلام يضع الخطيئة في أساس الشريعة؛ ويضع الشريعة أساساً للخطيئة. إنّ "شريعة الله موضوعة للناس العاصين المخالفين، لتُظهر لهم الخطيئة الكامنة في أعماقهم. لذلك تصبح الشريعة هدفاً للمعصية، أداة الخطيئة، التي تعمل في العاصين الموت المؤدّي إلى الهلاك".

الرسالة إلى أهل غلاطية

١٥ . التحرّر من الشريعة: يعلّق شرّاح على هذه

الرسالة بقولهم: "لم يكن بولس أوّل من بشرّ العالم

الوثني، بل أول مَنْ رسَّخ مبدأ التحرُّر من شريعة الختانة. قاومه قوم متحفِّظون يرون في الختانة لزماً على كلِّ مسيحيٍّ، وإكمالاً وأمانة للعهد القديم، فكان على الرسل أن يدلُّوا برأيهم: إمَّا الشريعة وإمَّا المسيح! إمَّا مسيحيَّة منغلقة في العالم اليهوديِّ، وإمَّا مسيحيَّة منفتحة على العالم الوثنيِّ والناس أجمعين. فكان مجمع الرسل سنة ٤٩، أيدَّ فيه الرسلُ والشيوخُ والكنيسةُ مبدأ بولس، مبدأ الحرِّيَّة المسيحيَّة^(٢١).

١٦ . عودة إلى شريعة موسى : يقول شراح:

"..قبل أهل غلاطية الإنجيل (غل ١ / ٩) ... وتحرَّروا من شريعة موسى (١٣ / ٣). لكنَّ تغييراً جذرياً مفاجئاً طرأ على مؤمني غلاطية: عودة سريعة إلى شريعة موسى والختانة، وعودة إلى الماضي الوثني، عودة إلى حياة الجسد بعد أن بدأوا بالروح (٣ / ٣)، من الحرِّيَّة إلى العبوديَّة.

"لا يُخفي بولس تأثره العميق، وانفعاله العنيف، وجرحه الدامي، إزاء هذا التغيير المفاجئ المذهل: لكأنَّ

(٢١) شراح إنجيليون، مقدمة الرسالة إلى الغلاطيَّين، ص ٨٢٤.

ساحراً سحرهم!"^(٢٢)، وأعادهم من الحرّية إلى العبوديّة، من النعمة إلى الشريعة.

١٧ . الدهر الحاضر الشرير (١/٣-٤) « ٣. والربّ يسوع المسيح، ٤. الذي بذل نفسه عن خطايانا، لِنُقِدِّنا من الدهر الحاضر الشرير»..

يقول شرّاح: "يعني بولس بتعبيره «الدهر الحاضر الشرير»، لا زمن الأمم والوثنيّة فحسب، بل زمن اليهود والشريعة أيضاً، أيّ كلّ زمن خارج عن المسيح يسوع، وهو زمن خاضع لسلطان الشيطان، إله هذا الدهر^(٢٣)، زمن تملك فيه الشريعة والخطيئة (غل ٣/١٩). فالمسيح وحده، بصلبه وموته وقيامته، قد حرّرنا من عناصر العالم القديم (غل ٤/٣، ٩-١٠)، وجعلنا خليقة جديدة (غل ٦/١٥)، ونقلنا إلى ملكوته أو ملكوت أبيه (رو ١٤/١٧)، وبدأ معنا عهداً ودهراً جديداً.. لكنّ الدهر الحاضر الشرير لا يزال يعمل عمله ليعود ويستعبدنا. لذلك لا نزال ننتظر الحرّية الكاملة والخلّاص النّهيوّيّ، يوم مجيء المسيح (٥-٨) " .

(٢٢) المرجع السابق نفسه، ص ٨٢٤.

(٢٣) رسل ٢٦/١٨؛ متى ١٣/١٣؛ ٢٣٨/٢؛ ٤/٤؛ أف ٢/٢؛ ١٢/٦؛ يو ١٢/٣١.

١٨ . عجب بولس من تحوّل أهل غلاطية (غل ١ / ٦-٨) «٦. يأخذني العجب من أنكم تتحوّلون بهذه السرعة إلى إنجيل آخر عن الذي دعاكم بنعمة المسيح. ٧. وما هذا الآخر بإنجيل، إلّا أنّ أناساً يبلبلونكم ويقصدون تحريف إنجيل المسيح. ٨. حتّى لو نحن بشرناكم، أو بشركم ملاكٌ من السماء، بخلاف ما بشرناكم، فليكن محروماً».

يعلّق شرّاح: "إنجيل المسيح واحد، هو الذي بشر به بولس، وهو الدعوة إلى الخلاص، بالمسيح وحده، إلى الحياة الجديدة (١ قور ١١ / ٤؛ ١٥ / ١١). كلّ دعوة أخرى إلى غير المسيح لا يسعها أن تكون إنجيلاً، بل دعوة إلى «الدهر الحاضر الشرير» (١ / ٤)، وتحريف للإنجيل الحقّ الواحد (١ / ٧). "وما هذا الآخر بإنجيل".

١٩ . رضى الله أولى (غل ١ / ١٠) «والآن، أستعطف الناس أم الله؟ أم أسعى إلى مرضاة الناس؟ لو كنت ما أزال أرضي الناس، لما كنت عبداً للمسيح!».

يقول شرّاح: "اتّهم المتهودون بولس بالمساومة على حقيقة الوحي الإلهي، لأنّه بات لا يُلزم بالختانة من يهتدون على يده من الأمم إلى المسيح، وذلك، في نظرهم، طمعاً بعطف الأمم وكسباً لرضاهم! يوجّه بولس الحرم إلى أمثال

أولئك المتهودين، مؤكّداً لهم أنّ تحرير الأمم من شريعة الختانة ليس إلاّ أمانة للمسيح لا غير! .

٢٠ . التبرير بالإيمان لا بالشريعة (غل ٢/١٦)
«لكنّ على علمنا أنّ ليس أحدٌ يُبرّر بأعمال الشريعة، بل بالإيمان بيسوع المسيح، فقد آمنا نحن أيضاً بالمسيح يسوع، لكي نُبرّر بالإيمان بالمسيح، لا بأعمال الشريعة، إذ ليس أحدٌ يُبرّر بأعمال الشريعة»..

هذه اللازمة الأساسيّة الدائمة في تفكير بولس يردّها في كلّ رسالة وفي كلّ حين: التبرير، والقداسة، والخلاص.. إنّما تكون كلّها بالإيمان بيسوع المسيح، لا بإتمام أعمال الشريعة التي كانت صالحة في حينها، وإلى وقتٍ محدّد؛ أمّا اليوم، بعد عمل المسيح الخلاصيّ، فقد انتهى دورها.

٢١ . البرُّ بموت المسيح لا بالشريعة (غل ٢/٢١)
«لستُ أنقُضُ نعمة الله (بالعودة إلى الشريعة): فإنّ كان التبرير بالشريعة، إذّا فباطلاً مات المسيح!»

يشدّد بولس أكثر فأكثر على أنّ التبرير لا يكون بالشريعة؛ إنّما يكون بالإيمان بيسوع المسيح، وبالنعمة التي وهبناها. وإلاّ كان موت المسيح باطلاً.

٢٢ . القداسة من الإيمان لا من الشريعة (غل ٣ / ٥-١) « ١. أيها الغلاطيون الأغبياء.. ٢. شيئاً واحداً أريد أن أعرف منكم: أمن أعمال الشريعة قبلتم الروح، أم من سماع الإيمان؟ ».

أي إن الإنسان يتبرّر ويتقدّس بعمل روح يسوع، لا بأعماله هو، ولا بأعمال الشريعة.. وقبول الروح القدس لا يكون بأعمال الشريعة أو بأعمال الإنسان، مهما كانت صالحة؛ إنّما يكون بالإيمان بيسوع المسيح إلهاً مخلصاً لجميع البشر.

٢٣ . المسيح افتدانا من لعنة الشريعة (غل ٣ / ١٠-١٣) « ١٠. فجميع الذين هم من أعمال الشريعة هم تحت لعنة، لأنّه قد كُتِب: "ملعون كل من لا يثبت على العمل بكل ما كُتِب في الشريعة" ^(٢٤). ١١. أمّا أنّه ما من أحد يُبرّر في الشريعة أمام الله فأمر واضح، لأنّ البارّ بالإيمان يحيا ^(٢٥). ١٢. فما الشريعة من الإيمان، بل إنّ من يعمل برسومها يحيا بها. ١٣. لقد افتدانا المسيح من لعنة الشريعة، إذ صار لعنة من أجلنا، لأنّه كُتِب: ملعون كل معلق على خشبة ».

(٢٤) تث ٢٧/٢٦؛ ١٨/١٨؛ سي ٤٤/٢١؛ رسل ٣/٢٥.
(٢٥) رو ٣/٢٠؛ غل ٢/١٦؛ حب ٢/٤؛ رو ١٧/١؛ عب ١٠/٣٨.

يعلّق شرّاح: "تفرض الشريعة على الإنسان ممارسات، ينبغي أن يتممها كاملة (غل ١٠ / ٣؛ ٣ / ٥؛ يع ١٠ / ٢)؛ لأنّ الحياة تأتي من العمل برسوم الشريعة، لكنّ الشريعة لا تُعطي القوّة على تتميم ما تفرض (رسل ١٥ / ١٠؛ رو ٧ / ٧). لذلك يستحيل على الإنسان تطبيقها. إذّا فالخلاص لا يأتي من الشريعة، بل من الإيمان وحده بالمسيح، الذي يعطينا شريعة الروح (رو ٨).

ويعلّقون أيضاً: "الإنسان عاجز عن تتميم جميع أحكام الشريعة، لذلك فهو واقع تحت اللعنة لا محالة (٣ / ١٠). ويسوع البارّ، صار في حكم المحفل اليهودي، وحكم بيلاطس الروماني، المجدّف الأكبر على الله وشريعته، وفي عين الشريعة والشعب، صار لعنة بموته على الصليب^(٢٦)؛ أخذ يسوع على نفسه لعنة الشريعة، فأبطل الشريعة؛ وحرّر شعبه منها، مظهراً حبّه للأب وللناس (رو ٨ / ٥؛ أف ٢ / ٥-٤)، ومستحقّاً البركة لشعبه، ولجميع الشعوب، وللغلاطيّين أنفسهم".

٢٤. لا وسيط بين الله والإنسان (غل ٣ / ٢٠)
«غير أنّ الواحد لا وسيط له. والله واحد».

(٢٦) تث ٢٣ / ٢١؛ رو ٨ / ٣؛ ٢ قور ٥ / ٢١؛ قول ٤ / ٢.

يعلّق شرّاح: "أعطيت الشريعة للشعب على أيدي وسطاء، موسى والملائكة (١٩ / ٣)، بينما الوعد صدر عن الله مباشرة دون وسيط. لا شكّ في أنّ الشريعة إلهيّة، لأنّ سلطة الملائكة وموسى هي من الله. لكنّها لا يسعها أن تحقّق قصد الله الخلاصيّ الشامل لكلّ البشر بغير استثناء. فقد أخضعت شعب الله لعناصر العالم (٣ / ٤)، وشطّرت البشريّة قسمين: يهوداً وأمماً. لذلك يشدّد بولس على أنّ «الله واحد» (رو ٣ / ٣٠)، وأنّ إرادته الخلاصيّة لن تتحقّق بالشريعة، بل بالإيمان بيسوع المسيح^(٢٧)، الذي هو «الوسيط الواحد» (١ طيم ٥ / ٢) بين الله والبشر. ولقد حقّق الله وعده شخصياً في ابنه الواحد، يسوع المسيح".

مرّة أخرى يركّز بولس على أنّ الخلاص لن يكون إلّا بوسيط واحد هو يسوع المسيح. فلا الشريعة ولا ممارساتها ولا تقاليد الآباء والأنبياء تستطيع أن تعطي الخلاص للعالم.

٢٥ . الشريعة ووعود الله (غل ٣ / ٢١-٢٨) «فهل

تَنقُضُ الشريعة وعودَ الله؟ معاذَ الله! فلو وَهَبَتْ شريعة

(٢٧) ٣ / ٢٢، ٢٦، ٢٨؛ رو ٣ / ٢٩، ٣٠؛ أف ٢ / ٨، ١١-١٨.

جديرة بأن تُحيي، لكان التبرير حقًا بالشرعية^(٢٨) .. ٢٣. قبل أن يأتي الإيمان، كنّا محفوظين محبوسين تحت الشرعية، على توقُّع أن يظهر الإيمان، ٢٤. بحيث إنَّ الشرعية كانت لنا مؤدِّبة تقودنا إلى المسيح، لكي نُبرَّر بالإيمان. ٢٥. فلمَّا أتى الإيمان، لم نَعُدْ تحت مؤدِّب. ٢٦. فجميعكم أبناء الله بالإيمان، في المسيح يسوع. ٢٧. فأنتم جميع الذين عمَّدتم في المسيح، قد لبستم المسيح. ٢٨. لا يهوديٌّ بعد ولا يونانيٌّ، لا عبد ولا حرٌّ، لا ذكر ولا أنثى، فإنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع.

يعلّق شراح: "يرى بولس أنَّ الشرعية حفظت اليهود في وضع معيّن خاصّ ميّزهم عن الشعوب الباقين، ولكنّها ما عصمتهم من الخطيئة، ولا برّرتهم، لأنَّ الإيمان بيسوع المسيح هو وحده المبرّر".

«جميعكم واحد في المسيح»، أي "في المسيح تُلغى جميع الحواجز التي تفصل البشر: العرقية (يهودي ويوناني)، والاجتماعيّة (عبد وحرّ)، والطبيعيّة نفسها (ذكر وأنثى)، لأنَّ المسيح يوحد فيه جميع الذين يشتركون في حياته الإلهيّة بالإيمان والعماد والعيش المسيحيّ الملتزم

(٢٨) ر: رو ٨/٢-٤؛ ٣/٣٠؛ أف ٢/١٤-١٥؛ رسل ١٣/٢٨-٣٩.

(قول ١١ / ٣)، فيجعل منهم إنساناً جديداً واحداً في المسيح. فالؤمنون جميعهم أعضاء جسد المسيح السري الواحد^(٢٩) .

لذلك فالطريق إلى الله واحد، وهو الإيمان بالوسيط الوحيد يسوع المسيح. هذا يعني أن الدين واحد. وإذا شئت لا دين، أو أيضاً، لا أديان حدّدها الله وجعل بين البشر اختلافاً بسببها، فيما الطريق الموصل إلى الله واحد.

٢٦ . الخوف من العودة إلى الشريعة (غل ١١ / ٤)
«إِنِّي لَخَائِفٌ أَنْ أَكُونَ تَعَبْتُ فِي سَبِيلِكُمْ عَبَثًا!».

يعلّق شرّاح: " يخاف الرسول أن يهلك مؤمنو غلاطية، بعودتهم إلى شريعة موسى، ويكون تعبهُ هو في سبيلهم عبثاً " (ر: فل ١٦ / ٢) ..

٢٧ . «كونوا مثلي» (غل ١٢ / ٤).

يعلّق شرّاح: " ترك بولس من أجل المسيح شريعة موسى وبرّها، وعدّها كلا شيء، فأضحى مثل أهل غلاطية، مثل الأمم لا يفرّق يهودياً عن وثني (٢٨ / ٣). وها هو الآن يناشد الغلاطيّين أن يقتدوا به هم بدورهم فيرفضوا العودة إلى الشريعة، ليثبتوا على إيمانهم بالإنجيل " .

الرسالة إلى أهل فيلبّي

٢٨ . الحذر من أهل الختانة (فل ٢/٣) «إحذروا

الكلاب، إحذروا العملة الأردياء، إحذروا قطع اللحم».

يقول شرّاح: "كان «الكلب» يعني حيواناً نجساً، كالخنزير أحياناً (متى ٦/٧؛ بط ٢/٢٢)، حتّى كان اليهود يلقّبون الوثنيّين بالكلاب (متى ١٥/٣٦؛ رؤ ٢٢/١٥)؛ أمّا بولس هنا فيعني المسيحيّين المتهودّين الداعين إلى حفظ الختانة، كما يتّضح من تسميتهم بذوي «قطع اللحم» و«العملة الأردياء»، ومن المقطع كلّهُ (١١-٢/٣).

و«العملة الأردياء»: سمّى يسوع تلاميذه «عملة» لحصاده الإنجيليّ الكثير^(٣٠)؛ ويسمّي بولس «عملة أردياء» أولئك المسيحيّين المتهودّين المروجين لشريعة موسى ضد إنجيل يسوع، في فيلبّي، مثل أولئك «العملة الماكّرين» في قورنثس^(٣١).

(٣٠) متى ٩/٣٧-٣٨؛ لو ١١/٢.

(٣١) ٢ قور ١١/١٣؛ متى ٢١/٤١؛ ٢٤/٤٨.

و «قطع اللحم»: تعبير مُحَقَّر للمسيحيين المتهودين
التمسكين بشريعة الختانة اللحمية (غل ٥/١٢). إنَّ
الختانة الحقيقية هي ختانة القلب (رو ٢/٢٩)، ختانة
المسيح (قول ٢/١١).

٢٩ . البرُّ من الإيمان (فل ٣/٩) «... لا برُّ لي من
الشرعية، بل من الإيمان بالمسيح».

يعلق شرّاح: "إنَّ التبرير لا يأتي من الشرعية، بل
يأتي مجاناً من الإيمان بالمسيح. وهذا هو الموضوع
الأساسي" عند بولس، والذي يتكرّر دائماً في رسائله.

الرسالة إلى أهل قورنثوس

٣٠ . بولس في خدمة الأمم (قول ١/٢٧-٢٨)
«٢٧. الذين شاء الله أن يُعرفهم ما غنى مجد السرِّ في
الأمم، وهو المسيح فيكم، رجاء المجد. ٢٨. به نحن نُبَشِّرُ
ناصحين كلَّ إنسان، ومُعَلِّمين كلَّ إنسان في كلِّ حكمة، لكي
نجعل كلَّ إنسان في المسيح كاملاً» (٣٢).

يعلّق شرّاح: " كان الأمم غرباء مُبْعَدِينَ عن خلاصٍ محفوظٍ لإسرائيل، فكانوا بلا إله، بلا مسيح، بلا رجاء (أف ١٢/٢). إنّ سرّ تصميم الله الخلاصيّ، الذي أُوحِيَ في المسيح يسوع وفي الكنيسة، يدعو جميع الأمم إلى الخلاص والمجد السماوي، في المسيح يسوع (أف ١٣/٢-٢٢؛ ٣/٦). إنّ حضور المسيح بين الأمم في قولسّي قد أظهر غنى مجد الله بخلاصهم^(٣٣) ".

٣١ . الحياة الجديدة في المسيح (قول ٢/٢٠) «إن كنتم قد مُتُّم مع المسيح عن أركان العالم، فلماذا تَرْكُمُونَ على أنفسكم فرائضَ كَأَنَّكُمْ ما بَرِحْتُمْ تَعِيشُونَ في العالم؟»
هذا يعني أنّ المسيحيّ الذي دخل بالمعمودية، في حياة يسوع، كيف يحقّ له، بعد ذلك، أن يعود إلى الوراء، إلى نظام الشريعة وأحكامها، وإلى التقيّد بمعطيات العالم!

(٣٣) رسل ١٣/٤٧؛ رو ١٥/٧-١٣.

الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي

٣٢ . غضب الله على اليهود (١٦/٢) «... لكنّ عليهم (أي على اليهود) وقع الغضبُ إلى النهاية».

أي: إنّ "غضب الله الذي كان يهدف إلى غير اليهود، انقلب، مع بولس، على اليهود أنفسهم، وقد طَفَحُوا كَيْلَ آثَامِهِمْ.

"سبق بولس فذكّر أنّ الإيمان بالمسيح ينجي المؤمنين من غضب الله (١٠/١). أمّا الكفر بالمسيح فيوقع غضب الله على الكافرين إلى النهاية".

أي إنّ محبة الله للعالم إنّما تمرّ عبر يسوع المسيح الذي خلّص البشر من غضب الله.

الرسالة إلى العبرانيين

ليست هذه الرسالة من يد القديس بولس مباشرة، بل من أحد تلاميذه. إلّا أنّها تسير في خطّه، وتتناول

موضوعات كثيرة من تفكيره وإيمانه بالمسيح.

٣٣. الكهنوت يعني التحرر من نظام الشريعة :

"موضوع كهنوت المسيح نفسه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوعين أساسيين في تفكير القديس بولس، هما: التحرر المسيحي من نظام الشريعة القديمة، وطاعة المسيح الخلاصية المطلقة لله الآب السماوي" (٣٤).

"افترض (شراح) آخرون أنها (أي الرسالة إلى العبرانيين) موجهة إلى مؤمنين من أصل يهودي، كهنة ولاويين، ليثبتهم على الإيمان، لئلا يسقطوا في تجربة العودة إلى اليهودية" (٣٥).

"كان على الكهنوت القديم أن يقوم بجميع طقوس العبادة المتعددة والمتنوعة" (٣٦). تلك الطقوس لم يقيم يسوع بواحدٍ منها، ولا بقي منها شيء في العبادة المسيحية" (٣٧).
"ويرى الكاتب سرّ كهنوت المسيح الجديد في علاقة مثلثة بالعهد القديم:

(٣٤) مقدّمة عبرانيين، ص ١٠٢٨.

(٣٥) المرجع السابق نفسه.

(٣٦) تث ٨/٣٣-١١؛ أح ١٣-١٤ / عد ٦// ٢٢-٢٧؛ ١٩؛ سي ٤٥-٦-٢٢.

(٣٧) مقدّمة عبرانيين، ص ١٠٣٢.

١. " يراه مواصلاً من جهة، يُظهر قصد الله الثابت الأمين في تاريخ الخلاص الشامل (٥ / ١ ؛ ٧ ؛ ٩ / ١٣ - ١٤)؛

٢. " وناقضاً من جهة ثانية، مُلغياً ذبائح الكهنوت القديم وطقوسه، يُحلُّ محلّها ذبيحةً جديدة أفضل، هي ذبيحة نفسه (٩ / ١١ - ٢٢، ٢٤ - ٢٦)؛

٣. " ثمّ مبلّغاً إلى الكمال، من جهة ثالثة، يحقق ملء النعمة والمجد والخلاص الأبديّ (١٠ / ١٠، ١٤، ١٨) " (٣٨).

٣٤. يسوع يعلو على موسى (عب ٣ / ٣) «فإنّه (أي يسوع) قد أهّل لمجدٍ يعلو مجدَ موسى، بمقدار ما كرامةً باني البيت تعلو البيت الذي بناه».

يعلّق شراح: "أخذ الكاتب.. يقارن يسوع بموسى، كما سبق فقارن يسوع بالملائكة: يسوع أسمى من الملائكة بما لا يُحدّ، فبالأحرى هو أسمى من موسى.. يختلف دور يسوع عن دور موسى، ويعلوه، بأمرين: الأوّل، موسى أمين في بيت الله، أمّا يسوع فهو الباني بيت الله، منشئ الدهور (١ / ٢)؛ والثاني، موسى خادم، أمّا يسوع فهو الابن المكلّل بالمجد والكرامة (٢ / ٧)، عن يمين الآب، بالقيامة من بين الأموات".

٣٥ . لم توصل الشريعة إلى كمال شيء (عب ٧ /
 ١٨-١٩) «١٨. إذن فُتْبِلَ وصيةٌ سابقة، بسبب ضعفها
 وعدم نفعها، ١٩. لأنَّ الشريعة ما بَلَّغَتْ شيئاً كاملاً، ويُدْخِلُ
 رجاءً أفضل، به نَقْتَرِبُ من الله»^(٣٩).

يقول شراح: هنا يشدّد الكاتب "على الضعف
 والزوال الملازمين للشريعة القديمة، التي بمقتضاها كان
 الكهنوت اللاويّ، مقابل التعبير «وفق قوّة حياة لا تزول»
 (١٦/٧)، صار بمقتضاها كهنوت يسوع الحيّ القائم من
 الموت، وعظيم الأحرار، الذي أدخل رجاء أفضل، به يقرب
 الناس من الله".

٣٦ . ذبيحة المسيح هي البديل (عب ١٠ / ٤-١٠)
 «٤. فَإِنَّ لِمَنْ الْمَسْتَحِيلَ عَلَى دَمِ ثِيرَانٍ وَتِيوسَ أَنْ يَمْحَوْ
 الخطايا»^(٤٠). ٥. لذلك يقول حين دخوله إلى العالم^(٤١):
 "ذبيحة وقرباناً لم تشأ، لكنك أعددت لي جسداً"^(٤٢)، ٦.
 وبمحرقاتٍ عن الخطيئة لم ترض. ٧. حينئذٍ قلتُ: هاءنذا آتٍ،

(٣٩) ر: عبر ٤/١٦؛ ٦/١٨؛ ٩/٩؛ ١٠/١٩؛ ١١/٤٠.

(٤٠) شدّد الكاتب على فاعليّة ذبيحة المسيح وحدها، ويُعلن مبدأ إلغاء الذبائح الأخرى.

(٤١) حين دخوله إلى العالم أبطل بذبيحته ذبائح العهد القديم جميعاً.

(٤٢) في «الجسد» المعلق على الصليب، تحقّقت تقدمة الذات الكاملة (عب ١٠ / ١٠)،

والأمانة التامة لمشيئة الله (١٠، ٧ و ٩-١٠)، مكان الذبائح بحسب الشريعة.

فقد كُتِبَ عَنِّي فِي دَرَجِ الْكِتَابِ، لِأَعْمَلَ بِمَشِيئَتِكَ يَا إِلَهَ. ٨.
يَقُولُ أَوَّلًا: ذَبَائِحَ وَقَرَابِينَ وَمَحْرِقَاتٍ عَنِ الْخَطَايَا لَمْ تَشَأْ
وَلَمْ تَرْضَ، -مَعَ أَنَّهَا تُقَرَّبُ وَفَقَّ الشَّرِيعَةَ- ٩. ثُمَّ قَالَ:
هَاءَ نَذَا آتٍ لِأَعْمَلَ بِمَشِيئَتِكَ. فَهُوَ يُلْغِي الْأَوَّلَ لِيُثَبِّتَ الثَّانِي.
١٠. فِي هَذِهِ الْمَشِئَةِ قُدُّسُنَا بِقَرْبَانِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ
مَرَّةً وَاحِدَةً^(٤٣).

يَعْلَقُ شَرَّاحٌ: "شَدَّدَ الْأَنْبِيَاءُ الْأَقْدَمُونَ عَلَى عَدَمِ
فَاعِلِيَّةِ الذَّبَائِحِ الْخَارِجِيَّةِ"^(٤٤). أَمَّا الْكَاتِبُ (فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ
إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ) فَيَشَدِّدُ عَلَى فَاعِلِيَّةِ ذَبِيحَةِ الْمَسِيحِ وَحْدَهَا،
وَيُعْلَنُ مَبْدَأَ الْإِغَاءِ الذَّبَائِحِ الْآخَرَى كُلَّهَا".

٣٧. الْغُفْرَانُ بِذَبِيحَةِ الْمَسِيحِ (عِب ١٠/١٨)
«فَحَيْثُ يَكُونُ مَغْفَرَةٌ آثَامٍ وَخَطَايَا، فَمَا مِنْ قَرْبَانٍ بَعْدَ عَنْ
خَطِيئَةٍ!»

يَعْنِي: "أَنَّ الذَّبَائِحَ الَّتِي كَانَتْ تَقَرَّبُ قَدِيمًا عَنْ
الْخَطَايَا، لَمْ يَعُدْ لَوْجُودِهَا أَيُّ مَبَرَّرٍ، لِأَنَّهَا أُلْغِيَتْ بِقَرْبَانِ

(٤٣) مَشِئَةُ اللَّهِ قُوَّةٌ خَلَّاصٌ تَقَدَّسَ الْمُؤْمِنُ، أَيِ تَحَرَّرَهُ مِنَ الْخَطِيئَةِ، وَتَصَيَّرَهُ وَفَقًا عَلَى
اللَّهِ دَائِمًا، لِأَنَّهَا بَادِرَةٌ مَجَانِيَّةٌ. تِلْكَ الْمَشِئَةُ وَحْدَهَا كَانَتْ سَبَبَ الْإِغَاءِ لِلْعِبَادَةِ الْيَهُودِيَّةِ
الْقَدِيمَةِ، مِنْ ذَبَائِحَ وَقَرَابِينَ وَمَحْرِقَاتٍ، وَإِثْبَاتًا لِلْعِبَادَةِ الْجَدِيدَةِ، وَهِيَ الْعَمَلُ بِمَشِئَةِ
اللَّهِ، حَتَّى تَقْدَمَةَ الذَّاتِ الْحَرَّةَ بِالمَوْتِ قَرْبَانًا، كَمَا فَعَلَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ.

(٤٤) رَ: أَش ١٠/١٧-١١/٦؛ إِر ٢٠/٧؛ ٢٢/١١؛ عا ٢٠-٢١؛ هُو ٦/٦؛ مِي ٦/

٨-٦؛ مَز ٧/١٥-١٨/٥١.

يسوع المسيح، الذي قرّبه مرّة واحدة، على الجلجلة، وهو يتواصل سرّياً في قربان الخبز والخمر الإفخرستي (١٠ / ١٨)، بفضل موت المسيح وقيامته وجلوسه عن يمين الآب حياً شفيحاً إلى الأبد (١٤ / ١٠) .

خاتمة

بولس واليهودية

يوضح بولس رسول الأمم ما جاء من أجله يسوع وما علّمه وعمله طوال حياته، فأوجز وقال: «لا برّ لي من الشريعة» (في ٣ / ٩)، أي ليس من دين تجد فيه الخلاص والبرارة والقداسة.

وقال أيضاً: «أما الآن، فبغير شريعة قد ظهر برّ الله» (رو ٣ / ٢١) أي إنّ خلاص المؤمنين بيسوع وبرّهم لم ولن يكونا بالشريعة الموسوية والدين اليهودي.

وقال أيضاً: «إنّ غاية الشريعة إنّما هي المسيح

تبريراً لكل مؤمن» (رو ١٠/٣). هذا كلام واضح كلّ الوضوح، أي إنّه، إذا كان من شريعة من عند الله، فغايتها إنّما هي تبرير المؤمنين وخلصهم بواسطة الإيمان بيسوع المسيح، على أنّه المخلص وابن الله.

وقال أيضاً: «إِنْ بَرَّ اللهُ يُعْلَنُ بِالْإِنْجِيلِ» (١٧/١)، أي إنّ التوراة وتعاليمها ليس فيها الخلاص، ولا التبرير، ولا القداسة، ولا معرفة الله الحقيقية. كلّ هذه أعلنت في إنجيل يسوع المسيح.

وقال أيضاً: «لَيْسَ أَحَدٌ يُبَرِّرُ بِأَعْمَالِ الشَّرِيعَةِ، بَلْ بِالْإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (غل ٢/١٦). أي إنّ أعمال الشريعة وحفظ الوصايا وأعمال الإنسان، مهما كانت صالحة، لا تفيد الإنسان ولا تقدّسه إنّ لم يحلّ فيها الروح القدس، ويقدّسها ويقدّس فاعلها.

هذه أقوال واضحة في الكلام على خلاص الإنسان بواسطة الإيمان بيسوع المسيح وحده. وهذا تفسير واضح لما قال يسوع لتلاميذه: «أَقُولُ لَكُمْ: يَرْبُو بِرُكْمٍ عَلَى بَرِّ الْكُتَّابَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ، أَوْ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ» (متى ٢٠/٥)، أي إنّ خلاصهم وتبريرهم لن يكونا بواسطة شريعة الكتبة والفريسيين.

وهذا يعني أيضاً أن الذين يحافظون على الشريعة ليسوا كاملين، لأن الشريعة لا تستطيع أن تصيّرهم كاملين، أو أن تبرّرهم، «لذلك، لن يُبرّر أحدُ أمامه بأعمال الشريعة» (رو ٣ / ٢٠)؛ أي إن أعمال الإنسان، في ذاتها، غير صالحة للتبرير؛ إنّما الإيمانُ بيسوع المسيح وحده يضمن تبرير الإنسان. وما كان للشريعة من دور فهو إظهار الخطيئة الكامنة في قلب الإنسان (رو ٧ / ٧). وبرّ الله ظهر بالمسيح لا بسواه.

ومتى كان التبرير بالمسيح فلا بدّ من أن يحدث في الإنسان انقلاباً داخلياً، حياةً جديدةً، منزّهةً عن الخطيئة. والله يدين البشر، لا على أعمالهم ومحافظتهم على الشريعة، بل على إيمانهم بالمسيح الذي يجعل حياتهم كلّها مقدّسة، وأعمالهم كلّها حسنة، أي مشتركة بأعمال المسيح الخلاصية. أي أن تصبح أعمالهم وأعمال يسوع المسيح سواء بسواء.

ثمّ ذهب بولس إلى أبعد من ذلك، فلامّ الغلاطيين ملامّةً شديدة، واتّهمهم بالغباء والجهل. قال: «أيّها الغلاطيّون الأغبياء!.. شيئاً واحداً أريد أن أعرف منكم: أمن أعمال الشريعة قبلتمُ الرّوح، أم من سماع الإيمان!!! أهكذا

أنتم أغبياء!!» (غل ١/٣-٦).

هذا التوضيح البولسيّ لأعمال الشريعة وتعاليم التوراة والأنبياء لا يزال في خطّ يسوع في تعاليم المجابهة بين " ما قيل لكم... وما أقول لكم ".

ذروة الطعن بالشريعة والدين، إذًا، هي عند بولس الرسول، الذي انقلب على اليهودية انقلاباً جذرياً، كاملاً، ونهائياً؛ وقلب معه العالم كله، إلى أن جاء الإسلام وأعادنا إلى تلك الشريعة القديمة التي كانت قد انتهت بالمسيح.

ولكن، بعد الإسلام، جاءت الدرزية فنقضت الشرائع والأديان السابقة. هكذا عرّفت الحكمة الدرزية عن حمزة، نبيّ الدروز، بقوله عن نفسه بأنه «ناسخُ الأديان، وقاتلُ إبليس والشیطان، ومهلكُ العجلِ (محمّد) والشيصبان (علي)»^(٤٥). وعرّف عن نفسه بقوله: «أنا مُهدم القبلتين، ومُبيدُ الشريعتين ومُدحضُ الشهادتين»^(٤٦).

(٤٥) الشيصبان من أسماء الشيطان الرجيم (لسان العرب / شصب) وهو، عند الدروز، لقب «الأساس»، أي علي بن أبي طالب (الدر ص ٣٣ / شصب)؛ راجع كتاب «العجل والشيصبان»، سلسلة الأديان السريّة، رقم (٤)؛ سنة ١٩٨٥.

(٤٦) «القبلتين» يعني: مكة وبيت المقدس. «الشريعتين» هما شريعة محمّد والتّنزيل، وشريعة عليّ والتّأويل. «الشهادتين» أي: "أشهد أن لا إله إلا الله"، ثم "أشهد أن محمّداً رسول الله". أنظر رسالة ٣٣/٢٤٣، ٣٤/٢٤٨ الخ...

هذه المهمة التي قام بها بولس، وعُرف عنه ذلك،
تعني أكثر ما تعني أنّ الشريعة اليهوديّة قد انتهت، وانتهى
دورها. ولا يمكن لإنسان أن يخلص بها. إنّما الخلاص لن
يكون إلاّ بيسوع المسيح، الطريق الأوحّد إلى الله.

خاتمة القسم الأول

منذ عهدا الرسوليّ، كان على الكنيسة أن تحدّد نظرتها إلى العهد القديم، وأن تأخذ موقفاً منه :

هل أتمّ يسوع، برأيها، انتظار العهد القديم؟ وهل بقي من العهد القديم شيء جوهريّ لم يتمّمه المسيح؟ وهل تمّ منه شيء على خلاف ما كان منتظراً؟

منذ البدء، انقسم الرسل إلى فئتين: فئة تقول بضرورة العهد القديم، وبضرورة تطبيق الشريعة الموسويّة، لكي يكون المسيحيّ كاملاً؛ وفئة تقول إنّ الإيمان بيسوع المسيح يكفي للخلاص.

الفئة الأولى سمّوا يهوداً متنصرين؛ والفئة الثانية سمّوا مسيحيّين. هؤلاء يأخذون بتعاليم بولس رسول الأمم؛ وأولئك يأخذون بشريعة موسى كشرط للإيمان بيسوع المسيح.

واستمرّ الخلاف طويلاً في تاريخ الكنيسة، حتّى جاء الإسلام وطبّق شريعة اليهود-المتنصرين. هؤلاء سمّوا في الإسلام «نصارى»؛ وأولئك لم يعرفهم الإسلام، وهم المسيحيّون الذين يؤمنون بالمسيح إلهاً مخلّصاً لجميع البشر.

مسيحيّون كثيرون يرفضون جمعَ العهد القديم مع العهد الجديد. ولهم حججهم. وكثيرون أيضاً من يجمعونهما معاً. ولهم حججهم أيضاً.

ولستُ بغير حذرٍ من الفريقين :
لستُ مع الرافضين رفضاً مطلقاً، لأنّ في العهد القديم أيضاً مبادئ وتعاليم وتوجّهاتٍ قيماً هي في غاية الروعة والإبداع. فهو، من أجل ذلك يستحقّ التكریم والتقدير. ويكاد بعض ما فيه يؤهّله لأن يكون إنجيلاً سابقاً للإنجيل الحقيقي.

هذا بالإضافة إلى أنّ العهد القديم هو البيئة الدينيّة والاجتماعيّة التي نشأ الإنجيل في كنفها. وكم من أمور لا

تُفهم في الإنجيل إنْ لَمْ نعد بها إلى العهد القديم؟! بالمقابل، لستُ مع الجامعين بين العهد القديم والعهد الجديد، على أنَّهما متساويان متوازنان متكاملان بعضهما مع بعض. كما أنَّني لست مع شريعة موسى وتعاليم التوراة على أنَّها شرط للخلاص...

ومع ذلك جمع المسيحيون منذ البدء بين العهدَيْن، وفي ذلك عقيدة أساسية في تعاليم الكنيسة التي تعتقد أنَّ المسيح جاء ليتمِّم تعاليم الدين اليهودي.

ولكن، شتَّان ما بين الإنجيل والتوراة. لهذا لا يمكن جمعُهما وضمُّهما في كتابٍ واحد، وتحت اسم واحد، أي «الكتاب المقدس»؛ كما لا يمكن أن نفصل بينهما كأن لا علاقة بينهما، ولا استمرارية لعمل الله في التاريخ.

إنَّي آخذ بالعهد القديم على أنَّه البيئة الفكرية والدينية والثقافية والروحية والتاريخية والجغرافية للعهد الجديد. وعلينا أن نعرفه معرفة جيِّدة لنتمكَّن من معرفة العهد الجديد معرفةً جيِّدة.

وفي الوقت ذاته، إنَّي حذرٌ من العهد القديم، ليس إلَّا لأنَّه ليس بمستوى العهد الجديد في شيء: فالله نفسه هنا

يختلف عما هو هناك، أي إنَّ هويّة إله العهد الجديد ودوره الخلاصي يختلف عن هويّة إله العهد القديم وعن كثير من تعاليمه وتصرفاته مع شعبه. فالمسيح رفض تعاليم الأحرار والرؤساء اليهود، وهم أيضاً رفضوه. ولذلك صلبوه.

وكذلك إنَّ مسيح العهد الجديد يختلف تماماً عن مسيح العهد القديم: المسيح في العهد الجديد هو «ابن الله»، والأقنوم الثاني من الثالوث الإلهي، أساس الإيمان المسيحي برمّته؛ فيما الثالوث، في العهد القديم، غير موجود، بل يرفضه رفضاً قاطعاً، على أنّه رمز الشرك والكفر والإلحاد.

وكذلك قلّ عن مفهوم الكنيسة، والمعمودية، والإفخارستيا، والأسرار جميعها، وقيامّة الأموات، ومفهوم محبة الإنسان لله ولأخيه الإنسان.. وغير ذلك بما لا يحصى من تعاليم جديدة كلّ الجدة. وقد عُرِفَت المسيحية بهذا «الجديد». إنّها «الرقعة الجديدة في ثوبٍ بالٍ»، على ما جاء في كلام يسوع في الإنجيل.

عليّ الآن أن أوضح أكثر معنى قلبي بأنّ الله بريء من الأديان والمذاهب. فكلام يسوع كلّه في هذا الاتجاه. والأنجيل والرسائل وأعمال الرسل وتعاليم الكنيسة الأولى كلّها تقوم على أنّ يسوع جاء لينقّض ما جاء في الدّين اليهوديّ، كما يرفض تماماً ما أعاده الإسلام من التّوراة.

وهذا صريح واضح في الخصام الذي قام بين يسوع والأخبار اليهود، والنزاع القائم بين المسيحيّة والإسلام.. يسوع يريد الإنسانَ وخلصه؛ أمّا الأخبار اليهود فيريدون الشريعة الموسويّة ولو كان ذلك على حساب الإنسان. والمسيحيّة أيضاً تعتمد على محبة الله للبشر، كلّ البشر؛ فيما الإسلام يريد الدفاع عن الله ولو على حساب البشر، كلّ البشر...

هنا تكمن المشكلة كلّها. وهنا نجد حقيقة ما من أجله كان يسوع، وكانت المسيحيّة، وكانت الكنيسة... وكلّما تقدّم الإنسان في حضارته وثقافته، كلّما وجد هذه الحقيقة تعلو وتثبت ولا حقيقة سواها بمستواها.

وقد نختصر المسيحيّة برمتها على أنّها لا تعلّم ولا

تعمل إلاً لخالص حرّية الإنسان من كلّ ما يقيدّها من شرائع وأديان قضتْ على هذه الحرّية باسم الله.

إستناداً إلى هذه النظرة المسيحية الحقيقية، نتساءل دائماً عن معنى الدين؟ وعن معنى الحوار بين الأديان؟ وعن معنى شتم الأديان والمذاهب والشرائع التي قيل عنها أنّها سماوية، ولكنّها قضتْ على الإنسان وحرّيته قضاءً كاملاً.

إنّني لم آتِ بشيء من عندي، بل كلّ شيء عندي يستند إلى مواقف يسوع، وتعاليم الإنجيل والرسائل، وتعاليم الكنيسة وآباء الكنيسة.

لقد كان وقتٌ وضعتِ الكنيسة فيه شرائع وقوانين، وحدّدت عقائد، ورسمت طقوساً، وأقامت حدوداً بين ما كانت تراه، حينها، حقّاً وخطأ... لا ضير في ذلك. فالإنسان كان بهذا المستوى من الثقافة والتطوّر.

أمّا وإنّ الإنسان يتقدّم ويتطوّر، والعالم ينقلب على ذاته انقلاباً سريعاً وجذريّاً، فما على الكنيسة إلاّ أن تواكب التقدّم والتطوّر والإنقلابات المتسارعة؛ وإلاّ ليست هي لهذا العالم، ولا لهذا الإنسان.

من هنا نقول إنّ يسوع نفسه لم يؤسّس ديناً جامداً، ولم ينزل كتاباً، ولم يسنّ شرائع وقوانين، ولم يحدّد حقائق وعقائد. إنّهُ لم يضع إلّا شريعة واحدة هي شريعة المحبّة، أي محبّة الإنسان لأخيه الإنسان أولاً، ثمّ من خلالها، محبّة الله. ونقول أيضاً إنّ المسيح لم يؤسّس إلّا كنيسة، مبنية على بشرٍ ضعفاء خاطئين، تواكب العالم في تطوّره والإنسان في تقدّمه، والعلم في مختلف مجالاته...

القسم الثاني

يسوع وحده دليلنا إلى الله

- ٧ . مَعْرِفَةُ يَسُوعَ لِلَّهِ
- ٨ . مَنْ هُوَ يَسُوعُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيَّ؟
- ٩ . أَيُّ إِلَهٍ هُوَ هَذَا الَّذِي يَعْبُدُهُ الْبَشَرُ؟
- ١٠ . الشَّرَفُ فِي الْعَالَمِ مَسْئُولِيَّةٌ مَنْ؟
- ١١ . حُرُوبُ اللَّهِ فِي الْعَالَمِ
- ١٢ . اللَّهُ ذَاكَ الْحُبَّ الْمُتَأَلَّمُ
- ١٣ . اللَّهُ أَبُ لَنَا وَلِيسُوعَ ابْنِهِ الْوَحِيدِ
- ١٤ . قِيلَ لَكُمْ... أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ
- ١٥ . مُؤْمِنٌ أَنَا أَمْ مَلْحَدٌ؟

الفصل السابع

معرفة يسوع لله

ثمّة قولٌ بأنّ معرفة الإنسان لله معرفةٌ كاملة، هو احتقار لله، وانتقاص من مجده وسموه؛ بل هو الكفر بعينه. فالإنسان لا يمكنه أن يعرف الله، ولا مشيئة الله، ولا كيف هو الله، ولا كيف لا هو. لا أحد يعرف الله إلا الله وحده، أو مَنْ كان الله عنده، أو مَنْ كان هو عند الله، أو مَنْ شاء له الله ذلك.

لهذا إنّ عرف المسيحيّون عن الله شيئاً، فلأنّهم يؤمنون بأنّ يسوع المسيح هو الذي عرّفهم عليه. ولهذا هم مسيحيّون. وهذا هو ركن إيمانهم، بل هو كلّ إيمانهم، في أن يعرفوا شيئاً عن الله بواسطة يسوع المسيح.

إنَّ أبلغ ما نقرأ في الإنجيل قول يسوع لكل إنسان:
**« ما من أحدٍ يعرفُ الآبَ إلاَّ الابنُ، ومن يشاءُ الابنُ كشفه
 له » (متى ١١/٢٧).**

يعلق شرّاح إنجيليون على هذا الكلام بقولهم: " هذه
 الآية إحدى آيات ثلاث (١١/٢٧؛ ٢١/٣٧؛ ٢٤/٣٦) يعبر
 فيها يسوع عن صلته البنويّة الفريدة بأبيه^(١).

يتفق متى ويوحنا في ثلاث : في أن الآب آتى يسوع
 كل شيء (يو ٣/٣٥؛ ١٣/٣)، وفي استعمال «الابن» في
 المطلق ليسوع (يو ٥/١٩-٢٦؛ مر ١٣/٣٢)، وفي المعرفة
 المتبادلة بين الآب والابن (يو ١٠/١٤-١٥؛ ١٧/٢٥). هذا
 التشابه بين الازائيين ويوحنا دليل على طابعه الأصيل،
 وشهادة على إيمان الجماعة الأولى بالوهية يسوع^(٢).

إنَّ معرفتنا لله منوطة إذاً بيسوع المسيح وحده. فلا
 يعتدُّ أحدٌ بأن يعرف شيئاً عن الله من دون يسوع المسيح.
 وكلّ من ادّعى معرفة الله من غير طريق يسوع المسيح
 ووساطته، فهو قد يعرف شيئاً، ولكن معرفة ناقصة جداً،
 بل قد تكون غير صحيحة، وقد لا تفيد شيئاً. وإن أفادت

(١) مر ١٤/٣٦؛ لو ٢/٤٩؛ ٢٤/٤٦؛ يو ١٧/٢٠.

(٢) إنجيليون، طبعة الكسليك، لبنان ١٩٩٢، حاشية على متى ١١/٢٧، صفحة ٩٠.

فإنّها تفيد بصيصاً ضئيلاً من نورٍ شاحب لا يرى ولا يُعتدّ به.

ثمّ إنّ علاقتنا بالله ليست علاقة معرفة فحسب، بل بالأحرى هي علاقة محبة، تماماً كعلاقة الطفل بأمّه. فهو لا يعرف عنها شيئاً البتّة. ولكنّها هي له كلّ شيء. ولهذا أعلنت المسيحية في إيمانها صارخة: أنّ «الله محبة»، أكثر ممّا هو «عقل»، أو «كائن»، أو «علّة»، أو «خالق»، أو «خير»، أو «كلّي القدرة»، أو غير ذلك...

ولذلك أيضاً بالغ يسوع في معرفته لله وفي تعريفه للناس، وذلك في قوله: «أظهرتُ اسمك للناس» (يو ١٧ / ٦)؛ لأنّ الناس، قبل يسوع، لم يعرفوا الله، ولم يظهر الله لهم، ولا كان بإمكانهم أن يعرفوه من طريق آخر غير طريقه.



لم يعد الله اليومَ موضوع شكّ، أو إلحاد، أو كفر، أو نكران... لأنّ الله الذي يطعنون به، طعن هو بنفسه من قبلهم. فهو ينكر تماماً كلّ المفاهيم التي يراها الملحدون في الله. هذا ولم يبقَ من المشكّكين والملحدين في العالم إلاّ معاندون، ليسوا جديّين في شيء.

ولم يبقَ أيضاً من المعانين من اللّٰه إلّا باحثون لا يجدون له في حياتهم أيَّ دور، أو أيّة علاقة. فلا هم أبناؤه، ولا هو أبوهم. هو خلقهم وهم استقلّوا عنه. وكلُّ يسير بعيداً عن الآخر بُعداً شاسعاً.

قصّتنا اليوم، مع اللّٰه، إذاً، ليست قصّة وجوده، أو عدم وجوده. فاللّٰه فرضَ ويفرض وجوده على الإنسان بطرق عدّة : الوثنيّون، كالمُتديّنين، قالوا بوجوده، وإن كان كلُّ على طريقته. الكلّ عرفوه كائناتاً كاملاً مُطلقاً، خالقاً، كلّيّ القدرة والعلم، أبديّاً أزليّاً، واحداً أحداً، صمداً. والبعض عرفه أيضاً أباً محبّاً رحيماً ودوداً، يعتني بمخلوقاته جميعها، ويحبّها إلى آخر حدود الحبّ...

ولكنّ المسيحيّين، المؤمنين بيسوع المسيح، وحدهم، عرفوا علاقة اللّٰه بهم، عرفوه مخلصاً، عرفوه محبةً كاملة، وعرفوه بأنّه رجاؤهم وأملهم، وحياتهم. فهو يسعى إلى أن يُشركهم في حياته، ويجعلهم يسعون إلى أن يتحدوا به اتّحاداً كاملاً، من دون خوفٍ من شركٍ، أو من وحده وجود، أو من حلول...



ليس لنا اليوم، مع وجود الله، في معتقدي، أيّ مشكلة. وجوده ليس موضوع إيمان، أو موضوع كفر وإلحاد؛ بل هو موضوع خاضع للعقل وأبحاثه وأدلّته. فإله الوثنيين وإله اليهود والمسيحيين والمسلمين وغيرهم، إله موجود، ذو صفات لا يختلف فيها اثنان. إنّها صفات واحدة مشتركة بينهم جميعاً.

أمّا الخلاف في ما بينهم فهو على هويّة هذا الإله عند المسيحيين وعلى دوره الخلاصي. الله، عند المسيحيين هو موضوع إيمان، لا موضوع عقل وأبحاث. لذلك هم يبدأون إيمانهم ويعلنونه في أولى كلمات قانونهم: «نؤمن بإله»، لا بقولهم: «نعرف»، أو «نبرهن»، أو «نعقل»، أو «نستدلّ»... إله المسيحيين يطلب منك إيماناً واستسلاماً، لا بحثاً عقلياً. فأنت إن بحثت عن وجوده فستجده فكرة تريح عقلك، ولكنها لا تزيل عنك القلق.

أنت لا تستطيع أن تبحث عن طبيعة الله، وماهيّته، وجوهره، ودوره... فأنت لن تعرف من هو؟ وكيف هو؟ وكم هو؟ ولماذا هو؟ وما عمله معنا وفينا؟ وهل هو قريب أم بعيد؟ واحد أم أكثر؟ ذكر أم أنثى؟ في مكان أم في لا مكان؟ في زمان أم في لا زمان؟ أمُغلق على ذاته أم مفتوح على

غيره؟ أصامدٌ لا يتغيّر أم هو يتغيّر؟ أحيٌّ أبداً أم أنّه يستطيع أن يموت؟ ألا يتعرّض للألم أم أنّه يتألم؟..

إله المسيحيّين، لا تستطيع أن تعرفه بعقلك. بل يقتضي لك إيمان. والإيمان يقتضي له مُخبر ومُبشّر. ومَنْ يُخبرنا عن الله غير الله ذاته، أو مَنْ كان عند الله، أو مَنْ هو مرسلٌ من لدن الله؟!

ولقد أبدع بولس عندما ربط الإيمان بمبشّر، فقال: «كيف يؤمنون بمن لم يسمّوا به؟ وكيف يسمعون بلا مُنادٍ، وكيف يُنادون إن لم يُرسلوا» (رو ١٠ / ١٤-١٥).



لنذهب أبعد ونقول: لا يجوز للمسيحيّ أن يعرف اللهَ بالاعتماد على ما توصّل إليه عقله، وبالاستناد إلى أدلّة أرسطو، أو توما الأكويني، أو عمانويل كانط، وسواهم... هؤلاء جميعهم يدلّون على ما يحتاج إليه عقلنا في شأن الله، لا على مَنْ هو الله في حقيقته. لذلك قال يسوع: «أظهرتُ اسمَكَ للنّاس» (يو ١٧ / ٦). فلكأنّ الناس، حتّى زمن يسوع، لم يعرفوا بعدُ شيئاً عن الله.

ولكن ماذا يعني هذا؟ ألم يكن الناس، قبل يسوع، يعرفون الله؟ أم أنّهم كانوا يعرفونه على غير ما عرفهم هو

عليه؟ وهل الأنبياء الذين سبقوا يسوع لم يكشفوا للناس عن ذات الله؟ أم أن الناس لم يسمعوا للأنبياء؟

أليس قول يسوع هذا هو قولٌ مشككٌ، مثير للدهشة والاستغراب؟! أم أنه كقول أنبياء ورسُل سبقوه فقالوا مثلما قال؟ وهل هذا القول هو من جملة الأقوال التي عليها استحقَّ يسوع الجلد والعذاب والصلب والموت؟!

إنني أميل إلى أن هذا القول هو قول الحقيقة، ولو هو قولٌ غيرٌ مألوف، بل قول مشكك، وقد يستحقُّ عليه قائله ما استحقَّه يسوع من جلدٍ وعذابٍ وصلبٍ وآلامٍ وموت.

واليكم توضيح ذلك :

١ . هذا القول يعني أنه ليس بوسع إنسان أن يعرف الله من دون يسوع. أي لا يسعُ إنساناً -مسيحياً بنوعٍ خاصٍ- أن يدعي الوصول إلى الآب، كما يقول القديس بولس، «لأننا به -أي بيسوع- نلنا الوصول إلى الآب» (أف ٢/١٨).

ليس من مسيحيٍّ يحقُّ له معرفة الله بغير الوسيط الوحيد الذي هو يسوع. ولا مسيحيٍّ يستطيع أن يدرك الله، أو أن يدلَّ عليه، أو يبرهنَ عنه، أو يصلَ إليه، إلا

بواسطة يسوع. فيسوع المسيح هو الدليل على الله والطريق إليه، و«به نَقْتَرِبُ مِنَ اللَّهِ» (عب ١٩/٧)؛ «فهو قادرٌ أَنْ يُخَلِّصَ الَّذِينَ بِهِ يُقْبَلُونَ إِلَى اللَّهِ الْخَلَاصَ كُلَّهُ، لِأَنَّهُ حَيٌّ عَلَى الدَّوَامِ لِيَشْفَعَ لَهُمْ» (عب ٧/٢٥)، «وهو مَاتَ مِنْ أَجْلِكُمْ لِيُوصِلَكُمْ إِلَى اللَّهِ» (١ بطر ٣/١٨)، و«الوصول بثقة» (أف ٣/١٢).

٢. وهذا يعني أيضاً: أَنْ كُلَّ بَرهَانٍ عَلَى اللَّهِ عَنْ غير طريق يسوع باطل، لا قيمة له. أي: لا الأدلة العقلية، ولا الأدلة الطبيعية، ولا الأدلة الأدبية... ولا أي شيء غير الوسيط الوحيد يسوع المسيح، يستطيع أن يكون طريقنا إلى الله، أو دليلنا عليه. والمسيحي، الذي يستدل على الله من غير طريق يسوع، هو كل شيء ما عدا أن يكون مسيحياً؛ لأنَّ المسيحي هو، أولاً وآخرًا، مَنْ عَرَفَ اللَّهَ بِوَسْطَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. والذي يدّعي أَنَّهُ يَعْرِفُ اللَّهَ مِنْ دُونِ يَسُوعَ يَطْعَنُ بِاللَّهِ، وبيسوع نفسه، ويطعن أيضاً بكلِّ ما من أجله كان يسوع.

٣. لنوضح أكثر: يستطيع الوثني، أو اليهودي، أو المسلم، أو أيُّ إنسانٍ آخَرَ، أَنْ يَسْتَدِلَّ عَلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ يَسُوعَ؛ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَدِلُّ بِذَلِكَ عَلَى كَائِنٍ مُطْلَقٍ، بعيدٍ،

متعالٍ، كُلِّي الكمال والقدرة والعلم، خالق السماوات والأرض، لا يَحُدُّه مكانٌ ولا زمان، ولا يخضع لمتغيّراتِ الكون. إنّه كاملُ الصفات، اسْتَلَّها العقلُ مِنَ الكائنات، وأوجدها، بالمماثلة والمقاربة، في كائنٍ أُسمى، اسمه الله.

٤ . هذه الكمالات السامية قد تفيدنا، من دون شكٍّ، في معرفة وجودِ كائنٍ أُسمى، ولكنّها لا تفيدنا في تعيينِ شخصيّةِ هذا الكائن، ولا في تحديدِ هويّته، ولا في معرفةِ علاقته بنا أو علاقتنا به. إنّنا، مع هذا الكائن، وكأنّنا مع «كائنٍ ما» يتّصف بكلّ الكمالات؛ ولكن، من دون أن يعني «شخصاً معيّناً»، يقيم له معنا علاقةً ما. هو «كائنٌ» قد لا يهتمُّ أمره، ولا يهتمُّ أمرنا، ولا يعنينا وجوده أو عدم وجوده في شيء.

ولكن، إذا قلنا إنّ هذا «الكائن» المتّصف بهذه الكمالات هو «أب» لنا، أو «أخ»، أو «ابن». عندئذٍ نعرف أنّ هذا الشخص يعني لنا أمراً ما. إنّهُ كائنٌ مميّز، وليس كائناً ما. لنا به صلة، وله معنا علاقة، هي علاقة محبة.

مثل هذه العلاقة هي، في الحقيقة، من جوهر هذا الشخص المعين، وليست عَرَضاً دخيلاً عليه. فالأب بكونه أباً، أصبح بهذه العلاقة معنا، وكأنّه شخصٌ يخصُّنا،

يعيننا، يتعاطف معنا، ويُحِبُّنا ونحبّه...

٥ . هكذا نقول عن الله؛ فهو، في الاستدلال عليه من غير طريق يسوع، كائنٌ غيرٌ مميّز، ولا علاقة لنا به، ولا يعيننا أبداً، ولا يهتمُّنا أمره، ولا يهتمُّه أمرنا. هو لا يفيد، أكان موجوداً أم غير موجود، أكان كلّيّ الخير والكمال، أم أيّ شيء آخر...

يسوع، وحده، حدّد الله، وعيّن علاقتنا به، ورسم موقعنا بالنسبة إليه، وعرفنا بشخصه ودوره. إنّه أب محبّ عطوف رؤوف حنون، يهتمُّه أمرنا، يعمل على خلاصنا. يسوع، وحده، «أظهر الله للناس»، و«كشف لهم» عن هويّته المحبّة، وعن حقيقته الأبويّة.

٦ . ينتج من ذلك: أنّ ما يقوله الوثنيّ واليهوديّ والمسيحيّ والمسلم وغيرهم عن الله إنّما هو قولٌ صحيح. وتأتي صحّته من منطق القولِ بواجبِ وجودِ كائنٍ مطلق، خالقِ الكون... ولكن هو، بالنسبة إلى المسيحيّ، قولٌ ناقصٌ، بل تافهٌ لا معنى له؛ بل هو عَودٌ إلى الورا. هو كحالِ مَنْ تركَ أبوةَ أبيه وعلاقته المميّزة به ليعودَ إليه إنساناً لا علاقة له به، ولا يعرفه إلّا إنساناً كسائر الناس، له صفاتٌ إنسانيّةٌ عامّة.

فأيُّ أبٍ هو ذاك الذي لا يتميِّز، بالنسبة إلى بنيه
بشيء؟! وأيُّ إلهٍ هو ذاك الذي لا يتَّصف إلا بصفاتٍ عامّةٍ
ومطلقة؟!!

٧. إذا كان على اليهوديِّ والوثنيِّ والمسلم وغيرهم
أن يبحثوا عن الله بواسطة العقل والحكمة البشريّة، على ما
قال بولس الرسول (١ قور ١ / ١٩؛ رو ١ / ٢٢)، وهو أمر
جائز بالنسبة إليهم؛ فإنّه، على المسيحيِّ، أن يبحثَ عن الله
على نور يسوع وعن طريقه، وهذا أمرٌ لا يجوز لغيره.

لهذا نقول: إنّ معرفة الله الطبيعيّة، وعلى نور
العقل، ليست في الحقيقة إلا معرفة تعالجُ قلقَ عقل الإنسان
حيال أسرار الكون والغازه. وبهذا فضلُ الباحثين عن
أسباب الكائنات وعللها. وهو ما توصّلتُ إليه «الأديان»
و«الفلسفات» و«الأبحاث» جميعها.

أمّا معرفة المسيحيِّين لله فليستُ إلا من طريق
وحيد، هو يسوع المسيح وبواسطته؛ لأنّها إنّما هي معرفةٌ
لجوهر الله وعلاقته بنا وعلاقته به. وهذا هو الذي جاء
يسوع من أجله.

فهل يجوز، بعد ذلك، لمن عرف الله أباً ومخلصاً،
وأقامَ معه علاقة بنوّة حقيقيّة، أن يعودَ إلى الوراثة؟! هل

يحقّ لمن عرف أنّ بينه وبين الله علاقة أبوة وبنوة أن يكون موقفه كموقف الابن الذي لا يعرف بينه وبين أبيه إلا علاقة إنسانية طبيعية عامة فحسب؟!!

٨. إنّ الذين عرفوا الله بواسطة يسوع دخلوا حقاً في سرّ الله. وها هم يسمعون يقول لهم: «إني عرّفتكم كلّ ما سمعته من أبي» (يو ١٥ / ١٥). ولهذا نقول: ليست قوة إيماننا بالله مستمدة من منطقنا ومن الحكمة البشرية والأدلة العقلية؛ بل من وساطة يسوع المسيح ونعمته، بكونه الابن الأوحى الذي فيه ظهرت محبة الله للبشر (طى ٣ / ٤). كما وإنّ خلاصنا ليس «بأعمالٍ برٍّ عملناها» (المرجع نفسه)؛ بل بعمل يسوع الذي جدّدنا بروح قدس. فهل على المسيحيّ، بعد هذا، أن يعود إلى العقل وبراهينه ليعرف سرّ الله من وراء ظهر يسوع أو من دونه؟! إنّه لأمرٌ عجبٌ ومرفوضٌ.

٩. مثل هذا التعليم عبّرت عنه أقوال ومواقف عديدة في العهد الجديد: لقد قال يسوع بوضوح: «ما من أحدٍ يعرف الأب إلاّ الابن، ومن يشاء الابن كشفه له» (متى ١١ / ٢٧)، وقال: «الابن الأوحى الله، الكائن في حضن الأب، هو هو خبر» (يو ١ / ١٨). يسوع وحده شاهد وجه

الله، لأنّه ابنُ الله؛ ويسوع وحده تكلم عن الله وخبر، لأنّه كلمةُ الله الموجود في حضنِ الآب منذ الأزل وإلى الأبد.

١٠. هذا الكلام الرائع يوضحه ويؤكدّه كلام آخر:

«مَا مِنْ أَحَدٍ رَأَى الْآبَ إِلَّا الَّذِي مِنْ لَدُنِ الْآبِ. فَهُوَ قَدْ رَأَى الْآبَ» (يو ٦ / ٤٦). أمّا غير يسوع، مهما كان وضعه ومقامه وموقعه من الله، ومهما كانت قداسته وبرارته ومكانته، أكان نبياً ملهماً، أم رسولاً غيوراً، أم ملاكاً مقرباً، أم رائيّاً صاحب إحياء وإلهام، فلا يستطيع مشاهدة وجه الله؛ وبالتالي لا يستطيع أن ينقل إلينا عن طبيعة الله أية صورة حقيقية، ولا يستطيع أن يقدم لنا أي دليل مقبول؛ ذلك لأنّ الفرق بين مقدور عقلنا وبين طبيعة الله شاسعٌ جداً جداً. ولا مجال معه للاستدلال على أيّ شيء.

١١. ومثله قول آخر ليسوع: «أَنَا أَعْرِفُهُ» (أي

الآب)، «لَأَنِّي مِنْ لَدُنْهِ جِئْتُ. وَهُوَ أَرْسَلَنِي» (يو ٧ / ٢٩)، أمّا العالم فلا يعرفه. هذا هو واقعنا مع الله : نحن، بكوننا أبناء هذا العالم، لا نستطيع أن نعرف الله: «أَنْتُمْ لَا تَعْرِفُونَهُ» (يو ٨ / ٥٥). كلام واضح: نحن لا نعرف الله، لأننا لم نكن عنده، ولأننا لن نستطيع من ذات طبعنا معرفة أيّ شيء عنه، ولأننا غير قادرين على أن نعرفه: «مَنْ هُوَ فِي حُضْنِ

الآب هو هو خبّر»، هو هو شاهد اللّٰه وجهاً لوجه وعرفه:
«ما عَرَفَكَ الْعَالَمُ... وَعَرَفْتُكَ أَنَا» (يو ١٧ / ٢٥).

١٢ . «قد عَرَفْتَهُمْ اسْمَكَ وَسَأَعْرِفُ» (يو ١٧ / ٢٦).
هذا كلامٌ آخر ليسوع يتحمّل فيه مسؤوليّة معرفتنا للّٰه. إنّ
أتباع يسوع ليسوا هم الذين تعرّفوا على اللّٰه بأنفسهم؛ بل
يسوع هو الذي خبرهم. ويسوع يكمل مهمّته هذه حتى
نهاية العالم؛ لأنّه، يومَ يَكْفُ عن متابعة عمله «التَّعْرِيفِي»
هذا، وعن تدريب أتباعه على «المعرفة»، يَكْفُ هؤلاء عن
المعرفة الحقيقيّة للّٰه. يسوع يواصل عمله، وإلاّ كان عمله
موقّتاً، أي ناقصاً، وبالتالي لا معنى له... لهذا فيسوع
حاضر لمهمّته ومواظبٌ عليها إلى مدى الدهور.

١٣ . نستنتج ممّا سبق فنقول: إنّ اللّٰه كَشَفَ لَنَا
عن نفسه، بطريقةٍ نهائيّةٍ في شخص يسوع. وفي ذلك لم
يبقَ له شيءٌ يحتفظ به لنفسه، «فالذي ما ضنّ بابنه نفسه..
كيفَ لا يُنعمُ علينا معه بكلّ شيء!» (رو ٨ / ٣٢). «والسرّ
المكتوم منذ الدهور كُشِفَ الآن.. ببسوع. وبيسوع نبشّر،
ونعلم، ومن أجله نجاهد.. لكي نجعل كلّ أنسانٍ في يسوع
كاملاً» (قول ١ / ٢٧-٢٨).

ففي «سرّ الله هذا أعني المسيح» نجد «غنى ملء اليقين والفهم المكنونة فيه كنوز الحكمة والمعرفة كلّها» (قول ٢/٢-٣). «فحذارٍ أن يخلبكم أحدٌ بالفلسفة» (قول ٨/٢)، أي بالحكمة البشريّة، والبراهين العقليّة؛ بل بيسوع وحده، الذي به أصبح الله في متناولنا.

١٤. نقول أخيراً: إنّ أقوال يسوع بأنّه هو هو الذي «خبر عن الآب»، و«أظهر اسمه للناس»، و«كشفه لمن يشاء»، وغيرها من أقوال ممثلة عديدة، إنّما هي تعني أنّ أحداً غير يسوع لم يُظهر الله للناس، ولم يخبر عنه. وكأنّها أقوالٌ تطعن في الحكمة البشريّة، وفي الأدلّة العقليّة، وتطعن في تعاليم الأقدمين، وفي تقاليد السابقين، وفي كلّ الأديان التي يدّعي أنبيأؤها معرفة الله.. هذا هو الغريب، المشكك، المثير للإعجاب.

١٥. والأغرب من كلّ هذا، أنّ المسيحيّ الذي يؤمن بيسوع قد لا يجوز له، بعد إيمانه هذا، أن يعرف الله إلاّ عن طريق يسوع؛ لأنّ يسوع هو «الوسيط الوحيد» بيننا وبين الله.

هذه المعرفة الإلهيّة التي تحصل لنا بواسطة يسوع، وحدها جائزة لنا... ومن يقول إنّّه يعرف الله من غير

وساطة يسوع، لم يدخل في سرّ الله بعد، ولا ينتمي لا إلى المسيحية ولا إلى الكنيسة. أوكيس في هذا ظنّ بأنّ بعضَ المسيحيّين اليومَ يريدون معرفة الله من دون يسوع، ومن غير طريقه! فهل هم مسيحيّون حقًا؟! يُخشى أن يكونوا كلّ شيء ما عدا أن يكونوا مسيحيّين.



نستنتج ممّا قلناه أنّ طريقنا إلى الله هو يسوع المسيح وحده، لا أيّ نبيٍّ، أو ملاكٍ، أو أيّة واسطة أخرى، أو أيّ عقيدة، أو شريعة، أو دين... لهذا نقول: لا دين للمسيحيّ يدلّه على الله، بل له يسوع المسيح وحده لا سواه؛ ولا شريعة مفروضة عليه وواجبة غير شريعة المحبة.

الفصل الثامن

مَنْ هُوَ يَسُوعُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى؟

لَمْ يَحِنْ الْوَقْتُ، بَعْدُ، لِأَجِيبَ عَلَى سُؤَال طَرَحَهُ يَسُوعُ، يَوْمًا، عَلَى تَلَامِيذِهِ : «مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيَّ؟ مَنْ أَنَا؟.. وَأَنْتُمْ مَا تَقُولُونَ فِيَّ؟ مَنْ أَنَا؟» (مر ٨ / ٢٧-٢٩) .. ذلك، وبكل بساطة، لِأَنِّي لَمْ أَصِلْ، بَعْدُ، إِلَى مُتَابَعَةِ التَّلَامِيذِ لِيَسُوعَ؛ وَلَمْ أَتَشَرَّفْ بِرَفَقَتِهِ؛ وَلَمْ أَبْلُغِ الْخَبْرَةَ الْكَافِيَةَ، وَلَا الْإِيمَانَ الْقَوِيَّ، وَلَا الْمَعْرِفَةَ الْمُبْتَغَاةَ.

وَمَعَ هَذَا، لَنْ أَقُولَ مَعَ مَنْ قَالَ لَهُ : «إِنَّكَ يَوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، أَوْ إِيلِيَّا، أَوْ إِرْمِيَا، أَوْ أَحَدَ الْأَنْبِيَاءِ».

وَلَنْ أَقُولَ أَيْضًا: إِنَّكَ «الْمَسِيحُ» بِالْمَعْنَى الْيَهُودِيَّ التَّوْرَاتِيَّ التَّقْلِيدِيَّ، حَيْثُ لِلْمَسِيحِ دَوْرٌ وَطَنِيٌّ سِيَاسِيٌّ، هُوَ تَحْرِيرُ شَعْبِهِ مِنْ طُغْيَانِ الرُّومَانِ.

ولن أقولَ مع مَنْ يقولُ اليومَ : إِنَّكَ قَائِدٌ بَطْلٌ، أو
مُعَلِّمٌ صَاحِبُ عَقِيدَةٍ، أو مُؤَسِّسُ حَرَكَةٍ عَالَمِيَّةٍ، أو مُشْتَرِعُ
يَسَنِّ الدَّسَاتِيرِ وَالْقَوَانِينِ وَالْأَنْظُمَةِ لِلبَشَرِيَّةِ.

ولن أقولَ مع مَنْ يقولُ اليومَ وغداً : إِنَّكَ مُؤَسِّسُ
دِينٍ، أو مُنْشِئُ مَذْهَبٍ، أو مُنْزِلُ كُتُبٍ مِنَ السَّمَاءِ، أو إِنَّكَ
مَلَكٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ، أو نَبِيٌّ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أو أَرْكَوْنُ
مِنْ أَرَاكِينِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ...

حَاشَاكَ مِنْ كُلِّ ذَاكَ حَاشَاكَ. وَإِنْ كُنْتَ أَتْبَعُكَ مِنْ
أَجْلِ ذَلِكَ فَأَنَا صَالِبُكَ مِنْ جَدِيدٍ، وَأَنْتَ مَنِّي بَرِيءٌ.

إِنَّ أَيَّ قَوْلٍ مِنْ تِلْكَ الْأَقْوَالِ يَجْعَلُكَ كَشَيْخِ قَبِيلَةِ
وَزْعِيمِ عَشِيرَةٍ؛ وَيَحْتَمُّ عَلَيْكَ أَنْ تَصْنَفَ النَّاسَ، بَيْنَ مَنْ هُمْ
مَعَكَ وَمَنْ هُمْ ضِدُّكَ، أو بَيْنَ مُؤْمِنِينَ بِكَ وَمُنْكَرِينَ لَكَ... وَمَا
عُدْتُ، بِالتَّالِي، إِنْسَانًا مِثَالَ كُلِّ إِنْسَانٍ، أو مُخْلِصًا يَعْمَلُ عَلَى
خَلَاصِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ.

فَعَلَيْهِ، وَالْحَالُ هَذِهِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ يَسُوعُ،
بِالنِّسْبَةِ إِلَيَّ، إِلَّا ذَاكَ الْإِنْسَانُ مِثَالَ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَذَاكَ الْمُخْلِصُ
الَّذِي يَعْمَلُ عَلَى خَلَاصِ كُلِّ النَّاسِ. إِنَّهُ الْإِنْسَانُ الْمِثَالِيُّ،
الَّذِي لَا يُمَيِّزُ فِي حِسَابِهِ أَحَدًا: بَارًّا كَانَ أو خَاطِئًا، مُؤْمِنًا أو
كَافِرًا، يَهُودِيًّا أو وَثْنِيًّا، عَبْدًا أو حُرًّا، رَجُلًا أو امْرَأَةً...

لقد علّم يسوع ذلك، وعمل ذلك، وجاء من أجل ذلك.
لقد قال في ما قال: «إِنَّ اللَّهَ مُحِبَّةٌ». و«عليكم أَنْ تُحِبُّوا بعضكم بعضاً».

وعلم أيضاً أَنَّ مُحِبَّةَ الإنسان، بالنسبة إليه، تكون
أَوَّلًا ثُمَّ مُحِبَّةَ اللَّهِ ثانياً؛ ذاك لأنَّ الإنسانَ هو الواسطة إلى
اللَّهِ؛ والواسطة تكونُ، في الزمن، قبل الغاية.

عن هذه الأولويّة، علّم يسوع قائلاً: «إِنْ جِئْتَ تُقَرِّبُ
عَلَى المذبحِ قربانَكَ، وذَكَرْتَ لِأَخِيكَ شَيْئاً عَلَيْكَ، فدَعْ هُنَاكَ
قربانَكَ، وبادِرْ فصالحَ أَوَّلًا أَخَاكَ. ثُمَّ عُدْ وقَرِّبْ قربانَكَ»
(متى ٥/ ٢٣-٢٤).

هذا التعليم فريدٌ، بل غريبٌ عن منطق الأديان
والمذاهب والفلسفات جميعها. إِنَّهُ يعني: أتركِ القربانَ
والمذبحَ والهيكلَ، واتركِ اللَّهَ نفسَه... واذْهَبْ إلى أَخِيكَ،
أَوَّلًا، صالحَه، أَحِبِّه، إِغْفِرْ لَهُ، تُبِّ إِلَيْهِ... ثُمَّ تعالَ معاً، أَنْتَ
وأخوك، إلى اللَّه. فيكون اللَّه معكما^(١).

يكفيني من يسوع هذا التعليم لكي أكون معه، وله:
محيّة الإنسان أَوَّلًا ثُمَّ مُحِبَّةَ اللَّهِ ثانياً.

(١) رَ: متى ١٨/ ٢٠.

حياة يسوع، وتعاليمه، وأعماله، وسلوكه، وحتى موته، كلها تعلّم ذلك وتؤكدّه :

١ . مَنْ من البشر يلتمس من الله أن يغفر له، وهو لا يغفر لأخيه؟! إِنَّ اللهَ لَن يَغْفِرَ لَهُ أَبَداً^(٢).

٢ . وهل يكون إنسانٌ صادقاً إن قال إنه يُحِبُّ اللهَ وهو يبغض أخاه؟ «إِنْ قَالَ أَحَدٌ: إِنِّي أَحِبُّ اللهَ، وهو يُبْغِضُ أخاه، كان كذّاباً. فَمَنْ لَا يُحِبُّ أخاه الذي يراه، لَا يَسَعُهُ أَنْ يُحِبُّ اللهَ الذي لَا يراه» (١ يو ٤ / ٢٠). هنا نحن في قِمة منطق المسيحية.

٣ . وأيِّ صلاةٍ أعظم من هذه التي تقول: «وَأَعْفُ عَنَّا ذُنُوبَنَا عَفْوَنا عَمَّنْ أَذْنَبَ إِلَيْنَا». فالمعادلة واضحة: «إِنْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ يَغْفِرَ لَكُمْ أَبُوكُم السَّمَاوِي. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ فَأَبُوكُم لَن يَغْفِرَ لَكُمْ»^(٣). فمغفرة الله للإنسان رهنٌ إذاً بمغفرة الإنسان لأخيه الإنسان. فهذه تتقدّم على تلك.

٤ . و«مَنْ يَقُولُ إِنَّهُ فِي النُّورِ، وهو يُبْغِضُ أخاه، فهو حتّى الآنَ فِي الظلمة... وفي الظلمة يَسِيرُ» (١ يو ٢ / ٩-١١)؛ أي مَنْ يَحِبُّ أخاه يكون فِي النور؛ ومن يبغضه

(٢) أنظر مثل العبد القاسي في متى ١٨ / ٢٣-٣٥.

(٣) متى ٦ / ١٢ و ١٥.

يكون في الظلمة. النور والظلمة لا يلتقيان، كذلك الحب والبغض لا يلتقيان في قلب الإنسان المؤمن بحبة الله له.

٥. «هذه هي البشري: أن يُحبَّ بعضنا بعضاً.. نحن نعلم أننا انتقلنا من الموت إلى الحياة، لأننا نُحبُّ الإخوة. مَنْ لا يُحبُّ يمكُثُ في الموت. كلُّ مَنْ يُبغِض أخاه يكون قاتلاً. وتعلمون أن كلَّ قاتلٍ لا حياة أبدية له ثابتة فيه. بهذا عرفنا المحبة: أن المسيح جاد بالنفس في سبيلنا، ونحن أيضاً علينا أن نجود بالنفس في سبيل الإخوة»^(٤).

٦. هذا هو الإنجيل، أي البشري السارة. وهذه هي تعاليم المسيحية، من هنا تبتدئ وإلى هنا تنتهي. ولا تعاليم سواها بمستواها. هذا ما يعني أن الحياة، هنا وهناك، إنما هي في المحبة؛ فيما الموت والهلاك يكونان في البغض. البغض إذاً هو القتل بعينه، أي هو الموت والهلاك. والإنسان الذي يبغض أخاه هو قاتل؛ ويسوع، في ذروة مهمته وحقيقة رسالته، سلّم نفسه ومات بإرادته ليحيا الإنسان.

٧. «الله محبة، ومن يثبت في المحبة يثبت في الله، والله يثبت فيه... نحن نُحبُّ، لأنه هو أحبنا أولاً»^(٥).

(٤) رسالة يوحنا الأولى ٣/١١-١٦.

(٥) رسالة يوحنا الأولى ٤/٧-٢١.

اللّٰه الذى جاء يسوع يعرّفنا عليه هو «محبّة». إنّهُ
يُحِبُّ. لا ييغض. لا يكره. ولا يهلك إنساناً، لأنّ الإنسان
خليقته، وابنه..

٨. والذين يرثون الملكوت هؤلاء هم الذين قال لهم
يسوع: «جُعْتُ فَاطْعَمْتُمُونِي، وَعَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي،
وَاعْتَرَبْتُ فَأَوَيْتُمُونِي، وَعَرَيْتُ فَكَسَوْتُمُونِي، وَمَرَضْتُ
فَعُدْتُمُونِي، وَسُجِنْتُ فَزَرْتُمُونِي».

ويسأله الأبرار: «متى رأيناك، يا ربُّ، جائعاً
فاطعمناك، أو عطشاناً فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريباً
فأويناك، أو عرياناً فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضاً، أو
سجيناً، فزرناك؟».

فيجيبهم: «الحقُّ أقولُ لكم: كلّما صنَعْتُم هذا إلى
أحدٍ إخوتي الأصغرين هؤلاء فأليّ صنعتُموه».

أمّا الذين يذهبون إلى عذابٍ أبديٍّ فهؤلاء هم الذين
لم يصنعوا شيئاً من هذا إلى أحدٍ من هؤلاء الأصغرين^(٦).

٩. هذه التعاليم الرفيعة رافقها تصرّفٌ أرفع: لقد
«كان يسوع يجوبُ الجليلَ كلّهُ.. ويشفي الشعبَ من كلّ

مرضٍ ووهنٍ.. وشفى كلَّ عليلٍ جيء به إليه، كلُّ أنواع
المرضى والموجوعين : ممسوسين، ومصروعين،
ومفلرجين»^(٧).

إنَّ معجزات يسوع مع الإنسان، صنعها لا ليبرهن
على مقدرته بمقدار ما أظهر من محبة للإنسان المسكين
الذي قسا عليه المجتمع وظروف الحياة...



لستُ أتبع يسوع إلاَّ لأنَّه علَّم : «الإنسان أولاً».
ولستُ أتبعه إلاَّ لأنَّه لم يعمل إلاَّ من أجل الإنسان ومحَبَّته،
لا من أجل الله أو أيِّ شريعة أو دين أو نبيٍّ، أكان من عند
الله أو من عند غير الله.

أقولها بوضوح تامَّ : لا يُغريني من يسوع سوى أنَّه
جاء يخلِّص الإنسانَ من ظلم أخيه الإنسان، أن يُعيدَ إليه
حرِّيَّته التي سلبها منه الأنبياءُ والرسلُ باسم الله، والتي
قيَّدَتْها الأديان بشرائعها. وإنِّي على يقينٍ بأنَّ المسلوبَ
باسمِ الله لا يُعيده إلاَّ الله. لهذا كان يسوعُ مُرسلاً من عند
الله، وسيطاً وحيداً بين الله والإنسان، مخلص الإنسان من

(٧) متى ٢٣/٤-٢٤؛ مرقس ١/٣٩؛ لوقا ٤/٤٤؛ ١٧-١٨.

قيود أخيه الإنسان، ومن شرائع الأديان. بل هو **المخلص**...
وأبالغ في الوضوح لأقول: ليست المسيحية ديناً
جامداً، ولا كتاباً منزلاً، ولا شريعة سماوية، ولا حقائق
جاهزة، ولا مبادئ ثابتة، ولا عقائد محددة، ولا قوانين
جامدة، ولا طقوساً منتظمة، ولا نبوة ولا وحيًا... بل
المسيحية، بمنتهى الكلام، هي تلك التي تعمل من أجل
الإنسان **أولاً**؛ أي هي «جماعة» من البشر، لا مجموعة
شرائع وحقائق وعقائد. إنها «جماعة» تعمل بعضها مع
بعض من أجل رقي الإنسان وقداسته. أو هي «الكنيسة»
المكوّنة من أناسٍ، قد يكونون خطأ ضعفاء، وجاهلة
مساكين، يساعد بعضهم بعضاً في البحث عن الله
والحقيقة، وفي استعادة الحرية التي سلبها الأنبياء
والرسل، وقضت عليها الأديان والشرائع.

ليست المسيحية شيئاً إن لم يكن يسوع ذاك
الوسيط الأوحى بين الله والإنسان. لقد جاء يسوع **يخلص**
الإنسان من إله الأنبياء والرسل والأديان والشرائع والكتب
المنزلة جميعها. لم يكن في همّ يسوع أن يؤسس ديناً لفئة
من البشر، لأنّ البشر كلّهم خلّقه وأبناؤه وأحباؤه وفي

عنايته وحمايته؛ بل كان همّه أن يحرّر البشر كلّ البشر. فهو للأبرار والأشرار سواء، للأصحاء والمرضى، لليهود والأمم، للأحرار والعبيد، للرجال والنساء... الكلّ مدعوّ إلى وليمته، المرذولون قبل المقرّبين، الخطاة قبل الأبرار .

ليس يسوعُ شيئاً إن كان جاء ليعلمنا ويثقفنا، ويسنّ لنا شرائع، وينزل علينا حقائق، ويفسّر لنا أسرار الموت وما بعد الموت وألغاز العالم والكون... نحن نريدُ من يسوع أن يُعطينا ذاته، وأن يَبقى معنا، ويكون حاضراً بيننا، ويشركنا في ألوهيّته،

ويسوع كان كذلك : فهو حاضرٌ في كنيسة التي هي امتدادٌ له، ومكانٌ لخلاص البشر أجمعين، حاضرٌ في كلّ اثنين يجتمعان باسمه، حاضرٌ في كلّ جماعة، حاضرٌ في أتعابنا وأفراحنا، في ارتفاعنا وسقوطنا. إنّه حاضر في مأكلا ومشربنا، وبنوع خاصٍّ ومميّز، في وليمة الإفخارستيا ومائدة المحبة حضوراً فعّالاً.

ليس يسوعُ شيئاً إن لم يكن في تدبيره الإلهيّ رفُعنا إليه حتّى نصير شركاءه في ألوهيّته، ومتّحدين به اتّحاداً كاملاً ونهائياً.

دونَ هذه الشّركة في الألوهيّة، والاتّحاد باللّٰه،
والحياة التامّة معه، والسعادة به لا بغيره... دون هذه
الرغبة في أن نكون مثل اللّٰه، لا يعنينا يسوعُ بشيء.

نحن لا نريد يسوعَ نبياً، ولا ملاكاً، ولا مرسلًا، ولا
قائدًا، ولا زعيمًا، ولا معلّمًا، ولا مشترعًا، ولا مؤسس
دين... نريده «وسيطًا» بيننا وبين اللّٰه. نريد أن يدلّنا على
اللّٰه، أن يشركنا في ألوهيّته، أن يحيا فينا ونحيا فيه، أن
نمجّده ويقدّسنا، أن نحترف به ويتجلّى فينا. نريده أن
يوحدنا به وبأبيه، وأن يقدّسنا بروحه القدّوس ..

ليس يسوعُ شيئاً إن لم يحملْ عنّا بعضَ شقائنا،
خطايانا وآلامنا، صليبنا وموتنا... يسوع الذي لم يُصلبْ لا
يعنينا أبداً؛ لأنّ إلهاً لا يعرف الألم والصليب والموت لا مكان
للإنسان عنده. إلهٌ خلقَ الألم والصليب والموت، من دون أن
يتألّم ويُصلب ويذوق الموت، هو إلهٌ مستهزئٌ بنا جميعاً،
إنّه يتجنّبنا ويبغضنا مجّاناً... يسوعُ المصلوب هو لنا كلّ
شيء. ونحن نرى في صليبه عنوان بشريّة سائرة في
طريقِ الخلاص والمجد.

إنّي لا أحسنُ التعامل مع إلهٍ واحدٍ، أحدٍ، صمدٍ،
متعالٍ، مهيمٍ، جبارٍ، كلّيّ القدرة، ضابطِ الكلّ، ديانٍ

العالمين... مع هكذا إله لا أجد لي مكاناً. لا أطمئن إليه. لا أعرف كيفَ ومن أين أدخل فيه... إنَّ عقلي يسلم بوجوده، ولكن قلبي لا يسعد ولا يطمئن إلا لإلهٍ يُحبُّ، ويُحبُّ، يعتني بالصَّغير والضعيف والمسكين، ويتحمَّلُ اللَّعنة عن الملعونين، ويتعذَّبُ مع المعذَّبين، ويُصلَّبُ مع المصلوبين، ويموتُ مع المائتين.

وكذلك أيضاً لا أحسنُ التعامل مع إلهٍ يقف لي بالمرصاد، ويتَّهمني دائماً بأنني خربتُ العالم، وأفسدتُ مخططاته، وأبعدته عن خليقته... مع مثل هذا الإله أجد نفسي متَّهماً دائماً، مُذنباً عالمياً، شريراً كبيراً، بل شيطاناً رجيماً...

يلوح لنا، مع إلهٍ كلِّيِّ الكمال والجمال، أننا كلِّيُّ النقص والقبح.. وبالتالي، لا لقاء بيننا وبينه. فلولا يسوع، لما كان هو يتخلَّى عن كماله وجماله، ولا نحن نستطيع أن نغيِّرَ نقصنا وقبحنا بقدرتنا الذاتية. يسوع تولى الأمر، فنجح وانتصرنا، وانتصرنا معه ونجحنا.

لولا يسوع، لما عرفنا أنَّ الله أبُّ محبٍّ، يُقيم معنا، يحلُّ فينا، يتجلَّى فوق جبالنا، يملأ أرضنا، يتمجّد بالدبَّابات والزحافات وحيتان البحر وطيور الجو... يسوع عرفنا على

أَنَّ اللّٰهَ مَحَبَّةً، أَبٌ، وَابْنٌ، وَرُوحٌ، وَكَنِيسَةٌ، وَتَوْبَةٌ، وَرَحْمَةٌ...
لَقَدْ ظَلَمْنَاهُ بِقَوْلِنَا عَنْهُ وَاحِدًا، وَثَلَاثَةً، وَمِئَةً، وَأَلْفًا، وَأَكْثَرَ..
إِنَّهُ الْكُلُّ، بَلْ هُوَ الْكُلُّ فِي الْكُلِّ، لِأَنَّهُ يَسْتَوْعِبُ الْكُلَّ.

فَلَوْلَا يَسُوعُ، لَعَادَ اللّٰهُ وَاحِدًا أَحَدًا صَمَدًا، مَغْلَقًا عَلَى
ذَاتِهِ بِإِحْكَامٍ، لَا يُحِبُّ أَحَدًا، وَلَا يَهْمُهُ أَحَدٌ..

لَقَدْ حَاوَلَ الْبَشَرُ، عَبْرَ تَارِيخِهِمْ، إِنْشَاءَ أَدْيَانٍ
وَمَذَاهِبٍ كَثِيرَةٍ، حَدَّدُوا عَقَائِدَهَا، وَثَبَّتُوا مِبَادِئَهَا، وَأَقَامُوا
فَرَائِضَهَا، وَنَظَّمُوا طُقُوسَهَا، وَرَبَطُوهَا كُلَّهَا بِعَمْدِ السَّمَاءِ،
لَعَلَّهَا تَكُونُ وَاسِطَةً بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللّٰهِ. وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ، إِرْضَاءً
لِلّٰهِ، ظَلَمَ أَخَاهُ، أَبْغَضَهُ، وَقَتَلَهُ. وَكَانَ سُؤَالُ اللّٰهِ لِهَذَا الْقَاتِلِ
مِنذُ الْبَدءِ: «مَاذَا صَنَعْتَ بِأَخِيكَ.. إِنَّ صَوْتَ دِمَاءِ أَخِيكَ
صَارَخَ إِلَيَّ مِنَ الْأَرْضِ» (تَكَ ٩ / ٤ - ١٦).

وَلَا يَزَالُ الْأَمْرُ هَكَذَا بَيْنَ الْبَشَرِ، إِلَى أَنْ كَانَ يَسُوعُ
الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ لِيَقُولَ لَنَا: «اللّٰهُ مَحَبَّةٌ». «مَنْ يُحِبُّ هُوَ
مِنْ اللّٰهِ». «بَادِرْ وَصَالِحْ أَخَاكَ أَوَّلًا»، ثُمَّ عُدَّ إِلَى اللّٰهِ...
فَبَسَبَبَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ، أَعْتَقَدَ أَنَّ يَسُوعَ وَحْدَهُ جَاءَ مِنْ عِنْدِ
اللّٰهِ. وَهُوَ كَذَلِكَ بِسَبَبِ مَا تَكَبَّدَ مِنْ جِرَاءِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مِنْ
آلَامٍ وَعَذَابَاتٍ وَاتِّهَامَاتٍ...

الفصل التاسع

أي إله هو هذا الذي نعبد؟!

أيّ إله هو هذا الذي تتكلّم عليه الأديان جميعها،
وتصفه بصفات البشر من دون معرفة أيّ دور خلاصيّ له
مع الإنسان؟!

لا أعتقد أنّ هذا الإله الذي يعبده المسيحيّون اليوم
هو نفسه الإله الذي يعبده اليهود والمسلمون والدروز
والنصيريّون وغيرهم من المتديّنين الغيورين على صمديّة
الله، أي إنّ إله الإنجيل ليس هو نفسه إله التوراة والقرآن.

إله الإنجيل يهتمّ بعباده جميعهم، ويعتني بهم
جميعاً، ويحبّهم من دون تمييز، ويرأف بهم إلى منتهى
الرأفة، ويجهد في إعلاء حرّيتهم، ويعمل على خلاصهم.
إنّه، باختصار، كما يقول عنه الإنجيل، «إله محبّة».

أَمَّا إِلَه الْقُرْآن فَهوَ إِلَه أَزَلِيّ أَبَدِيّ، وَاحِدٌ، أَحَدٌ، صَمَدٌ،
بَعِيدٌ، مُتَعَالٍ، قَيِّدُ الْإِنْسَانِ بِشَرِيعَةٍ لَا تُتَغَيَّرُ وَلَا تُتَبَدَّلُ، لَا
تَتَطَوَّرُ وَلَا تُخْضَعُ لِلزَّمَنِ وَلَا لِلْأَحْدَاثِ فِي الْعَالَمِ^(١)..

وَكَذَلِكَ هُوَ إِلَهُ التَّوْرَةِ الَّذِي عُرِفَ بِإِبْرَامَ الْعَقُودِ،
وَقَطَعَ الْعُهُودَ مَعَ شَعْبٍ اخْتَارَهُ لَهُ مِنْ بَيْنِ شُعُوبِ الْأَرْضِ
جَمِيعًا، وَرَافَقَهُ فِي مِصْرَ وَفِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ، فِي السَّبْيِ إِلَى
بَابِلَ، وَفِي مَسِيرَتِهِ كُلِّهَا.

١ . لَقَدْ قَطَعَ إِلَهُ الْيَهُودِ عَهْدًا مَعَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ،
فَكَانَتْ عَلَامَتُهُ الْخِتَانُ، «فَيَكُونُ عَهْدِي فِي أَجْسَادِكُمْ عَهْدًا
أَبَدِيًّا» (تَكَ ١٧ / ٩-١٥).

٢ . وَفِي أَيَّامِ مُوسَى، قَالَ اللَّهُ لَهُمْ: «إِنْ حَفَظْتُمْ
عَهْدِي، فَإِنَّكُمْ تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ...
وَتَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةً مِنَ الْكَهَنَةِ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً» (خُر ١٩ / ٥).

٣ . وَأَهَمُّ عَهْدٍ قَطَعَهُ اللَّهُ مَعَهُمْ هُوَ عِنْدَمَا أَخَذَ
مُوسَى الدَّمَ، وَرَشَّهُ عَلَى الشَّعْبِ، وَقَالَ: «هُذَا دَمُ الْعَهْدِ
الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ» (٢٤ / ٧-٨).

٤ . ثُمَّ جَاءَ عَهْدُ الْخُضُوعِ لِلشَّرِيعَةِ، وَلَا سَيِّمَا

(١) لمعرفة المزيد عن إله القرآن والإسلام، راجع فصل «الله»، ص ٧٣-١٠٢ من كتابنا

«بين المسيحية والإسلام»، سلسلة «الحقيقة الصعبة»، رقم ١٨.

شريعة السبب، الذي إذا ما «استباحه أحدٌ يُقْتَل قَتْلًا.. إِنَّهُ عهد أبديّ بين الله وبين بني إسرائيل» (خر ١٦/٣١-١٧).

٥. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ نَفْسَهُ الذي أوحى لابنتي لوط بمضاجعة أبيهما ليكون لهما نسل. لقد «سَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا، وضاجعتاه، فحملتا منه، ووُلد لهما بنون» (تك ١٩ / ٣٠..).

٦. وَاللَّهُ نَفْسَهُ أَيْضًا يمتحن إبراهيم بذبح ابنه الوحيد الذي يحبّه، وقد وعده الله بنسلٍ منه يملأ الأرض؟! (تك ٢٢/١-١٩).

٧. وَهُوَ اللَّهُ إِيَّاهُ أَيْضًا يَقُومُ بمصارعة بينه وبين يعقوب، فتنخلع، بسبب هذه المصارعة، حُقُّ وِرْكِ يَعْقُوب؛ حَتَّى أَصْبَحَ يَعْقُوبُ «يَعْرِجُ مِنْ وَرْكِهِ. وَلِذَلِكَ لَا يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِرْقَ النِّسَاءِ الذي فِي حُقِّ الْوَرِكِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ» (تك ٣٢/٢٣-٣٣).

٨. ثُمَّ وَصَفَ إِلَهَ التَّوْرَةِ بِأَنَّهُ سَاحِرٌ يَتَعَاطَى السَّحَر والشعوذة، كما فعل موسى مع فرعون من خزعبلات وبهلوانيات وشعوذات ليدْهشه.. وبرهن على ذلك عندما ضَرَبَ اللَّهُ مِصْرَ عَشْرَ ضَرْبَاتٍ :

١- فَقَدْ طَلَبَ اللَّهُ مِنْ مُوسَى أَنْ يُلْقِيَ عَصَاهُ عَلَى الْأَرْضِ فَتَصِيرَ حَيَّةً (خر ٧/٨-١٣)؛

- ٢- وعَلَّمَهُ أَنْ يَقْلِبَ مَاءَ النِّيلِ دَمًا (خر ١٤ / ٧)؛
- ٣- وَأَرَاهُ النِّيلَ يَعْجُّ بِالضَّفَادِعِ، الَّتِي تَصْعَدُ وَتَدْخُلُ بَيْتَ فِرْعَوْنَ وَبُيُوتَ شَعْبِهِ (خر ٢٦ / ٧-٨ / ١١)؛
- ٤- وَقَالَ لَهُ أَنْ يَضْرِبَ تَرَابَ الْأَرْضِ، فَيَصِيرَ بَعُوضًا فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ (خر ٨ / ١٢-١٥)؛
- ٥- وَأَنْ يُرْسَلَ الذَّبَابُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَشَعْبِهِ وَبُيُوتِهِمْ. وَدَخَلَ ذَبَابٌ كَثِيفٌ كُلَّ أَرْضِ مِصْرَ وَأُتْلِفَتِ الْأَرْضُ (خر ٨ / ١٦-٢٨)؛
- ٦- وَأَنْ يُرْسَلَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَشَعْبِهِ وَمَوَاشِيهِمْ بَطَاعُونَ شَدِيدٌ جَدًّا (خر ٩ / ١-٧)؛
- ٧- وَأَنْ يَقُومَ بِذَرِّ التَّرَابِ عَلَى النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ فَيَصِيرُ قُرُوحًا تَفْرَخُ بِثَوْرًا (خر ٩ / ٨-١٢)؛
- ٨- وَأَنْ يُمَطَّرَ بَرْدًا ثَقِيلًا جَدًّا لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ فِي مِصْرَ مِنْ يَوْمٍ تَأْسِيسِهَا إِلَى الْآنَ (خر ٩ / ١٣-٣٥)؛
- ٩- وَأَنْ يُغَطِّيَ الْجَرَادُ أَرْضَ مِصْرَ، حَتَّى لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ جَرَادٌ مِثْلُهُ وَلَا يَكُونُ بَعْدَهُ كَذَلِكَ (خر ١٠ / ١-٢٠)؛
- ١٠- وَأَنْ يَجْعَلَ ظَلَامًا عَلَى أَرْضِ مِصْرَ.. فَكَانَ ظَلَامٌ كَثِيفٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. وَلَمْ يَكُنِ الْوَاحِدُ يُبْصِرُ أَخَاهُ، وَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنْ مَكَانِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ (خر ١٠-٢١-٢٩).

٩ . إله التوراة إله كذاب مخادع :

١ - لقد خدع آدم بمنعه من أن يأكل من شجرة المعرفة. فأكل؛

٢ - وجعل فتنة بين قايين وأخيه هابيل حتى قتل قايين أخاه؛

٣ - وعمل طوفاناً أباد به كلّ حيّ على الأرض، وأبقى على نوح وذريته كأنّهم هم وحدهم أبناؤه؛

٤ - ودمّر سدوم وعمورة، وأبقى فقط على لوط؛ وما أدراك من هو لوط، وما صنعت به بنتاه؟!

٥ - ودمّر برج بابل، لاثّامه بِنائيه بالفساد، فيما هم بنّوه ليحموا به العالم من غضب الطبيعة وفيضان الأمطار وطوفان الأنهر والبحار؛

٦ - وأعطى موسى عشر وصايا، كأنّها من صنعه هو، فيما هو استوحاها من ملحمة جلجامش، وحرفّها لمصلحة بني إسرائيل...

١٠ . ثمّ يسرد سفر الخروج مآثر الله ومعجزاته مع شعبه الخاصّ، ولو على حساب تدمير شعوب الأرض كافّة :

١ - رأى موسى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً
عبرانياً من إخوته. فالتفت إلى هنا وهناك فلم ير أحداً، فقتل
المصريّ وطمره في الرمل (خر ١١-١٢)؛

٢ - ونظر موسى، وهو على جبل حوريب، فإذا
العَلِيقَةُ تشتعل بالنار وهي لا تحترق.. فناداه الله من وسط
العَلِيقَةِ... (خر ١٣-١٦)؛

٣ - وقال موسى لشعبه: «إذا انصرفتم، فلا
تنصرفون فارغين، بل ... تسلبون المصريّين (خر ٣-٢١-
٢٢)؛

٤ - ثمّ قال الربّ لموسى: ما هذا الذي في يدك؟
قال: عصاً. قال: أَلْقِهَا عَلَى الْأَرْضِ. فَأَلْقَاهَا عَلَى الْأَرْضِ،
فصارت حَيَّةً. فهرب موسى من وجهها. فقال الرب لموسى:
مَدِّ يَدَكَ وَأَمْسِكْ بِذَنْبِهَا. فمَدَّ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهَا. فَعَادَتْ عَصاً
فِي يَدِهِ (خر ٤-٢-٩)؛

٥ - قال الربّ لموسى: جميع المعجزات التي جعلتها
في يدك تصنعها أمام فرعون، وأنا أقسّي قلبه، فلا يُطلق
الشعب (خر ٤-٢١)؛

٦ - قال الربّ: وأنا أجتازُ في أرضِ مصرَ في تلك
الليلة، وأضرب كلَّ بِكَرٍ في أرض مصر، من الناس إلى

البهائم... فلمّا كان نصف الليل، ضرب الربّ كلّ بَكْرٍ في أرض مصر، من بكر فرعون الذي سيجلس على عرشه إلى بكر الأسير الذي في الجبّ، وجميع أبكار البهائم.. وكان صراخٌ عظيم في مصر، إذ لم يكن بيتٌ إلّا وفيه مَيّت (خر ١٢/١٢، ٢٩-٣٠)؛

٧ - وأنال الربّ الشعبَ حُظوةً في عيون المصريين... وهكذا سلبوا المصريين (خر ١٢/٣٥-٣٦)؛

٨ - كانت ليلةٌ سَهَرٍ للربّ، لإخراجهم (أي لإخراج الإسرائيليين) من أرض مصر. فليلاً السَّهَرِ هذه يحفظها للربّ بنو إسرائيل جميعهم مدى أجيالهم (خر ١٢/٤٢)؛

٩ - ولما تصلّب فرعونُ عن إطلاقنا، قتلَ الربُّ كلّ بَكْرٍ في أرض مصر، من بكر الإنسان إلى بكر البهيمة (خر ١٣/١٥)؛

١٠ - وكان الربّ يسير أمامهم نهاراً في عمودٍ من غَمَامٍ ليَهْدِيَهُم الطريق، وليلاً في عمودٍ من نارٍ لِيُضِيءَ لهم، وذلك لكي يسيروا نهاراً وليلاً (خر ١٣/٢١)؛

١١ - يقول الله: وأُقَسِّي أنا قلبَ فرعون، فيَجِدُ في إثر بني إسرائيل... ويعلمُ المصريون أنّني أنا الربّ (خر ١٤/٣-٤)؛

١٢ - قال موسى للشعب: الربُّ يُحَارِبُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ هَادِثُونَ (خر ١٤ / ١٤)؛

١٣ - وقال اللّٰهُ لموسى: وَأَنْتَ ارْفَعِ عَصَاكَ وَمُدَّ يَدَكَ عَلَى الْبَحْرِ فَشَقَّهُ، فَيَدْخُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسْطِهِ عَلَى الْيَبَسِ. وَهَا أَنَا مُقَسِّ قُلُوبِ الْمَصْرِيِّينَ، فَيَدْخُلُونَ وَرَاءَهُمْ... (خر ١٤ / ١٥-٣١)؛

١٤ - وفيما الشعب في البرِّيَّة، تَذَمَّرَ عَلَى مُوسَى وَقَالَ: مَاذَا نَشْرَبُ؟ فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ، فَأَرَاهُ الرَّبُّ خَشْبَةً فَأَلْقَاهَا فِي الْمَاءِ فَصَارَ عَذْبًا (خر ١٥ / ٢٤-٢٥)؛

١٥ - وَتَذَمَّرَتْ جَمَاعَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كُلُّهَا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ. وَقَالَ لَهُمَا بَنُو إِسْرَائِيلَ: لَيْتَنَا مِتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، حَيْثُ كُنَّا نَجْلِسُ عِنْدَ قَدْرِ اللَّحْمِ وَنَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ شَبْعًا، فِي حِينِ أَنْكُمَا أَخْرَجْتُمَانَا إِلَى هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ لَتُؤَمِّتَا هَذَا الْجُمْهُورَ كُلَّهُ بِالْجُوعِ. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: هَا أَنَا مُمْطِرٌ لَكُمْ خَبْزًا مِنَ السَّمَاءِ، فَيُخْرِجُ الشَّعْبُ وَيَلْتَقِطُهُ طَعَامَ كُلِّ يَوْمٍ فِي يَوْمِهِ، لَكِي أَمْتَحِنَهُمْ... (خر ١٦ / ١-٣٦)؛

١٦ - الْمَاءُ يُخْرِجُ مِنَ الصَّخْرَةِ! (خر ١٧ / ١-٧)؛

١٧ - مُحَارَبَةُ الْعَمَالِقَةِ! (خر ١٧ / ٨-١٦).

هذه بعض معجزات الله مع بني إسرائيل في البرية. وهي مآثر لا يمكن لعاقِل أن ينسبها إلى الله الذي يعمل دائماً لمصلحة بني إسرائيل، فلكنّ أبناء الأمم لا يستحقّون أيّة عناية، وكأنّه ليس إلههم، وهم ليسوا أبناءه.

١١ . وكذلك أمر إله التوراة أنبياءه بقتل الذكور، وبقر بطون الإناث والأطفال والرضع والحيوانات. هذا الإله يحبك المؤامرات مع كلّ أعوانه :

١ - لقد دبّر الله مؤامرة ليخدع الملك آخاب ويُميته ليخلص بني إسرائيل من شروره (ر: ١ مل ٢؛ ٢ أخ ١٨)؛
٢ - وحاك مؤامرة على النبي داود وشعبه؛ وأمره أن يحصي الشعب، ثمّ اعتبره قد أخطأ في ذلك. الشيطان، كما الإله يحبك مؤامرة أيضاً على داود، ويأمره بإحصاء الشعب (١ أخ ٢١). في حين أنّ داود أحصى شعبه دون أن يأمره أحد؛ ولم يترتب عليه أيّة مخالفة (٢ صم ١٨)...

١٢ . إله التوراة إله منتقم، يثار لشعبه من أعدائه :

١ - ينتقم لقايين سبعة أضعاف (تك ٤ / ٢٤)؛
٢ - وينتقم لبني إسرائيل من المديانيين (عد ٣١ /

٣ - ويسمع صلاة داود يتوجّه بها إليه: «أُطَارِدُ
أعدائي فَأُدْمِرُهُمْ، ولا أعود حتّى أُنْصِفَهُمْ. أُنْصِفُهُمْ وَأَحْطُمُهُمْ
فلا يقومون، تحت قدميّ يسقطون... الله الذي يُتِيحُ لي
الانتقام» (٢ صم ٢٢/٣٨-٥١)؛

٤ - «يا إله الانتقام، يا ربّ، يا إله الانتقام، أَشْرِقْ
(مز ٩٤/١)؛

٥ - «قال السيّد ربّ القوّات، عزيزُ إسرائيل: لأثَارَنَّ
من خصومي، وأنتقمُ من أعدائي» (أش ١/٢٤)؛

٦ - ويصليّ النبيّ إرميا إلى الربّ قائلاً: «وانتقمْ
لي من مضطهديّ» (إر ١٥/١٥)؛

٧ - وكذلك يقول النبيّ حزقيال بلسان الربّ الذي
يصبّ جامَ غضبه على الفلّسطينيّين: «أُجْري عليهم انتقاماً
عظيماً، فيعلمون أنّي أنا الربّ حين أجعل انتقامي عليهم»
(حز ٢٥/١٥-١٧)؛

٨ - «وبغضبٍ وحنقٍ أُجْري الانتقامَ على الأمم»
(مicha ١٤/٥) يقول الربّ؛

٩ - ويصف النبيّ نحوم انتقام الربّ بقوله: «الربّ
إله غيور ومنتقم. الربّ منتقم وذو غضب. الربّ منتقم من
خصومه، وحاقد على أعدائه.. ولا يتغاضى عن شيء.. مَنْ

يقف أمام سُخطه، ومن يُقاوم اضطرامَ غضبه؟ قد انصبَّ
حنقه كالنّار، وتحطّمت منه الصخور.. يُفني مقاوميه،
ويتعقّب أعداءه في الظلام» (نحوم ١ / ١-٨)...

هذا هو إله التوراة واليهود. نادراً ما يتّصف بالرفّة
والرحمة والمحبة والحنان. إنّ إله لا يرتاح الإنسانُ إليه، أو
يمكن أن يرجو منه خلاصاً. لهذا جاء يسوع المسيح ينقض
مفهوم الله اليهوديّ، من دون أن يقضي على الله نفسه.

وكذلك هو إله القرآن، مثله مثل إله التوراة، إله حنقٍ
وغضبٍ وثورٍ وانتقام: «إنّ الله عزيز ذو انتقام»^(٢)... لقد
انتقم من المصريين فأغرقهم في اليم أجمعين^(٣).

وظلم حتّى جماعته. قال: «وأنزل الذين ظاهروهم
من أهل الكتاب من صياصِيهم (أي من حصونهم)، وقذف
في قلوبهم الرعب، فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً. وأورثكم
أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها. وكان الله
على كلّ شيء قدير»^(٤).

(٢) ٣/٤؛ ٥/٩٥؛ ١٤/٤٧؛ ٣٩/٣٧...

(٣) ٧/١٣٦؛ ١٥/٧٩؛ ٤٣/٥٥...

(٤) سورة الأحزاب ٢٣/٢٥-٢٦.

أيّ إله هو هذا الإله، إله التوراة والقرآن؟! أفهم أن إله التوراة هو هكذا، لأنّ مفهوم الناس له، في ذلك الحين، ينطبق على مفاهيم ذاك العصر. أمّا أن يعود بنا القرآن مئات السنين إلى الوراء، ويترك إله المحبة، أي إله الإنجيل، فهذا ما لا يمكن قبوله.

إله التوراة والقرآن هو نفسه الذي صنع الأديان، وسنّ الشرائع، وقيدّ مجالات الحرّية ورسم حدودها، وجمّد الحقائق والعقائد؛ بل جمّد الإنسان، وأوقف تطوّر التاريخ والإنسان والعلم والعالم .

لهذا، ليس على إنسان اليوم، الضنين بحرّيته، إلّا أن يدعو إلى إلغاء هذه الأديان والشرائع، وبالتالي إلى إلغاء الأنبياء وكتبهم التي لا تشير إلى الإله الحقيقيّ، إله يسوع المسيح.

الفصل ١٠

الشرّ في العالم مسؤولية مَنْ؟

يُقال أنّ خطيئة آدم وحوّاء هي سبب الشرّ والموت في البشرية. وبسبب خطيئتهما هذه غضبَ الله عليهما وعلى ذريتهما إلى الأبد.

ويُقال أيضاً أنّ إبليس استقوى عليهما، وأغواهما، وأسقطهما في حبائله، وجرّهما إلى المعصية؛ ولم يعد بوسعهما القيام من دون مخلص.

وثمة مَنْ قال أيضاً إنّ أحدَ الملائكة غار على سيادة الله، فأثر الدفاع عنه بشتّى الوسائل، بالحروب والزلازل والنكبات والبراكين وعوامل الطبيعة الصاخبة، وبالأوبئة والأمراض والعداوات بين الشعوب، وغير ذلك من شرور...

وَمَنْ قَالَ أَخِيرًا إِنَّ نِيَّةَ الْإِنْسَانِ فِي تَبَرُّةِ اللَّهِ مِنَ الشَّرِّ جَعَلَتْ الْإِنْسَانَ يَنْسِبُ الشَّرَّ إِلَى إِلَهٍ آخَرَ؛ حَتَّى أَصْبَحَ لَدَيْهِ إِلَهَانِ : إِلَهٌ لِلْخَيْرِ وَالنُّورِ، وَإِلَهٌ لِلشَّرِّ وَالظُّلْمَةِ...

أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ إِنَّ سَبَبَ الشَّرِّ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ هُوَ الْإِنْسَانُ لَا سِوَاهُ، الْإِنْسَانُ بِكَوْنِهِ كَائِنًا حَرًّا مَسْئُولًا عَنْ أَعْمَالِهِ كُلِّهَا، الَّتِي هِيَ مِنْ صَنْعِهِ، لَا مِنْ صَنْعِ سِوَاهُ، لَا مِنَ اللَّهِ، وَلَا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَا مِنْ أَيِّ رُوحٍ شَرِّيرٍ آخَرَ... وَحْدَهُ الْإِنْسَانُ، بِكَوْنِهِ حَرًّا مَسْئُولٌ عَنْ كُلِّ مَا فِي الْعَالَمِ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ شَرٍّ...

وَحْدَهُ الْإِنْسَانُ، بَيْنَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ الْمُرْتَبِئَةِ وَالْأَمْرَبِئَةِ، يَتَمَتَّعُ بِحُرِّيَّةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ، مِنْذُ الْبَدْءِ، ذَلِكَ لِكَيْ يَسْتَحَقَّ، بِجَهْدِهِ وَكَدِّهِ، أَجْرَ أَعْمَالِهِ، وَالْحَيَاةَ مَعَ اللَّهِ.

وَحْدَهُ الْإِنْسَانُ، بِسَبَبِ حُرِّيَّتِهِ، يَتَحَمَّلُ مَسْئُولِيَّةَ أَعْمَالِهِ، الْخَيْرِةَ مِنْهَا وَالشَّرِّيرَةَ. وَلَا يُمْكِنُهُ، بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، أَنْ يَحْمَلَ اللَّهُ أَيْةَ مَسْئُولِيَّةٍ عَنْ أَيِّ عَمَلٍ خَيْرٍ أَوْ شَرِّيرٍ. اللَّهُ بَرِيءٌ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ، بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ حُرِّيَّةٍ، يَتَحَمَّلُ وَحْدَهُ تَبْعِيَّةَ أَعْمَالِهِ.

الحرّية سبب تصرّفات الإنسان وأعماله الخيرة
والشرّيرة كلّها. ولا يحقّ له أن يرفع المسؤوليّة عن كاهله
ويُلقيها على سواه، لا على الله، إن كانت خيرة، ولا على
الشیطان، إن كانت شرّيرة...

إذًا، لا الله، ولا أيّ إنسان آخر يمكنه أن ينزع هذه
الحرّية المسؤولة من أيّ إنسانٍ شاءها الله له منذ أن خلقه.

والشرّ في العالم هو، في حقيقته، يكمن في منع
الإنسان من مزاوله حرّيته؛ أكان ذلك في اتّهام الله بصنع
الأديان، وتنزيل الكتب، وبعث الأنبياء والمرسلين، أم يتحديد
عقائد وتعاليم، ووضع شرائع لا تتغيّر ولا تتبدّل.

حرّية الإنسان هذه، وحدها من بين عطايا الله، هي
مطلقة وعامة وكاملة وشاملة وثابتة... والله نفسه لم يقف
يوماً في وجه ممارسة الإنسان لهذه الحرّية.

هذه الحرّية لا يستطيع أحدٌ أن يدّعي أنّها ملكه
وحده، أو أن يسلبها من أيّ إنسان آخر، ولو باسم الله ذاته.
ظلم الإنسان لأخيه الإنسان يكمن هنا، في استعباده
باسم السماء، أي في تنزيل شرائع باسم الله، ووضعها في
أديانٍ وكتبٍ قيل أنّها من صنع الله.

ها هنا يكمن الشرّ العظيم. ولعظمته لا يستطيع الإنسان أن يتحمّله وحده، لهذا رأى أن ينسبه إلى قوّة عظيمة أوجدها هو ليرفع عنه المسؤولية. هذه القوّة سمّاها الشيطان.

لهذا، إن وُجد الشيطان فهو أحسن وجه أوجده الإنسان، ليحمل عنه أثقالَ شروره.

فكما أنّ الله ليس ملك الإنسان ليحمّله كلّ أعماله الخيرة، فالشيطان أيضاً ليس ملك الإنسان ليحمّله كلّ أعماله الشريرة. الله بريء ممّا اتُّهم به، والشيطان أيضاً بريء ممّا اتُّهم به.. كلّ هذه الاتِّهامات حاكها الإنسان لأنّه لا يستطيع أن يحمل وحده مسؤولية أعماله؛ فاتَّهم الله بالخيرة منها، واتَّهم الشيطان بالشريرة منها... تلك لا يستطيعها الإنسان وحده، فأناطها بالله؛ وهذه لا يتحمّل مسؤولية شرّها، فأناطها بالشيطان.

لقد توفّق الإنسان بالله فحمّله صنع الأديان والأنبياء والكتب والشرائع؛ وتوفّق بالشيطان فحمّله أثقاله وشروره.

الثلاثة: أي الله والإنسان والشيطان، هم ضحية بعضهم بعضاً. فمن هو هذا الذي يستطيع أن يحكم،

ويفصل، ويُعطي لكلِّ دورَه وعملَه، ويحرّره من أمور كثيرة أُنيطت به؟

لقد كان الإنسان، بين الثلاثة، أكثر حرّية من الاثنين الآخرين؛ فيما يجب أن يكون الإنسان أقلّها. ولكنّه استطاع أن يرفع المسؤوليّة عن نفسه، فوضع الخيرَ في الله والشرّيرة في الشيطان. لقد كان أقوى منهما، إذ نقل الأحمال إليهما، وارتاح.

لا يستطيع أحدٌ أن يمتلك الله. وكذلك أيضاً لا يستطيع أحدٌ ادّعاء معرفة الحقيقة وكأنّها أُعطيت له. فالحقيقة ملك الجميع وهدف الجميع. والجميع يسعى إليها.. فالإنسان ليس كائناً مطلقاً ليملك كلّ شيء ويعرف كلّ شيء. وحده الكائن المطلق، أي الله، هو الملء والكمال والكلّ في الكلّ.

إستناداً إلى هذه المعطيات البديهية نقول إنّ الإنسان لا يمكنه احتكار الله، ولا احتكار الحرّية، ولا ادّعاء الحقيقة، ولا ادّعاء معرفة كلّ شيء. ولا يحقّ له أن يميّز نفسه عن سواه لظنّه أنّه على اتّصال مباشر بالله، وبالسماويات والماورائيات واللامرئيات والأخرويات...

كلّ هذا يدفعنا دفعاً إلى تبرئة الله من كلّ شيء،
وتحميل الإنسان مسؤولية كلّ شيء :

فالله بريء من صنع الأديان، وتنزيل الكتب،
وإرسال الأنبياء والرسل، وإنزال شرائع من السماء،
وتمييز شعب عن شعب، ونسبة أناس إليه دون أناس، أو
اختيار أمة دون أمة...

وكذلك الشيطان بريء من كلّ شرّ، لم يستطع
الإنسان تحمّله، فنسبه إليه.

ما بال الإنسان يجعل نفسه ضحية، ضحية الله
وضحية الشيطان؟! ضحية الله باتّهامه بصنع الأديان،
وضحية الشيطان باتّهامه بصنع كلّ شرّ في العالم؟!

الفصل ١١

حروب الله في اليهودية والإسلام

مقدمة

١ . بالرغم من أن الله أمر الإنسان أن «لا تقتل»^(١)، ولا يحق لك أن تقتل. وقد دان، منذ البدء، قايين الذي قتل أخاه هابيل، ولعنه، وطرده من الأرض «تائهاً شارداً». وهي، أي الأرض، لا تعود تعطيه ثمرها (تك ٤ / ١٠-١٢). وبالرغم من أن قايين عرف شره، واعترف به، إذ قال: إن «عقابي أشد من أن يُطاق»؛ وراح يستتر من وجه الله، خائفاً من أن يقتله أحد؛ ف «جعل الربُّ له علامةً لئلاَّ يضربه كلُّ من يجده» (٤ / ١٣ و ١٥).

(١) راجع: خر ٢٠/١٣، وتث ٥/١٧.

بالرغم من كل ذلك، فإن تاريخ البشرية دُشنَ بالقتل. ويقوم على حروبٍ لا تتوقف ولا تنتهي، حروب دائمة ومستمرّة، ومستعرة بين الأمم والبلدان .

٢ . وحتى الله سيحارب مع شعبه، وعن شعبه، بضراوة، وينصره على أمم غريبة، ليُعدّه إلى غدٍ يعمّ فيه السلام؛ ولكن سلامٌ لن يكون، على ما يبدو، قبل مجيء المسيح، وموته على الصليب الذي به، على ما يقول القديس بولس، قضى على العداوة بين الشعوب.

ولكن، وقبل أن نصل إلى هذا السلام المسيحاني الموعود، لا بدّ لنا من أن نجول مع الله في حروبه مع شعبه، وفي جهاده ضدّ كلّ من لا يعترف بشريعة التوراة وبشريعة الإسلام.

أولاً - حروب الله في العهد القديم

٣ . أكثر أسفار العهد القديم دلالةً على حروب الله مع اليهود، هو سفر القضاة. يختصر سفر القضاة مسيرة حروب الله ضدّ الأمم المجاورة لإسرائيل، كالكنعانيين، والفرزيين، والفلسطينيين، والصيّدونيين، والحويين، والحيثيين، والأموريين، والموابيين، واليبوسيين، وغيرهم... وذلك للاستيلاء على أرضهم، بعد ضربهم بحدّ السيف،

ومطاردتهم، والقبض عليهم، وإحراق مدنهم، وسبي نساءهم، وقتل أطفالهم...

٤ . منذ بداية السّفر، سأل بنو إسرائيل الربّ: «مَنْ مِنَّا يَصْعَدُ لِمُحَارَبَةِ الْكَنْعَانِيِّينَ؟ فقال الربّ: يهوذا يَصْعَدُ، لِأَنِّي إِلَى يَدِهِ أَسَلَمْتُ الْأَرْضَ. فقال يهوذا لشمعون أخيه: إصعدْ معي لِنُحَارِبِ الْكَنْعَانِيِّينَ؛ فَانْطَلِقَا. فَأَسْلَمَ الرَّبُّ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفَرِزِّيَّينَ إِلَى أَيْدِيهِمْ، فَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي بَارَقَ عَشْرَةِ آلَافِ رَجُلٍ» (١/١-٧).

٥ . ثُمَّ «حَارَبَ بَنُو يَهُوذَا أُورُشَلِيمَ، فَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا، وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ. وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، نَزَلُوا لِيُحَارِبُوا الْكَنْعَانِيِّينَ الْمُقِيمِينَ بِالْجَبَلِ وَالنَّقَبِ وَالسَّهْلِ» (١/٨-١٤).

ثُمَّ «انْطَلَقَ يَهُوذَا مَعَ شَمْعُونَ أَخِيهِ، فَضَرَبُوا الْكَنْعَانِيِّينَ الْمُقِيمِينَ بِصَفَاةٍ. وَاسْتَوْلَى يَهُوذَا عَلَى غَزَّةٍ وَأَرْضِهَا، وَأَشْقَلُونَ وَأَرْضِهَا، وَعَقْرُونَ وَأَرْضِهَا. وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يَهُوذَا، فَوَرِثَ الْجَبَلُ» (١/١٧-١٩).

٦ . «وَصَعَدَ آلُ يُوسُفَ أَيْضًا إِلَى بَيْتِ إِيلَ، وَكَانَ الرَّبُّ مَعَهُمْ. وَتَجَسَّسَ آلُ يُوسُفَ بَيْتَ إِيلَ... فَضَرَبُوا الْمَدِينَةَ بِحَدِّ السَّيْفِ» (١/٢٢-٢٣).

٧ . ثُمَّ أَسْلَمَ الرَّبُّ إِلَى أَيْدِي إِسْرَائِيلَ أَعْدَاءَهُ مِنَ الْمَوَابِيينَ، «فَضْرَبُوا مِنَ الْمَوَابِيينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ نَحْوَ عَشْرَةِ آلَافِ رَجُلٍ... وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ» (٢٨/٣-٢٩).

٨ . ثُمَّ أَلْقَى الرَّبُّ رَعْبًا عَلَى سَيْسَرَا، قَائِدِ جِيُوشِ كَنْعَانَ، وَجَمِيعِ مَرْكَبَاتِهِ، وَقَتَلَ جَمِيعَ جَيْشِهِ بِحَدِّ السَّيْفِ... وَسَقَطَ كُلُّ مَنْ كَانَ فِي جَيْشِ سَيْسَرَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَاقٍ» (١٥/٤-١٦)...

٩ . (وَقَالَ جَدْعُونَ أَحَدُ الْقَضَاةِ الْ١٢): «قُومُوا لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَسْلَمَ مَعْسَكَرَ مَدْيَنَ إِلَى أَيْدِيكُمْ. وَقَبَضُوا عَلَى قَائِدَيْ مَدْيَنَ، وَهُمَا عَوْرِبُ وَزِيبُ... وَطَارَدُوا الْمَدْيَنِيِّينَ، وَأَتَوْا بِرَأْسِ عَوْرِبَ وَزِيبَ إِلَى جَدْعُونَ فِي عِبْرِ الْأُرْدُنِّ» (١٥/٧ وَ ٢٥).

«وَكَانَ الَّذِينَ سَقَطُوا (مِنْ جَيْشِ مَدْيَنَ) مِئَةً أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ رَجُلٍ مُسْتَلِّ سَيْفٍ» (١٠/٨).

١٠ . ثُمَّ «أَسْلَمَ الرَّبُّ سِيحُونَ وَكُلَّ شَعْبِهِ إِلَى يَدِ إِسْرَائِيلَ، فَضْرَبَهُمْ، وَوَرِثَ إِسْرَائِيلُ كُلَّ أَرْضِ الْأَمُورِيِّينَ، سَكَّانِ تِلْكَ الْأَرْضِ» (٢١/١١).

١١ . ثُمَّ «عَبَرَ يَفْتَا حُ (أَحَدُ الْقَضَاةِ الْ١٢) إِلَى بَنِي عَمُّونَ لِيُحَارِبَهُمْ، فَأَسْلَمَهُمُ الرَّبُّ إِلَى يَدِهِ، فَضْرَبَهُمْ مِنْ

عَرَوْعِيرَ إِلَى مَدخلِ مَنِيَت (عشرين مدينة) وَإِلَى آبَلِ كراميم، ضربةٌ عظيمةٌ جدًّا. فذلَّ بنو عَمُونَ أمامَ بني إسرائيل» (١١/٣٢-٣٣).

١٢. ويبالغ كاتب سفر القضاة بقوله إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي حَارَبَ وَقَاتَلَ وَطَرَدَ، لَا شَعْبَهُ، أَوْ مَلُوكَ شَعْبِهِ، فيقول: «وَالآنَ فَإِنَّ الرَّبَّ قَدْ طَرَدَ الْأُمُورِيِّينَ مِنْ أَمَامِ شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. أَفَأَنْتَ تَطْرُدُهُمْ؟!» (١١/٢١-٢٤).

١٣. أسباطٌ عدَّةٌ من بني إسرائيل لم يطردوا الكنعانيين من مناطق استولوا عليها؛ بل أقاموا في وسطهم، وأخضعوهم للنُّسُخرة فقط. هذا ما لم يشأه الربُّ الذي أُنذِرهم بقوله: «وَأَنْتُمْ لَا تَقْطَعُوا عَهْدًا مَعَ أَهْلِ هَذِهِ الْأَرْضِ. دَمِّرُوا مَذَابِحَهُمْ» (٢/٢).

الذي فعله بنو إسرائيل هو أنَّهم، بإبقاء أممٍ غريبةٍ معهم، أخذوا عنهم عباداتهم الكافرة وعاداتهم المنكرة، فـ «عبدوا البعل، وتركوا إلهَ آبائهم، الذي أخرجهم من أرض مصر، وتبعوا آلهة الشعوب التي حولهم، وسجدوا لها. فأسخطوا الربَّ» (١١-١٢/٢) ... وكذلك «اتَّخَذُوا بَنَاتِهِمْ زَوَاجَاتٍ لَهُمْ، وَأَعْطَوْا بَنَاتِهِمْ لِبَنِيهِمْ» (٦/٣).

هذه الأمم تُركتُ بين بني إسرائيل، على ما يبدو،

لتكون عقاباً لمعاصيهم. وتُركت أيضاً لامتحان أمانتهم، وللمحافظة على روح القتال عندهم.

١٤. إلّا أنّ سفرَي الخروج (٢٣/٢٩)، وتثنية الاشتراع (٧/٢٢)، يأتیان بسبب آخر، وهو لكيلا تصير الأرض قفراً للوحوش الضارية؛ كما أنّ سفر الحكمة (١٢/٢٢-٣) يأتي بسبب آخر أيضاً، وهو إمهال السكّان القدماء لكي يتوبوا^(٢).

١٥. لقد استعمل اللّٰهُ، في حروبه مع الأمم الغريبة، وسائل غريبة، لا نفهم كيف أمر بها، وأجاز استعمالها. إنّها وسائل تنافي الأخلاق السليمة. وهي قد تُستعمل في الحروب بين بشرٍ أشرار. من هذه الوسائل:

١٦. حيلة أهود، أحد القضاة، الـ ١٢، الذي خبّأ سيفه تحت ثوبه، ودخل على عجلون ملك موآب، وقال له: «لي إليك كلامٌ من عند اللّٰهِ»... ثمّ «ضربه في بطنه»... حتّى مات (٣/١٥-٢٥)؛

١٧. ومقتل سيسرا، قائد جيوش كنعان، على يد ياعيل، التي طمأنّته بقولها: «مِلْ يا سيّدي، مِلْ إليّ. ولا تخفْ». فمال إليها، ودخل خيمتها. فغطّته بغطاء. لكنّ ياعيلَ

(٢) راجع حاشية (١٠) على قض ٢/٢٠، ص ٤٧١.

أَخَذَتْ وَتَدًّا مِنْ أَوْتَادِ الْخِيْمَةِ، وَأَخَذَتْ الْمِطْرَقَةَ بِيَدِهَا،
وَسَارَتْ إِلَيْهِ بِهَدْوٍ، وَضَرَبَتْ الْوَتْدَ فِي صَدْغِهِ حَتَّى انْغَرَزَ
فِي الْأَرْضِ.. وَكَانَ نَائِمًا مُنْهَكًا. فَمَاتَ» (٢٢-١٢/٤)؛

١٨. وَذَبِيحَةُ ابْنَةِ يَفْتَا ح، الَّتِي قَدَّمَهَا أَبُوْهَا يَفْتَا ح
مَحْرَقَةً لِلرَّبِّ، وَفَاءً لِنَذْرِ نَذَرِهِ (١١/٢٩-٤٠).

١٩. وَعَشَقَ شَمَشُونَ لِدَلِيلَةِ الَّتِي أَغْوَتْهُ، فَنَوِّمَتْهُ
عَلَى رُكْبَتَيْهَا، وَدَعَتْ رَجُلًا مِنَ الْفَلَسْطِينِيِّينَ، فَحَلَقَ سَبْعَ
خُصَلِ رَأْسِهِ. وَأَخَذَتْ تَسِيطِرُ عَلَيْهِ، وَقَدْ فَارَقَتْهُ قُوَّتُهُ.
وَقَالَتْ لَهُ: «الْفَلَسْطِينِيُّونَ عَلَيْكَ، يَا شَمَشُونَ».. فَقَبِضَ عَلَيْهِ
الْفَلَسْطِينِيُّونَ وَفَقَّأُوا عَيْنَيْهِ، وَنَزَلُوا بِهِ إِلَى غَزَّةَ، وَأَوْثَقُوهُ
بَسَلْسَلَتَيْنِ مِنْ نُحَاسٍ. وَكَانَ يُدِيرُ الرَّحَى فِي السَّجْنِ»
(٢٣-٤/١٦).

٢٠. لَقَدْ «صَنَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ
الرَّبِّ»^(٣)؛ «وَتَرَكُوا الرَّبَّ، إِلَهَ آبَائِهِمْ، الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ
أَرْضِ مِصْرَ، وَتَبِعُوا آلِهَةً أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّتِي
حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا... وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتَارُوتَ»^(٤)؛

(٣) رَاجِعْ : قُضِ ٢/١١ و ٣/٧ و ٤/١٢ و ٤/١٦ : ١/٦ و ١٠/٦ : ١٣/١.

(٤) رَاجِعْ : قُضِ ٢/١١ و ٣/١٣ و ٧/١٠ : ٦/١٠.

ف «غضب الربُّ على إسرائيل، فأسلمهم إلى أيدي السالبين، فسلبوهم، وباعهم إلى أيدي أعدائهم، الذين حولهم، ولم يَقْدروا، بعد ذلك، أن يثبُتوا أمامَ أعدائهم»^(٥).

٢١. لقد كانت هذه الحروب، التي شاءها الله، للمحافظة على الأراضي التي استولى عليها الإسرائيليون، ولاستئصال الأمم الغريبة من بينهم، ولتدمير آلهتهم وحضاراتهم، وللابتعاد عن عباداتهم الكافرة وعاداتهم السيئة.

وكلّ هذا كان للدلالة على أن الربَّ هو الذي يعضدهم ويخلصهم، ويطارد الشرَّ والأشرارَ من أمام وجهه في أي مكان، وبأية وسيلة، إلى آخر الدهر.

٢٢. مع العهد القديم، نحن مع حروبِ إلهية، دينية، مقدّسة ومتتالية: من مقتل قايين على يد أخيه هابيل، إلى مذابح المصريين زمنَ الخروج، إلى غزو أرض الميعاد أيامَ القضاة، إلى حروب داود ضدَّ شاول، إلى قتال مملكتي يهوذا وإسرائيل الشقيقتين؛ إلى الحروب التدميرية ضدَّ الأمم الغريبة^(٦)... حتّى إنّنا نستطيع أن نقول بأنّ ليس من

(٥) راجع: قض ٢/١٤: ٣/٨: ٤/٢: ٦/١: ١٠/٧.

(٦) مثل الكنعانيين، والفِرزيين، والفلسطينيين، والصّيدونيين، والحويين، والحثّيين،

حقبة تاريخية واحدة سلمت من الحروب الإلهية.

٢٣ . وأفزع من هذا، أن الحروب كلها كانت بأمر من الله نفسه. هكذا عبّر الكتاب عن ذلك فقال :

٢٤ . «الربُّ رجلٌ حَرْبٍ» (خر ١٥ / ٣). و«الربُّ يحاربُ عنكم وأنتم هادئون» (خر ١٤ / ١٤): «الربُّ... ضاربٌ مِصْرَ في أبكارها... مُخْرِجٌ إِسْرَائِيلَ مِنْ بَيْنِهِمْ... بيدٍ قَوِيَّةٍ وَذِرَاعٍ مَبْسُوطَةٍ...» (مز ١٣٦ / ١ و ١٠-١٢).

٢٥ . الله نفسه يشاء تدمير المدن، وقتل كل حي فيها، وبأية وسيلة كانت: «ولتكن المدينة (أريحا)، بكل ما فيها، محرمة للرب. وحدها، راحاب الزانية، (مع أنها زانية)، تنجو مع جميع من معها، لأنها أخفت الرّسولين اللّذين بعثناهما... وحرّموا كل ما في المدينة، من الرّجل وحتى المرأة، ومن الشاب وحتى الشيخ، حتى البقر والغنم والحمير، فقتلوهم بحدّ السّيف» (يش ١٧ / ٦ و ٢١).

٢٦ . ولن نعجب، والحال هذه، من مزامير وصلوات كثيرة، تتوجّه إلى الله من أجل إبادة أعدائه وأعداء شعبه : «برحمتك تدمر أعدائي، وتهلك جميع الذين

يُضَايِقُونَ نَفْسِي» (مز ١٤٣ / ١٢)؛ «لِيرْتَدَّ الشَّرُّ عَلَى مَنْ يَتَرَصَّدُونَ لِي. بِحَقِّكَ يَا رَبِّ دَمَّرْهُمْ» (مز ٥٤ / ٧). بل إنَّ صاحبَ المزامير يدلُّ على قلبٍ حقودٍ ضدَّ أعداءِ الله وأعداءِ شعبه فيتوجَّه إلى الله: «أَلَمْ أُبْغِضْ يَا رَبُّ مُبْغِضِيكَ؟ أَلَمْ أُمِقْتُ مُقَاوِمِيكَ؟ إِنِّي أَبْغَضْتُهُمْ بُغْضًا تَامًّا. وَصَارُوا لِي أَعْدَاءً» (مز ١٣٩ / ٢١-٢٢).

٢٧. بعد هذا المناخ الحربي، نتساءل اليوم، عمَّا إذا كان إله العهد القديم هو نفسه إله العهد الجديد؟! لقد سبق لمرقيون (ت ١٦٠)، بسبب ذلك، وألغى العهد القديم من مجموعة الكتب المقدَّسة. وسبق للمسيحيين أيضاً، وألغوا صلوات كثيرة ومزامير عديدة من كتبهم الليتورجية، تكثر فيها تعابير الحرب والعنف والحقد والبغض والتدمير.

٢٨. لهذا، وحتى نقرأ جيِّداً نصوص «حروب الله» في العهد القديم، يجب أن نتذكَّر أمرين ثابتين في سلوك الله مع البشر :

الأمر الأوَّل - إنَّ إله العهد القديم يتصرَّف مع شعبه كـ «مربٍّ» يعرف تمام المعرفة أنَّه لا يستطيع أن يعلم أولاده بسرعة، وبين يومٍ وآخر. إنَّه «إله طویلُ الأناة» (خر ٣٤ / ٦). إنَّه يَرْضَى بشعبٍ يقبلُ سرَّ حبه له ببطء. ولهذا،

وبعد حروب كثيرة، سوف يفهم إسرائيل بأن الحل النهائي ليس في الثأر ومبدأ الدم بالدم، وليس في أن يكون اسم الله «إله حرب» (خر ١٥ / ٣)؛ بل سوف يكون اسمه «محطم الحروب» (يهوديت ٩ / ٧)، «إله يمحق الحروب» (يهوديت ١٦ / ٢)؛ بل سوف يتميّز، في عهد يسوع، بالمحبة. واسمه الحقيقي: «الله محبة»، «ومن لا يحب ما عرف الله» (١ يو ٤ / ٨).

الأمر الثاني - حتى يستطيع شعب الله أن يترقى ويتطور عبر التاريخ، عليه أن يعيش «منفصلاً» عن شعوب عديدة يعيش بينها، فلا يسلك مسلكها، ولا يتخلق بأخلاقها، ولا تتملك فيه عاداتها: فمنذ البداية فصل الله إبراهيم عن أرضه وعشيرته؛ ومنعه عن أن يضحّي بابنه مثل الكنعانيين الذين يضحّون بأبنائهم إرضاءً للآلهة... وقد لزم لذلك وقت طویل حتى يتعلّم إسرائيل أنه يستطيع أن يتخلّى عن عادات الوثنيين من دون إبادتهم. وكثير من رجالات العهد القديم فهموا ذلك، فحاربوا العنف والثأر والحروب على أنواعها.

٢٩. الحرب، في العالم، في إسرائيل أو في شعوب الأرض قاطبة، حدثٌ مأسويّ تدميريّ؛ ولكنّه عاديّ

مألوف. إنّه، في جميع أشكاله، وجهٌ من وجوه الحياة البشرية على الأرض : فكما الخيرُ يقابل الشرَّ، والنورُ الظلمة، والحياةُ مقابل الموت... هكذا هي الحرب مقابل السلام. إنّ الأضداد في هذا الكون تتحكّم بالكائنات كلّها.

إنّ الله يريد الخيرَ والنورَ والحياةَ والسلام والسعادة للعالم؛ ولا يريد له الشرَّ والظلمة والموتَ والحربَ والهلاك. غير أنّ هذه كلّها موجودة في حياة البشر، وتؤلّف جزءاً من تاريخهم. وهم في جهادٍ دائم لينتصر السلام على الحرب، والحياة على الموت، والخير على الشرّ... فلكأنّ الحربَ جهْدٌ لا بدّ منه في الطريق إلى السلام. بل هي القاعدة التي عليها يرتكز السلام.

٣٠. لقد كان العالم الوثنيّ القديم يتخيّل حروباً ضارية بين الآلهة، يكون فيها انتصارٌ بعضهم على بعض... وما حروب البشر، بعضهم ضدّ بعض، سوى امتداد لحروب آلهتهم. فلكأنّ العنفَ ابتداءً، على ما يبدو، في السماء، بين الآلهة؛ ومنها نزل إلى الأرض حيث طارد الآلهة بعضهم بعضاً، واقتسموا الأرض والنّاس في ما بينهم.

ومع أنّ إسرائيلَ وضعَ حدّاً لتعدّد الآلهة، فهو لا يزال يحتفظ بصورةٍ لإله العساكر السماويّة، ولله المقاتل،

الذي تطيب له الحروبُ على أعدائه، وأعداء شعبه، بجند لا يُحصى عددهم. فهو، كما يحلو للكتاب أن يسمّيه: «إله الصباؤوت»، أو «ربّ القوّات»^(٧)...

٣١. منذ البدء وعد الله شعبه بوطنٍ في أرض الميعاد. هذا الوطن لم يدخله بالسلم والمفاوضات، بل بالغزو والقتال: «ملاكي يسيرُ أمامك، ويدخلك أرضَ الأموريّين والحثيّين، والفرزيّين، والكنعانيّين، والحويّين، واليبوسيّين، وأبيدهم... تُحطّمُ آلهتهم تحطيمًا، وتُكسّرُ أنصابها تكسيرًا... وأرسلُ رُعبي أمامك، وألقي رُعبي على كلّ الشعوب التي تدخلُ إليها. وأجعلُ جميعَ أعدائك مُدبرينَ أمامك. وأرسلُ الزنابيرَ أمامك، فتطرّدُ الحويّين والكنعانيّين والحثيّين من أمام وجهك.. وأسلمُ إلى أيديكم سكّانَ الأرض فتطرّدُهم من أمام وجهك...» (خر ٢٣/٢٣-٣١).

غريب أمر هذا الإله التوراتيّ الدمويّ، الذي يغلب على ألوهيّته سفك الدماء، ودمار الأرض، وقتل السكّان، وطرّد الجميع من أمام وجهه!!

٣٢. والحروب، على ما يبدو، مقدّسة ومشروعة؛

(٧) يرد تعبير «إله الصباؤوت» في العهد القديم، حوالي ٣٠٠ مرّة؛ ومرّة واحدة في العهد الجديد (رو ٩/٢٩). راجع تعليق على ١ صم ١/٣+.

حروب هجوميّة وتدميريّة لحضارات الأمم الغربيّة، بحجّة أنّها حضارات فاسدة، تدين بتعدّد الآلهة، وبتأليه قوى الطبيعة، ممّا يشكّل خطراً على إيمان إسرائيل. ولذا يوافق الله على إبادتها: «لا تقطعْ لهم، ولا لآلهتهم عهداً. ولا يُقيموا في أرضك كيلا يجعلوك تخطأُ إليّ بأن تعبدَ آلهتهم، فيكون ذلك لك فحاً» (خر ٢٣ / ٢٢-٢٣).

ويقول أيضاً: «لا تقطعْ معهم عهداً، ولا ترأفْ بهم. ولا تُصاهرهم. ولا تُعطِ ابنتك لابنه. ولا تأخذِ ابنته لابنك؛ لأنّه يُبعدُ ابنك عن السَّيرِ ورائي، فيعبدَ آلهةً أخرى. فيغضبُ الربُّ عليكم، ويبيدك سريعاً. بل اصنعوا بهم هكذا: تدمرون مذابحهم وتكسرون أنصابهم، وتُحطّمون أوتادهم المقدّسة، وتُحرقون تماثيلهم بالنّار، لأنّك شعبٌ مقدّسٌ للربِّ إلهك...» (تث ٧ / ١-٧).

٣٣. وهكذا، وللدفاع عن وحدانيّة الله، وعن حقوق إسرائيل ومبادئه وعاداته وطقوسه، كانت الحروبُ بين الله من جهة، والأمم الغربيّة من جهة ثانية، طاحنةً مستمرّة ومتتالية. وكان النّصرُ فيها، طبعاً، لله ولشعبه. إنّهُ نصر سياسيٌّ ودينيٌّ معاً^(٨)...

(٨) راجع: مز ٢-٨؛ ٤٥ / ٤-٦؛ ٦٠ / ٧-١٤؛ ١١٠...

أمّا نحن فلسنا نعلم كيف نميّز، في هذه الحروب كلّها، حقّ الله من منافع إسرائيل... وأغلب الظنّ أنّ منافع إسرائيل كانت هي الأولى.

٣٤. واللّه، الذي حارب من أجل إسرائيل، سوف يرتدّ على إسرائيل إذا ما خان إسرائيل العهدَ وارتكب المعاصي. سوف يحاربه بالقوّة ذاتها التي حارب بها أعداءه. لقد حدث ذلك في زمن مكوثه في البريّة (عد ١٤ / ٣٩-٤٤)، وفي عهد يشوع بن نون (يش ٧ / ٢٠٠)، وفي زمن القضاة (١ صم ٤)، وفي ملكيّة شاول (١ صم ٣١)... وانتهى الأمر بإسرائيل ويهوذا إلى دمار شامل.

إلى هذا أشار الأنبياء : لقد ضربَ الله شعبه الخاطيء (إش ١ / ٤-٩)، وسمح للغزاة بغزوه^(٩)، وأجاز لملوك الأمم بأن يستعبدوه (إر ٢٥ / ١٤-٣٨)، وأسلم أرضه إلى يد نبوكدنصر (إر ٢٧ / ٦-٨).

٣٥. هذه الحروب بين البشر لن تزول عن وجه الأرض، إلّا بقتالٍ ضارٍ بين الخير والشرّ، المتمثّل بالشیطان الذي يشنّ هجومه على الله ذاته^(١٠).

(٩) راجع : إر ٤ / ٥ : ١٧ / ٦ : ٢ / ٥ : إش ٢٦ / ٥-٣٠.

(١٠) راجع : دا ٧ / ١٩-٢٥ : ١١ / ٤٠-٤٥ : يهوديت ٨ / ٣.

ثانيًا - الحرب في العهد الجديد

١. أمّا يسوع فينبذ كلّ عنفٍ في الدفاع، حتّى عن النفس^(١١)؛ كما يرفضُ رفضاً قاطعاً أن يُبادل العنف بالعنف، والبغض بالبغض؛ بل علّم تعليمًا صريحاً واضحاً لا لبس فيه، بأنّ شريعة «السنّ بالسنّ والعين بالعين» قد انتهت؛ وجاء محلّها شريعة «أحبّوا أعداءكم، وصلّوا من أجلِ مُضطهديكم» (متى ٥/٣٨ و٤٤؛ لو ٦/٢٧-٣٠)...

٢. لقد أصبحت «حروب اللّٰه» حروباً روحيّة، ضدّ الشيطان، وضدّ العالم، وضدّ الشرّ. والشيطان، الذي انتصر على يسوع في الحكم عليه بالصلب والموت، إنّما حَكَمَ هو على نفسه بهزيمةً أبديةً. ومن الغرابة أن يكون صليب الذلّ والعار عند يسوع تأكيداً لنصره: «حانَ لهذا العالم أن يُدان، وحانَ لرئيسه أن يُنبذ»^(١٢).

٣. وبعد القيامة، سوف تحضر قوى الشرّ، ويُعريّها المسيح القائم من بين الأموات من قواها، ويفضح أمرها جَهراً، ويجرّها بصليبه في موكبه الظافر^(١٣). لقد

(١١) رَاجع : متى ٥٢/٢٦؛ يو ١٨/١١.

(١٢) رَاجع : يو ١٢/٣١؛ ١٤/٣٠؛ ١٦/١١؛ لو ١٨/١٠...

(١٣) قول ١٥/٢: تعبير حربيّ ملحّميّ، يشبّه ظفر يسوع بصليبه على قوى الشرّ «مثلاً يجرّ القائد الروماني الظافر، في موكب ظفره، أعداءه عبيداً له أسرى أنلاء» (تفسير

غلبَ يسوعُ العالمَ بحبِّه له، وبموتِه من أجله : «ثَقُوا. فَأَنَا غَلَبْتُ الْعَالَمَ»^(١٤)؛ ونحن أيضاً سوف «نغلبُ بالذي أَحَبَّنَا» (رو ٨/٣٧).

٤ . بهذا النَّصرِ المبين، بصليبِ يسوع وموته، لم تعدِ الحروبُ من تعاليم المسيحية، ولا من حالات الكنيسة في هذا العالم. الكنيسة تدعو إلى سلام المسيح، الذي هو سلام مع الله، ومع كلِّ إنسان. هذا السلام ليس من نتاج هذا العالم. لهذا، فإنَّ الذين يؤمنون به، سوف يبغضهم العالم؛ «لأنَّ كلَّ مولودٍ من الله يَظْفَرُ على العالم.. ومَنْ يظْفَرُ على العالم إلاَّ الذي يُؤْمِنُ أَنَّ يسوعَ هو ابنُ الله!» (١ يو ٥/١-٥).

٥ . والقتالُ، بعد اليوم، لن يكون ضدَّ أمم غريبة وآلهة تتصارع، كما كان في العهد القديم؛ بل هو قتال ضدَّ أعداء ليسوا من لحم ودم. إنَّه قتالٌ ضدَّ الشيطان وأعوانه^(١٥)، وضدَّ هجمات قوى العالم الشريرة المتمثلة بروما بابل الجديدة^(١٦).

إنجيليون على قول ١٥/٢).

(١٤) يو ١٦/٣٣؛ راجع: يو ١٢/٣١؛ ١٤/٢٧ و ٣٠؛ ١ يو ٤/٥...

(١٥) راجع: أف ٦/١٠-١٢؛ ١ بط ٥/٨-٩.

(١٦) راجع: رؤ ١٢/١٧-١٣/١٠؛ ١٧.

٦ . والأسلحة التي يتسلَّح بها المسيحيّ ليست
أسلحة من حديدٍ ونار، بل هي أسلحة من نور: «سلاح الله»
(أف ٦/١١ و١٣)؛ و«ترس الإيمان» (١٦/٦)، و«سيف
الروح» (١٧/٦)؛ و«خوذة الخلاص» (١ تس ٥/٨).

٧ . يستطيع العالم، في الظاهر، أن يشنَّ هجوماً
على المسيحيّين، وأن يضطهدهم ويقتلهم (رؤ ٧/١١-
١٠)؛ ولكنّه يحوز عليهم نصراً موقّتاً. إنّ نصرَ يمهّد لفوزٍ
أبدِيٍّ ولقيامة ممجّدة. وإذا ما كان للمسيحيّين من نصرٍ
على هذا العالم، فهم على مثال معلّمهم، ينتصرون عليه
بالاستشهاد: «ظفروا عليه بدم الحمل، وبكلمة شهادتهم،
وتخلّوا عن أنفسهم حتّى الموت» (رؤ ١٢/١١).

ثالثاً - مع الإسلام عودة إلى اليهوديّة

١ . مع الإسلام، عادت شريعة «النفس بالنفس»
والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والسنّ
بالسنّ^(١٧). لقد عادت الحروب الدينيّة، وحروب الله ضدّ
الذين لا يؤمنون بوجوده، أو يشركون بوحداً نيّته. يأمر الله

في القرآن بقتال المشركين أينما وجدوا. وآيات قتالهم كثيرة، صريحة، واضحة. لا تحتاج إلى تفسير أو تأويل. بها يأخذ المسلمون، وعليها يعتمدون في مواقفهم من المشركين والكافرين كافة. وإذا ما هادنوا اليوم قليلاً فلأن مانعاً ما يمنعهم؛ أو لأن قلب الإنسان فيهم يبدو أكثر رحمة من قلب الله، والإنسان أكثر تسامحاً من الله الذي يُجيز قتلهم، وأكثر رافة من النبي نفسه الذي كان يقاتل من أجل حقوق الله لا من أجل حقوق الإنسان.

٢. جاء في القرآن: «وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقَفْتُمُوهُمْ» (أي وجدتموهم). وأخرجوهم من حيث أخرجوكم. والفتنة (أي الكفر والشرك) أشد (أي أكثر خطراً) من القتل^(١٨). وقال أيضاً: «فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقَفْتُمُوهُمْ. وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» (٤ / ٨٩). ورد: «فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقَفْتُمُوهُمْ» (٤ / ٩١). وقال: «فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ، حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ (أي أكثرتم فيهم القتل) فَشُدُّوا الْوَتَاقَ (أي ما يوثق ويقيّد به الأسرى)» (٤٧ / ٤). وقال أيضاً: «فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ. إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ... قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَيُخْزِهِمْ،

وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ، وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ» (١٢/٩) -
 (١٤). وَأَيْضاً: «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
 الْآخِرِ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ
 الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ
 صَاغِرُونَ» (٢٩/٩). وَأَيْضاً: «وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
 يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً» (٣٦/٩). وَأَيْضاً: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا!
 قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ (أَيِ الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ).
 وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً (شِدَّةً)» (١٢٣/٩).

٣ . الجهاد، إذاً، هو المعول عليه لانتشار الإسلام.
 وَمَنْ يَتَوَلَّ عَنْ الزَّحْفِ يَوْمَ يُعْلَنُ الْجِهَادُ يَرْتَكِبُ كَبِيرَةً،
 وَيُحْسَبُ فِي عِدَادِ الْكَافِرِينَ، وَهُوَ مِنَ الْهَالِكِينَ فِي نَارِ
 جَهَنَّمَ. وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ قِتْلُهُ شَرٌّ قِتْلَةً: «وَمَنْ يَتَرَدَّدْ مِنْكُمْ عَنْ
 دِينِهِ فَيِمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ» (٢/٢١٧). وَالَّذِينَ يَقْعُدُونَ عَنِ
 الْقِتَالِ مَنَافِقُونَ: «وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا
 قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ دَافِعُوا، قَالُوا: لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا
 لَا تَبْعُنَاكُمْ. هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ» (٣٠/
 ١٦٧-١٦٩).

٤ . المسلمون جميعاً مدعوون إلى القتال، صغاراً
 وكباراً، أقوياء وضعفاء، أغنياء وفقراء، رجالاً ونساء.

وعليهم أن يستنفروا بعضهم بعضاً للزحف والقتال: «انْفُرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا. وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ» (٩/ ٤١). ولا يعفى إلا مَنْ كان به عرج، أو عمى، أو مرض. قال: «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ، وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ، وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ... وَمَنْ يَتَوَلَّى يُعَذِّبْهُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا» (٤٨/ ١٧). وباستطاعة النساء أيضاً الاهتمام بالجرحى، وتشجيع المقاتلين، وترهيب الأعداء، ولمّ النصال الصالحة للاستعمال من جديد، وتوفير الراحة والمتعة للمجاهدين بتسليتهم ومجامعتهم...

٥. ليس على المسلم أن يخاف كثرة الأعداء، أو أن يتراجع عن القتال، أو أن يتولّى عن الزحف، لأنّ الاتكال لن يكون على قدرته الذاتية، بل على قدرة الله وبطشه. وإذا ما تولّى أحدٌ عن القتال فلخدعة في الهجوم، أو لانحيازه إلى فئة مقاتلة أخرى، لا لهرب أو إدبار: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا! إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا، فَلَا تُولُوهُمْ الْإِدْبَارَ. وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ. وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» (٨/ ١٥).

٦. وءاء فف الأءاءف النبوّة فف الءءّ على القءال والءوءة إلى الءهء فف سبفل اللّٰه؁ قال الرسول :
- ١ - " إنّ سفاة أمّف الءهء فف سبفل اللّٰه " (١٩)؛
- ٢ - " ورهبانفّ هءه الأمّة الءهء " (٢٠)؛
- ٣ - " الءّ ءهء كلّ ضعف " (٢١)؛
- وفف أنّ الءهء إنّما هو ءّ المؤمنف؁ قال:
- ٤ - " رأس الأمر الإسلام وعموءه الصلاة وءروة سنامه الءهء " (٢٢)؛
- ٥ - " إنّ الءرة لا ءنقطع ما كان الءهء " (٢٣)؛
- ٦ - " والءهء ماضف منذ بعءنف اللّٰه " (٢٤)؛
- ٧ - " ءاهءوا مع كلّ أمفر " (٢٥)؛

(١٩) سنن ابن ءاوء؁ باب الءهء؁ ٦.

(٢٠) مسنء ابن ءنبل؁ ٣/٢٦٦.

(٢١) سنن ابن ماجة؁ باب المناسك؁ ٢٨؛ سنن النسائف؁ باب الءّ؁ ٤؛ مسنء ابن ءنبل؁ ٢/٤٢١؛ ٦/٢٩٤ و ٣٠٣ و ٣١٤.

(٢٢) سنن الترمذف؁ باب الإيمان؁ ٨؛ باب فضائل الءهء؁ ٢٢؛ سنن ابن ماجة؁ ١٢؛ مسنء ابن ءنبل؁ ٥/٢٣١ و ٢٤٦ و ٢٨٤ و ٣٨٥ و ٢٨٧.

(٢٣) مسنء ابن ءنبل؁ ٤/٦٢؛ ٥/٣٧٥.

(٢٤) سنن ابن ءاوء؁ باب الءهء؁ ٣٣.

(٢٥) سنن ابن ماجة؁ باب الءنائز؁ ٣١؛ سنن ابن ءاوء؁ باب الءهء؁ ٢٣.

- ٨ - " لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد " ^(٢٦)؛
- ٩ - " تَكْفَلَ اللَّهُ بِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ... بِأَنْ يُدْخِلَهُ
الْجَنَّةَ " ^(٢٧)؛
- ١٠ - " إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ " ^(٢٨).
- وفي فضل الجهاد، جاء على لسان الرسول :
- ١١ - " الجهاد أفضل العمل " ^(٢٩)؛
- ١٢ - وقال: " دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ. قَالَ: لَا
أُجِدُهُ " ^(٣٠)؛
- ١٣ - وقال: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ
لِلْمُجَاهِدِينَ " ^(٣١)؛

(٢٦) صحيح البخاري، باب الجهاد، ٢٧/١؛ مسند ابن حنبل، ٢٢٦/١ و ٣١٦ و ٣٥٥؛
٢٢/٣ و ٤٠١؛ ١٨٧/٥؛ ٤٦٦/٦؛ باب الإيمان، ٤١؛ باب الصيد، ١٠؛ باب المغازي،
٥٣؛ صحيح مسلم، باب الإمارة، ٨٥ و ٨٦؛ سنن ابن داود، باب الجهاد، ١٢؛ سنن
الترمذي، باب السَّيْرِ، ٣٢؛ سنن النسائي، باب النَّيِّعَةِ، ١٥؛ سنن الدارمي...
(٢٧) صحيح البخاري، باب التوحيد، ٢٨ و ٣٠؛ باب الجهاد، ٢؛ باب الخمس، ٨؛ صحيح
مسلم، باب الإمارة، ١٠٤؛ سنن النسائي، باب الجهاد، ١٤؛ سنن ابن ماجه، باب
الجهاد، ١؛ الموطأ لابن مالك، باب الجهاد، ٢.
(٢٨) مسند ابن حنبل، ٤٥٦/٣ و ٤٦٠؛ ٣٨٧/٦.
(٢٩) بخاري، جهاد، ١؛ إمارة ١١٠؛ حجّ ٤؛ صيد ٢٦؛ ترمذي، فضائل الجهاد ١؛ ٢؛
نسائي، جهاد ١٧؛ حجّ ٤؛ حنبل ٢/٣٤٤ و ٤٢٤ و ٤٣٨ و ٤٥٩ و ٤٦٥.
(٣٠) بخاري، جهاد ١؛ مسلم، إمارة ١١٠؛ ترمذي، فضائل الجهاد ١؛ ٢؛ نسائي، جهاد
١٧؛ حنبل ٢/٣٤٤ و ٤٢٤ و ٤٣٨ و ٤٥٩ و ٤٦٥.
(٣١) البخاري، الجهاد ٤؛ النسائي، الجهاد ١٨؛ حنبل ٢/٣٣٥ و ٣٣٩.

١٤ - وَسُئِلَ النَّبِيُّ: "أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ" (٣٢)؛

١٥ - وَقَالَ: "لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْجِهَادَ مَقْيَاساً لَصَدَقِ إِيمَانُ الْمُسْلِمِ" (٣٣).

والحديث النبويّ الشهير، الذي رواه المحدثون الخمسة، عن أبي هريرة عن النبيّ، هو خير دليل على شرعية الجهاد ووجوبه على كلّ مسلم ومسلمة. إنّهُ أمرٌ إلهيٌّ جاء النبيّ به من عند ربّ العالمين. قال رسول الله:

١٦ - "أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَمَنْ قَالَهَا عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابِهِ عَلَى اللَّهِ" (٣٤).



(٣٢) البخاري، الجهاد ٢.

(٣٣) أنظر سورة الحجرات ١٥/٤٩: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ».

(٣٤) وبصيغة أخرى عن أنس بن مالك عن النبيّ قال: "أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ حَرَمْتُ عَلَيْهِمْ دِمَاؤَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا. لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ" (عن التاج ٤/٣٢٦).

٧. وجاء في السيرة النبوية أنّ الجهاد متواصل، والغزوات مستمرة، والحرب على الوثنيين والمشركين والمنافقين واليهود والمسيحيين لا هوادة فيها. هكذا كانت حياة النبي محمد بعد هجرته إلى يثرب، حيث قضى عشر سنين في القتال والجهاد في سبيل الله والإسلام.

وفي كتب السيرة أيضاً أنّ النبي قام، هو وأصحابه، في ٢٧ غزوة، و ٤٠ سرية، و ٢٤ بعثة عسكرية، أي ما مجموعه ٩١ معركة، بمعدل ٩ كل سنة. ولهذا اعتبر بعض المسلمين، ومنهم الخوارج، الجهاد فرضاً واجباً يتحتم على كل مسلم أن يؤديه؛ لأن النبي قضى جل حياته فيه، وفي كل أنواعه، من جهاد في التبشير والتبليغ والإنذار في سبيل الدعوة في مكة؛ إلى جهاد في القتال والغزوات والحروب في المدينة في سبيل الله ونشر الإسلام حتى لا يبقى إلا من آمن وقال: «لا إله إلا الله»، ومن قال بالإسلام ديناً وحيداً في الجزيرة العربية كلّها.

والجهاد، عند المسلمين، كما يقول السيد سابق، هو، في النتيجة، «أفضل من تطوع الحج والعمرة، وأفضل من تطوع الصلاة والصيام... فيه ينتظم كل لون من ألوان العبادات... فيه من عبادات الباطن: الزهد في الدنيا،

ومفارقة الوطن، وهجرة الرغبات، حتّى سمّاه الإسلام: "الرهبانيّة"، في حديث: "رهبانيّة أمّتي الجهاد" ... وفيه من عبادات الظاهر: التضحية بالنفس والمال وبيعهما لله. وهو ثمرة من ثمار الحب والإيمان واليقين والتوكّل، في قوله: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ» (٩/ ١١١) (٣٥).

٨. وإذا كان هدف الإسلام هداية البشريّة لاعتناق دين الله، ودين الله هو الإسلام، فلا بدّ، إذًا، «للدولة الإسلاميّة من التوسّع والسّعي باستمرار إلى ضمّ شعوب أخرى. ومنذ البدء كان الشاغل الأوّل الذي استأثر باهتمام الفقهاء هو قانون الحرب، أي الجهاد» (٣٦).

٩. لهذا السبب تأبى العقيدة الإسلاميّة «قبول تعايش الطوائف غير الإسلاميّة معها إلّا ككيانات ثانويّة، وذلك لأنّها بطبيعتها، كدولة عالميّة، لا تتحمّل وجود دولة أخرى غيرها. وكان خلفاء الرسول الأوائل، بعد أن أصبحت الكلمة العليا للإسلام في الجزيرة العربيّة، قد عقدوا العزم

(٣٥) السّيّد سابق، فقه السنّة، ٢/ ٦٢٨.

(٣٦) خدوري، القانون الدولي، ص ١٤.

على الماضيّ في فتوحاتٍ لا نهاية لها باسم الإسلام، فأقبلوا على الجهاد كوسيلة لنشر راية الدين في العالم»^(٣٧).

١٠ . وإذا كان هدف الإسلام الأقصى هو شمول العالم، فإنّ دار الإسلام كانت من النّاحية النظريّة في حرب على الدّوام مع دار الحرب... والجهاد هو إذاً أداة لتحويل دار الحرب إلى دار الإسلام...

١١ . «صحيح أنّ المؤمن الذي يحافظ على الأركان الخمسة يوعدّ بالجنّة، غير أنّ أيّاً من هذه الأركان لا يضمن له الجنّة كما يضمنها اشتراكه في الجهاد».

١٢ . وعلى المسلمين أن يظلّوا مجاهدين حتّى نهاية العالم، و«حتّى ذلك الحين فإنّ الجهاد سيبقى، بشكلٍ أو بآخر، فرضاً قائماً ملزماً للأمة الإسلاميّة بأسرها. وهذا يعني أنّ بقاء دار الحرب تحرّمه الشريعة الإسلاميّة، وأنّ دار الإسلام ملزمة بالجهاد على الدوام، حتّى تزول دار الحرب من الوجود»^(٣٨)...

(٣٧) خدوري، السلم والحرب، ص ٧٥.

(٣٨) خدوري، المرجع نفسه، ص ٨٩.

١٣ . يقول القاسمي: «المجاهدون هم مادّة الإسلام، وهم روح الأمّة، ولحمها ودمها وعظمها، وكلُّ حجيرة فيها. ولولا هم لما قامت للإسلام وللمسلمين قائمة، ولما سمع للناس في مشارق الأرض ومغاربها رسالة الله إلى خاتم أنبيائه، ولا درّوا بها... والمجاهدون هم أعزّ طبقة في الأمّة، وأعلاها، وأرقاها، وأقربها إلى الله... إنّ صورة البطولة بأشكالها المختلفة، وإنّ صورة التضحية المثلى، تتجلّى في الجهاد»^(٣٩).



١٤ . في الختام نقول: إنّ الإسرائيليين جعلوا الله يقاتل شعوب الأرض من أجلهم؛ والمسيحيين رأوا أنّ المسيح جاء ليصالح شعوب الأرض بعضها مع بعض، ويكسر العداوة بينها بصليبه؛ وعاد المسلمون إلى إله التوراة يدعو إلى القتال والحرب والجهاد من أجله.

١٥ . ولكن، والحق يُقال، ليس من شك أنّ في العهد القديم دعوة إلى المحبة بين البشر؛ إلّا أنّها دعوة للأفراد ليعيشوا بسلام بعضهم مع بعض، وليس دعوة إلى قبول

(٣٩) القاسمي، الجهاد، ص ٣٣٩.

الأمم الغريبة. فمحبّة الغرباء هي ممّا علّم يسوع بأنّ «الله يُشرق شمسَه على الأبرار والأشرار»؛ لأنّ البشر جميعهم، في تعاليمه، أبناء الله.

١٦. وكذلك أيضاً نجد القرآن يكلّمنا عن إله رحمن، رحيم، ودود، تواب... ولكنّها صفات يمارسها الله مع المسلمين فقط، وليس مع البشر كافّة. فثمّة تصنيف للبشر في الإسلام، بين مؤمنين وكافرين ومشركين وأبناء ذمّة، وتقسيم للعالم إلى دار سلم ودار حرب ودار معاهدة. والكلّ ليسوا سواء.

١٧. غير أنّ المسيحيّة جعلتُ محبّة الإنسان عديلَ محبّة الله. بل علّمتُ بأنّ الواسطة إلى محبّة الله هي محبّة الإنسان؛ وليس العكس. والكلام على «حروب الله» ضدّ فئة من الناس هو، بعد يسوع، كلام فاسد. كلامٌ يُعيدنا إلى إله قبليّ، لا يهتمّ سوى شعبه الخاصّ؛ فيما هو إله العالم كلّهُ، خلقهم جميعاً بمحبّة، وخلّصهم كلّهم بمحبّة فائقة وفدائيّة حتّى الموتِ على الصليب.

الفصل ١٢

اللهُ مُحَبَّةٌ هُوَ

إنَّ قدرةَ الله العظمى ظهرت في التاريخ في شخص يسوع المسيح، إنَّها القدرة على الحبِّ. والحبُّ الأعظم هو الذي ظهر في آلامه وموته، من أجل خلاص العالم كُلِّه.

هذا يعني أنَّنا، بآلام يسوع وموته، نستطيع أن نعرف معرفةً أكيدةً مَنْ هو الله وما هي قدرته العظمى؛ كما نستطيع، بسبب هذا الحبِّ، معرفة بعض الشيء من جوهره الإلهيِّ، والدخول في سرِّ طبيعته الإلهية.

وما تكبَّده يسوع من آلام وموت في حياته الأرضية، تكبَّده الله الآب في عليائه منذ الأزل. وإذا كان يسوع وُجد متروكاً في الأرض وحده على خشبة الصليب، فالله الآب أيضاً كان متروكاً لوحده في السماء قبل الخلق.

فسرُّ صليب يسوع، إذاً، كان في صميم كيان الله منذ الأزل. والجلجلة كشفتُ عن صليب كان الله يحمله منذ الأزل. ونحن لن نفهم شيئاً ممّا كان عليه الله منذ الأزل إلاّ من بعد ما نفهم شيئاً ممّا أصبح عندنا، بين ظهرانينا أمام عيوننا.

فمعرفةنا للأمور السماوية منوطة، إلى حدٍّ بعيد، بمعرفةنا لما يجري عندنا. فكلام يسوع «مَنْ رَأَى رَأَى الْآبَ» يعني: إذا شاء الله أن يكشف لنا عن ذاته، عليه أن يكشف ذلك عن طريق يسوع المسيح مصلوباً.

منذ الأزل اختار الله لنفسه هذا المصير. فحياة يسوع الزمنية كشفتُ لنا عن حياة الآب الأزلية. وآلام يسوع التاريخية كشفتُ لنا أيضاً عن آلام الآب الأزلية. وآلام الله الأزلية هذه كانت في خلقه الإنسان حراً. ولا بدّ، والحال هذه، من أن نعترف بأنّ آلام الله وآلام يسوع هي من جوهر إله المحبة. ولسنا نعرف الله إطلاقاً إنْ أنكرنا ذلك.

ثمّ إنّ ذبيحة الحبّ هذه ليست انفعالاً إلهياً تجاه خطيئة الإنسان؛ كما أنّها ليست قراراً إلهياً شاءه الله بمحض مشيئته، بمعنى أنّه كان يمكن أن يكون والأل يكون.

ذاك لأن الصليب ليس حدثاً طارئاً في تاريخ الله. فالله الذي هو محبة؛ كان لا بدّ له من أن يعبر بالألم والموت إلى هذه المحبة. بهذا، تكون الجلجلة إعلاناً صارخاً لجوهر الله، في عالمٍ يسوده الشرّ والألم والعذاب والموت.

الله محبة. ولا يمكنه إلا أن يكون كذلك. والمحبة تضحية وعطاء، وإلا فهي أنانية وتسلية. والتضحية في سبيل الآخرين هي من جوهر الله وطبيعته، وإلا فلا يزال الله داخل ذاته، لا يعمل إلا من أجل ذاته. من جوهر الله، إذًا، أن يعطي ذاته باستمرار. فلكانّه في ذبيحة دائمة، وفي مقدمة مستمرة. بل هو قربان دائم، ومحبة متواصلة.

كلّ شيء في الله مطلق؛ لأنّه كائن مطلق. لهذا فهو يقدّم نفسه عن نفسه ولنفسه، بمحبة مطلقة تشمل كلّ ما سواه من الكائنات، ليضعه في ذاته، ويحبّه كما يحبّ ذاته.

وبما أنّ الله محبة كاملة مطلقة، فهو، في الوقت نفسه، متجرّد تماماً وبالمطلق. إنّّه يحبّ نفسه بتخلّيه عن نفسه. وهذا ما لا يقدر عليه إلا الله الذي ينفّث، بهذا «التلاشي»، على آخر عبدٍ من عبيده. إنّّه مصيرٌ مأساويّ، أدّى به إلى أبواب الجحيم؛ مصيرٌ جمع فيه مصائر البشر كلّهم، ليقول لهم هذا الكلام: أنا، لشدة محبّتي، تألمتُ ومِتُّ

وكان لي هذا المصير حتّى التلاشي. وأنتم، من حيث أنتم، تضعون أيديكم في يدي، لتصعدوا من تلاشيكم إليّ، إلى مستوى المحبة. لهذا، علينا أن «نتذكّر موتك يا ربّ»، جواباً على رغبتك وطلبك منّا: «أذكروا موتي حتّى مجيئي».

محبة الله لذاته تنبع من ذاته، وتخرج من ذاته، لتعود إلى ذاته. هذه الحركة المنفتحة في الله من الله وإليه، هي حركة ثالوثيّة. وبكونها كذلك تنفتح على العالم؛ أو أيضاً، بكونها منفتحة على العالم هي ثالوثيّة. فالمحبة عطاء، وتجرد، وخروج من الذات. تمتلك ما تعطي. وتسعد بما تعطي. وتضحّي بما تعطي. وهذا هو السبب الذي به سلّم الله ذاته ذبيحةً. ولهذا هو إله حقيقيّ.

على الله، والحال هذه، أن يقدّم نفسه ذبيحةً ليكون إلهاً حقّاً. عليه أن يمرّ عبر التاريخ ليكون أزليّاً. عليه أن يحيا كالإنسان ليكون ربّهم ومثالهم. عليه أن يكون إنساناً ضعيفاً خاطئاً ليكون إلهاً كلّّي الكمال.. فلكنّ الألوهة لا يمكنها أن تنفصل عن البشريّة، والبشريّة لا يمكنها أن تنفصل عن الألوهة: "كان من الضروري أن يصبح الله إنساناً. وليس إلّا بهذه الطريقة يمكنه أن يصبح حقيقة إلهاً"

"It was necessary for God to be Man, for

only so could He be truly God”^(١).

المحبة الإلهية لا تكون كاملة إن لم تغمر ضعف
البشر حتى التلاشي. وهذا التلاشي لا يكون من دون ألم.
لهذا فهي تتألم بما يناقض طبيعتها؛ وإلا فهي لا تتألم،
وبالتالي، لا تكون محبة.

ولكن، إذا كان الله محبة حباً متألماً أيمن أن يكون
بما يناقض طبيعته حتى يتألم؟! إن وجد الألم في الله فهو
الشر بعينه. ولكن الله يحب ذاته والإنسان بطريقة غير
نفعية وغير أنانية؛ لهذا عليه تحمل الشر الذي يأتيه من
غيره. وبتحمله الشر يحوله إلى خير، ذاك لأن المحبة المتألمة،
التي هي الله، تحرر الطاقة الخيرة في قوى الشر كلها.

ثم، إذا كان الله محبة في جوهره، ومنذ الأزل،
محبة متألمة ومضحية، يعني أن الشر يجب أن يوجد مع
الله ذاته، وليس فقط مع الخليقة. بهذا يكون الله مصدر
الخير والشر معاً: "القوى الغاشمة تأتي من الله، وهو
المسؤول عنها. الخير والشر ينحدران من ينبوع واحد.
ولهذا، هما شيء واحد" "Brute force... comes from
God and He is responsible for it. Good and Evil

(١) J.Hinton, The Mystery of Pain, Edinbourg, 1866, p. 203

come from the same source and are therefore
precisely the same thing^(٢).

كيف نفهم ذلك؟ نقول: "إنَّ الشرَّ موجود، لا لأنَّ
الله أوجده، بل لأنَّ الله قد رفض خلقه "Evil exists"
precisely because He commands it not to exist"^(٣)
كما نقول مثلاً: إنَّ الله خلق النظام فقضى على الفوضى.
وتبقى الفوضى تهدد النظام باستمرار. هكذا الشرَّ يبقى
يهدد الخير باستمرار، بالرغم من قوَّة المحبَّة الإلهية المتألِّمة
التي كان لها هم الانتصار عليه، لا هم إزالته، وهم
الانتصار على الموت، لا هم إبادة.

فغبطة الله الأبدية لا تعني إطلاقاً القضاء على الألم.
بل العكس تماماً: إنَّها غبطة بسبب قبول الألم وتحويله إلى
سعادة وخير ومجد. قدرة الله المطلقة ليست إلا رمزاً دينياً
لسلطته المطلقة ولوحدانيته. إنَّ الناس، في عمق أعماق
قلوبهم، لا يكرّمون ولا يحبّون إلا الإله الجريح، المتألّم،
المات، المنكسر، المغلوب.. هذا هو الله الذي يرغبه القلب
ويحبّه. ودليلنا على ذلك حشد المؤمنين العظيم يوم الجمعة
العظيمة، ويوم أحزان البشر في ساعات الوداع الأخير.

(٢) op.cit. p.124.

(٣) op.cit. p. 126.

إله بارد، متجلّد، متبلّد، لا يحبّ ولا يكره، لا يتألّم ولا يموت.. هو إله فكرة، لا أكثر ولا أقلّ. إله مقولة فارغة باردة، لا تضرّ ولا تنفع. وكيف للعالم المتألّم أن يخرج من ورطته هذه؟! العالم الحقيقي يتألّم. وليس هو عالم فكرة. وكذلك هو الله.

أولئك الذين قالوا بوحداية الله وصمدانيّته وتعالّيه، والذين قالوا «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»، والذين قالوا بأنّ ليس له صاحبة، ولا ولد، ولا شريك، ولا شبيه، ولا ندّ، ولا ضدّ، ولا كفؤ... هؤلاء هم أنفسهم قالوا بأنّ الله رحمن، رحيم، ودود، خالق، يعتني بالعالم ويتوب إليه، يغفر ويسامح ويتكلّم مع نبيّين ورسّل وفي كتب منزلة... أليس في هذا تناقض فاضح؟!..

ولكنّ هذا التناقض يفهم بأنّ الإنسان يحتاج إلى أن يجد في الله صفات المحبة والرحمة والحنان. لقد وجدها في نفسه فنقلها إلى الله لكي تخفّ وطأة وحدانية الله عليه.

لقد نجح البشر الذين قالوا بآلهة عديدة يتشاركون، أو يتصارعون. بهذا القول أوجدوا لهم عند هؤلاء الآلهة مكاناً. ألزموهم بمحبّتهم. عرفوهم على خصائصهم، وصوّروا لهم وجوههم. للآلهة المتعدّدة وجه وعقل وقلب

ومحبّة وحنان... هذه الخصائص لا تجوز على الإله الواحد
الوحيد الأحد البعيد الصمد...

هذا الإله الواحد الأحد مجهول الصورة والهويّة.

في هذه الأحديّة الإلهيّة تناقض في الدّاخل: إنّها لا
تستطيع أن تفسّر لنا كيفيّة انبثاق الحركة من اللّامتحرك؟
وكيفيّة ظهور الكثرة من الواحد؟ وكيفيّة تكون المادّة من
الرّوح؟.. إنّ الأحديّة المنسجمة مع ذاتها تنفي وجود العالم.
والحال، إنّ العالم موجود، وموجود حرّاً، متحرّكاً. لهذا يقع
أصحاب الأحديّة في الثنائيّة من حيث لا يدرون.

ففيما هم يشدّدون على لا حركيّة الله وحركيّة
العالم، ويفصلون بينهما فصلاً واجباً جذريّاً؛ فإنّهم، من
جهة، يصفون جوهر الله البسيط بتعابير مأخوذة من غير
الجوهر البسيط؛ ومن جهة، يعتمدون على زوال العالم
ليؤكّدوا ديمومة الله. وبالتالي، يقولون بالله وبالعالم معاً،
أي يؤمنون بثنائيّة. وليتّهم قالوا بثلاثة لكنّا عرفنا في الله
محبّةً وحرّيّةً وحركةً في ذاته ونحو الآخرين بطريقة
أفضل وأصح!

وفي الحقيقة، لا أحديّة يمكنها أن تُفسّر من دون
ثنائيّة. والذي يريد أن يحدّد الله بنفي العالم يجعل الثنائيّة

بين الله والعالم غير مقبولة، ولكنه يقول بها. وإذا كان هذا صحيحاً فليس لنا إلا أن ندوّبَ الثنائِيَّةَ والأحديَّةَ في جدليَّةَ تاريخيَّةَ مستمرَّة؛ لا حلَّ لها، ولا منفذ فيها نحو شيء. إنَّها مأساة إلهيَّة، أين منها القول بآلام الله وموته!

فأيَّهم أقرب إلى الإنسان وأكثر نفعاً؟ آلهة عديدة لهم هويَّة؛ أم إله واحد بلا هويَّة؟!

وفي كلِّ حال، لا الآلهة الكثيرة ولا الإله الواحد يسلم العقلُ بهم. فالله، في تحديده، لا يخضع للعقل، ولا للعدد، لا للكثرة ولا للوحدانيَّة؛ كما لا يخضع للجنس، ولا للزمان ولا للمكان... مقولة العدد مقولة عقلية إنسانية، لا تطبَّق على الله. غير أننا، بكوننا في مكان وزمان وجنس وعدد، لا نعرف الله إلا في أطرها. والأنسب الأھون لنا أن يكون الله لنا، هنا، ونحن على هذه الأرض، بالصورة التي ندركه فيها، أي متعدّد الظهور والفعل والحياة... هنا هو كذلك، مثلث الجوانب ليقوم بذاته... أمّا هناك فسوف نعرف، أو لا نعرف، كيف هو. إنَّه سرّ الله الذي يبقى سرّاً ليبقى إلهاً، ونبقى نحن خليقته.

ثمَّ ليس من كائن، إلهاً كان أم إنساناً، يستطيع أن يكون حراً، إن كان وحده، مقيّداً بذاته، محباً لذاته، عاملاً

من أجل ذاته. الحرّية قيمة إلهية وإنسانية. ولا يكون الله، أو الإنسان، حرّاً إلاّ بمواجهة حرّية الآخرين. حرّية الكائن الواحد الأحد لا معنى لها. لا هي حرّية ولا هي استعباد. لا هي محبة ولا هي بغض. لا تنبئ عن شيء. ولا توصل إلى شيء.

في اعتقادي أنّ الله الذي يحبّ خليقته بحبٍّ لا متناهٍ، يشعر بالحبّ والحزن معاً عند موت كلّ واحدٍ منّا. وشاء أن يكون له ابنٌ يتألّم ويموت، حتّى يبرهن لنا ما ليس بوسعنا معرفته بنفسنا، وهو أنّه يتألّم حقّاً لآلامنا، ويموت حقّاً لموتنا. وهذه ليست تمثيلية إلهية على الأرض. إنّها حقيقة سماوية تحقّقت مأساتها عندنا. وهذا ما يؤكّد لنا، مرّة أخرى، بأنّنا، في نظر الله، كائنات أبدية، لنا في قلبه مكانة تكاد تكون مطلقة.

آلامنا وأمراضنا وعذاباتنا وهمومنا ومعاناتنا وموتنا تفيدنا بأنّنا كائنات إلهية أبدية. لنا، في قلب الألوهة، عشق. صرخة يسوع من على الصليب: «إلهي إلهي لم تركتني» كانت قاسيةً على قلب الآب بالقدر الذي كانت على يسوع نفسه، وأقوى. أقوى لأنّ الآب لم يتحرّك باتجاه ابنه.

إننا أمام أمرين صعبين: إما أن الله يترك البشر يتألمون وهو يتفرّج عليهم؛ وإما أنهم يتألمون فيتألم معهم. والله الذي يترك الأبرياء يتألمون نشتكى عليه، إن نجحنا نزيحه من مكانه؛ وإن لم ننجح فعليه هو أن يزيلنا من الوجود إلى العدم. وقبل أن يصنع بنا هذا، قد ننتحر؛ وبالتأكيد ننتحر؛ لأن لا مخرج لنا من كونٍ مفسودٍ، سوى بالانتحار... أمّا الله الذي يتألم مع المتألمين ويموت مع المائتين فهو الذي يدافع، لا عنّا فحسب، بل عن نفسه أيضاً. ونجد له في ذلك مبرّر وجوده.

أين هو هذا الإله المتألم الذي نجد في آلامه مبرّر وجوده؟ لا جواب عندنا إلا في الإله المصلوب. الإله المصلوب هو الطريق الوحيد المفتوح نحو معرفة الله معرفة حقيقية. إن سرّ العالم هو في سرّ آلام الله. لهذا يتحتّم علينا ألا نتكلّم على الله إلا من خلال الله مصلوباً: لا يُعرف الأب إلا من خلال الابن. ولا نعرف شيئاً البتّة عن الله إلا من خلال الابن مصلوباً. وفي غير الصليب نسير في ظلام.

الحرية هي الأساس العميق لوجود العالم وتاريخه. لو لم يشأ الله العالم حرّاً، لما كان، بالنسبة إلينا، لا الله ولا

العالم. فلأنّ العالم حرّ فله تاريخ. وبما أنّ الإنسان يستعمل حرّيته دائماً بطريقة سيّئة، فالتاريخ يتحوّل إلى مأساة. إنّها مأساة الحرّية لا مأساة نظام خلقه الله بإتقان. والحجّة الوحيدة على أنّ الله يتألّم، وأنّ آلامه تحتلّ قلب العالم، تكمن في أنّ الله يريد الحرّية.

ولأنّ الله يريد الحرّية، فإنّنا نجد في طبيعته بعض الزوايا المظلمة. وهي تلك الإمكانية لأن يكون ما هو وما ليس هو. إنّها إمكانية مصيرٍ مأساويٍّ في الحياة الإلهية نفسها، إمكانية أن لا يكون الله واحداً، إمكانية الآلام التي بها يكون الله إلهاً. ومن دون هذه لا يكتمل العالم، ولا يتحرّر، ولا يبلغ خلاصه، ولا الله يبلغ ملءه.

الإيمان المسيحيّ هو اختبار الحرّية اللامحدودة الناتجة عن الحركة في صميم الحياة الإلهية. ومن ينكر الحركة في الطبيعة الإلهية ينكر الثالوث الإلهي أيضاً. وينسف الإيمان المسيحيّ من أساسه؛ لأنّ سرّ المسيحية يكمن في معرفة ثالوثيّة الله، ومعرفة ثالوثيّة الله تكمن في كونه حباً متألّماً إلى آخر حدود الألم والتلاشي.

الحركة في الله تُفهم بحنين الله الداخلي نحو كائنٍ آخر بإزائه، الذي هو، بالنسبة إليه، موضوع محبّته

السامية واللامحدودة. إنّ في الله شوقاً نحو آخر بإزائه وبمستواه، أي نحو ذاتٍ أخرى. والذات الأخرى هي «صورته»، أي الإنسان. وإذا كان له هذا الشوق فليس بسبب نقص في كيانه، كما هو حالنا؛ بل بسبب فيضٍ من ملئه الخالق. والحركة الخلّاقة هي آية مميّزة لكمال الكائن. إنّ الله يتوق إلى ذاته الأخرى ليحرّك محبّته الخلّاقة. بهذا تسقط كلّ مقولة بأنّ الحركة، في الله، علامة نقص. فهي، إنّ كانت نقصاً، بالنسبة إلينا، فهي ليست كذلك بالنسبة إلى الله.

إنّ توق الله إلى ذاته في داخل ذاته هو في الحقيقة مفتاح لغز الكون. لولا هذا التوق لما كان ما كان. محبة الله للكون لا تكفي لكي يكون الكون. قد تكون حاجةً فيه، لا كمالاً. إنّما محبة الله للكون انطلقت من توقٍ داخليّ فيه. لهذا كان الكون آيةً من آيات محبة الله، لا آيةً من آيات كماله.

في الثالث المسيحيّ تفسير رائع لهذا التوق الإلهي: الأب يُحبّ الابن منذ الأزل. إنّهُ حبٌّ لذاته، لا لغيره. ومع حبّه لذاته كان حبّه لغيره. والحبّ هو نفسه لذاته ولغيره. خلق الله الأب العالم لشدة حبّه لابنه. الخلق، في أساسه،

إنّا، ليس عملاً خارج الله؛ بل في داخله، في صميم الألوهة، في التبادل الثالوثي.

وخلقُ العالم ليس إلّا تاريخ الحبّ الإلهي بين الله والكون؛ إنطلاقاً من حبّ داخليّ نفذ إلى الخارج. هذا الحبّ الداخلي الذي نفذ إلى الخارج يتضمّن، بالقوّة، تجسّد الله. لهذا، فإنّ تجسّد ابن الله لم يكن جواباً على خطيئة، بل هو، في حقيقته، كمال شوق الله الأزلي، في أن يلتحم، من جديد، بصورته، في أن يصير إنساناً، وفي أن يصنع من كلّ إنسانٍ إلهاً، إلهاً آخرَ يشترك بحياة الله ويتجاوب مع محبّته. فلكنّ الثالوث أصبح الله والكون كلّ، لا عن طريق الحلول، الذي يبطل كلّ شيء، بل عن طريق القول بوحداية الله ووحداية كلّ ذاتٍ لها في قلب الله وجود مميّز.

إنّنا، هنا، ندرك ثالوثيّة الله جيّداً. ويحبّنا ونحبّه بسبب ذلك. أمّا هناك فنذكره واحداً يتميّز عنّا بامتياز، بعد أن ننال منه ميزة وحدانيّتنا وفرادتنا. ولولا هذا لما كان للخلاص والسعادة والحياة الأبدية معنى.

إنّ إلهاً يتّصف بالمحبّة، ويتميّز، بسبب محبّته، بالألم والموت.. لا يمكن أن نتّهمه بصنع أيّ شيء يميّز إنساناً عن

إنسان، وبنوع خاص، لا ننتهمه بصنع أديان ومذاهب، ولا بإنزال شرائع وكتب وإنبياء ورسُلٍ وحقائق سماوية، جعلت الناس يختلفون في ما بينهم بسبب تمييز الله لهم، أو بسبب اختيار الله له شعباً من دون سائر الشعوب.

إنَّ الله الحبَّ المتألم لا يمكن أن يفرض ذاته على الإنسان الذي أحبه حباً كاملاً.. لهذا، فإنَّ كلَّ ما اتُّهم الله به من تدخل في تاريخ البشر، غير تدخله بالحبِّ والألم والموت والنزول إلى أعماق الجحيم، ألله منه بريء.

لا يمكن لله أن يناقض ذاته إلى هذا الحدِّ، فيتدخل في الإنسان، من جهة، ليميّزه عن غيره، ثم يتدخل فيه لمحبتِّه له، من جهةٍ ثانية.

إنَّ في القول بأنَّ الله صنع كلَّ هذه الأديان، وبالتالي كلَّ هذه الاختلافات بين البشر، تطعن في الله نفسه، لأنَّ الله، في طبيعته، محبة. ولا يمكن أن تكون محبة بين بشرٍ مختلفين على الله نفسه. وليس الدين، في حقيقته، إلا إثباتٌ لآله يتناقض مع المحبة. إنَّه إله عنصريّ، فئويّ، يميّز إنساناً عن إنسان.

لا حلَّ عندنا، لمعرفة الله معرفةً صادقةً وحقيقيةً، إلا في إلغاء الأديان المتجمدة بشرائع جامدة، لا تتطور ولا

تطور معها الإنسان والمجتمع. وقد آن الأوان وحن الحين
لتحرير الله والإنسان معاً من الشرائع والثوابت والحقائق
الجامدة، تلك التي تقيّد الإنسان وتكبّله باسم الله.

الفصل ١٣

اللهُ أبٌ

تقدّم لنا الأناجيلُ يسوعَ ابناً لله؛ كما تقدّم لنا الله أباً له. هكذا بدأ مرقس إنجيله، حيث قال: «بَدَأَ الْبَشْرَى بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، ابْنِ اللَّهِ» (مر ١ / ١). وهكذا أنهى يوحنا إنجيله، كهدف سعى إليه في تأليفه، فقال: «لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ، ابْنُ اللَّهِ» (يو ٢٠ / ٣١).

وتجرّأ الإنجيليون كلّهم على تسمية يسوع «ابناً لله»، والله «أباً له»، لأنّهم فهموا جيّداً مسيرة يسوع في كلامه، وسيرته، وعمله، وبشارته. فحياته كلّها كانت حياة «ابنٍ» مطيعٍ لأبٍ شاء خلاصَ البشر بأكبر حبٍّ يمكن أن يحمله

إليهم. لهذا ذكروا وركّزوا على أنّ يسوع هو «ابن الله»
حوالي ١٧٠ مرّة.

يقدم العهد القديم الله «أباً»؛ إلّا أنّ مفهوم الأبوة فيه
ليس كما هو في العهد الجديد. إنّما هنا تُفهم بطريقة مغايرة
تماماً:

فالله أبّ، ليس بكونه والدًا، بل بكونه خالقاً محبّاً
متفانياً في حبّ الإنسان^(١).

ولم يهتمّ الله بخلاص إسرائيل من عبوديّة مصر إلّا
لأنّه يتمتّع بصفات الأبوة^(٢).

ومحبّة الله لشعبه، أثناء تاريخه معهم، هي كمحبّة
أبٍ لأبنائه^(٣).

ومع هذا، فتسمية الله «أباً» لم تكن من دون حذر،
وذلك خشية أن تُفهم هذه الأبوة بمفهوم بيولوجيٍّ، أو
ميتولوجيٍّ.

(١) ر. تث ٣٢/٦؛ ملا ١٠/٢.

(٢) ر. خر ٤/٢٢؛ أش ١٦/٦٣؛ إر ٣١/٩.

(٣) ر. هو ١١/١-٤ و٨.

يُطلق العهد القديم تسمية «أب» على الله حوالى ١٥ مرة^(٤): الملك، في إسرائيل، هو الذي يحتفظ بعلاقة بنوّة مع الله (٢ صم ٧ / ١٤). ويُقال بأنّ الله يُولد الملك عند اختياره له وتتويجه، يقول له: «أنتَ ابني وأنا اليومَ ولدتك» (مز ٢ / ٧).

ومع سفرَي الحكمة وابن سيراخ القريبين من العهد الجديد، أصبح الله أباً لكلِّ فرد، وله علاقة أبوة مع كلِّ واحد: «أيّها الربُّ، أبو حياتي، وسيِّدُها» (سي ٢٣ / ١)، أو «أيّها الربُّ، أبو حياتي وإلهها» (سي ٢٣ / ٤).

ويسمّي سفر الحكمة الله أباً بوضوح تام؛ يقول: «لكنّ عنايتك، أيّها الأب، هي التي تقودُه» (حك ١٤ / ٣). وكان ذلك، وكأنّه مقدّمة لما سيكون عليه العهد الجديد.



ترد تسمية الله «أباً» في العهد الجديد حوالى ٢٥٠ مرة؛ حيث لم يعد الله «أباً» لإسرائيل وحده فحسب، بل هو «أب» لجميع البشر. وهو بنوع خاصّ، «أب» لابنٍ وحيد، هو يسوع المسيح، وبطريقةٍ مميزة. وأصبح اسمُ الله، في العهد

(٤) تث ٦/٣٢؛ ٢ صم ٧/١٤؛ ١ أخ ١٧/١٣؛ ٢/١٠؛ ٦/٢٨؛ مز ٦٨/٦؛ ٨٩/٢٧؛ أش ١٦/٦٣ (مرّتان)؛ ٧/٦٤؛ إر ٣/٤ و ١٩/٣١؛ ٩/٣؛ ملا ١/٦؛ ١٠/٢.

الجديد: «الأب»، ولا يعرف على لسان يسوع إلاّ بهذا الاسم. وهو بهذا الاسم يتميّز عن آلهة الأمم كافّة.

لقد باتت تسمية الله «أباً» مألوفة عند يسوع في العهد الجديد. وليس أقلّ من ١٧٠ مرّة ترد في الأناجيل: ٤ مرّات في مرقس؛ ١٥ مرّة في لوقا؛ ٤٢ مرّة في متّى؛ ١٠٩ مرّات في يوحنا. ونلاحظ استعمال الكلمة تصاعدياً، أي بمقدار تقدّم التقليد الكنسي. وهذا ما يعني أنّ الإنجيليين أنفسهم أدركوا بُعد هذا الأسم فوضعوه على لسان يسوع.

ومع هذا، نستطيع القول بأنّ التسمية تعود إلى يسوع نفسه. فالله «أب» بالمطلق^(٥)؛ وبنوع خاصّ «أبي»^(٦).

ثمّ إنّ دعوة يسوع لله بكونه «أباً» هي دعوة مألوفة ومستمرّة. وهو يصليّ له لكونه كذلك^(٧).

مرّة واحدة فقط لم يدعُ يسوع الله أباً، وهو على الصليب؛ لأنّه استشهد بكلمات من المزمور (٢٢ / ٢)، حيث

(٥) مر ١٣ / ٣٢؛ لو ١١ / ١٣؛ أو «أبوكم» (مر ١١ / ٢٥؛ متّى ٥ / ٤٨؛ لو ٦ / ٣٦ و ٣٢؛ ١٢ / ٣٠).

(٦) متّى ١١ / ٢٧ وما يقابلها؛ لو ١٠ / ٢٢؛ مر ٨ / ٣٨.

(٧) ر: مر ١٤ / ٣٦ وما يقابلها في متّى ٢٦ / ٣٩؛ لو ٢٢ / ٤٢؛ وفي متّى أيضاً ٢٦ / ٤٢، وهو خاصّ به؛ وفي لو في مناسبتين: لو ٢٣ / ٣٦ و ٤٦؛ وفي يوحنا تسع مرّات: يو ١١ / ٤١؛ ١٢ / ٢٧ و ٢٨؛ ١٧ / ١ و ٥ و ١١ و ٢١ و ٢٤ و ٢٥.

يدعو الله باسمه: «إلهي! إلهي! لم تركتني»^(٨).

ثم إن يسوع، في مرقس، كان يتوجه إلى الله «أبيه» باسمه الآرامي: «أبّا» abba (مر ١٤ / ٣٦). وهي تسمية حميمة نابغة من القلب.

وكذلك استعمل القديس بولس اللفظة الأرامية، فقال: «فلأنكم أبناء، أرسل الله إلى قلوبنا روح ابنه صارخاً: «أبّا، أيّها الآب!» (غل ٤ / ٦). وبهذا الروح عينه، روح البنوة لا روح العبودية، «نصرخُ: أبّا، أيّها الآب!» (رو ٨ / ١٥).

إن لفظة «أبّا» التي استعملها يسوع، ليدعو الله بها، هي لغة الأطفال مع آبائهم. وهي لفظة لا تليق بالله عادةً، لا في المجتمع اليهودي، ولا في المجتمع اليوناني. ومع هذا، فاستعمالها، على لسان يسوع، يبدو أكيداً.

ثم إن يسوع يشكر الله أباه عما أظهر للأطفال^(٩)؛ ثم يقول إن كل شيء له هو من الله أبيه^(١٠). ويسوع أخذ «كل شيء» من أبيه؛ فيما الفريسيون والكتبة أخذوا من الأقدمين (مر ٧ / ٣ و ٩).

(٨) مر ٣٤ / ١٥ وما يقابلها في متى ٤٦ / ٢٧.

(٩) متى ٢٥ / ١١ - ٢٦ وما يقابلها في لو ١٠ / ٢١.

(١٠) متى ١١ / ٢٧؛ لو ١٠ / ٢٢.

ثمَّ إِنَّ المعرفة بين الابن والآب متبادلة؛ لأنَّ «لا أحد يعرف الابن إلَّا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلَّا الابن»^(١١). هنا، نفترض محبة الآب لابنه، ابنه الحبيب^(١٢)، ومحبة الابن لأبيه بطاعته وخضوعه له^(١٣)؛ لأنَّ يسوع هو الذي يعرف الآب، ويكشفه لنا، بل يكشفه للأطفال وللبنطاء^(١٤).

هذا المفهوم لله كأب يبلغ ذروته عند يوحنا: «الإبْنُ الأَحَدُ اللَّهُ، الكائن في حضن الآب، هو هو خَبَرٌ» (يو ١/١٨). ومثل يوحنا مثل سائر الإنجيليين، حيث إنَّ يسوع هو ابن الله، والله، بالتالي، هو «أبوه»^(١٥). ونحن، إذا ما دعونا الله «أبانا»، فلأنَّ يسوع حنَّنا على ذلك^(١٦). ونحن نتوجّه إليه، بإلهام من الروح القدس، بكونه «أبًا»^(١٧).

ويبقى فرقٌ بيننا وبين يسوع بالنسبة إلى الله: صحيح أنَّ الله «أب» ليسوع، و«أب» لنا، ولكن ليس في ذات

(١١) متى ٢٧/١١ ب.ج، وما يقابلها في مر ٢٢/١٠ ب.ج.

(١٢) متى ١٧/٣؛ مر ١١/١.

(١٣) لو ٢/٤٩؛ متى ٢٦/٢٩؛ مر ١٤/٦.

(١٤) متى ١١/٢٥-٢٦ وما يقابلها.

(١٥) مر ١/١؛ يو ٢٠/٣١.

(١٦) متى ٩/٦؛ لو ١١/٢.

(١٧) رو ٨/١٥؛ غل ٤/٦.

العلاقة: «أصعد إلى أبي وأبيكم» (يو ١٧/٢٠). ولكن محبة الله كـ «أب» هي نفسها محبته لنا ولابنه يسوع. وهذا ما قاله يسوع أيضاً، فقد صلى لأبيه: «ليكونَ فيهم حبُّكَ لي» (يو ١٧/٢٦).

في كلِّ هذا دليل ساطع على أنَّ الله لا يُسمَّى إلَّا باسم واحد، ولا يوصف، بالنسبة إلى البشر، إلَّا بصفة واحدة، هي صفة الأبوة. وغير هذه الصفة يدلُّ على علوِّ الله وسيادته على الخليقة. وهذا ما ينفي أية علاقة حبٍّ بينه وبين الإنسان. ولهذا درجت المسيحية، عبر تاريخها، وفي تعاليمها، على تسمية الله «أب».

مع اعترافنا بأبوة الله لنا وليسوع المسيح، يتحطَّم أمامنا كلُّ ما علَّمته وتعلَّمه الأديان. فلكأنَّ أبوة الله في المسيحية تناقض إله الأديان. وهو فعلاً كذلك، لأنَّ الأبوة تعني إلغاء كلِّ الحدود بيننا وبين الله، فيما الدين يرسم حدوداً عاليةً جداً، ويسنُّ شرائعَ أزليَّة، أبدية، ثابتة، لا يهزُّها أيُّ تطوُّر أو تقدُّم أو تغيير.

هناك تناقض كبير بين مفهوم الدين لله ومفهوم المسيح والمسيحيين: الله الذي تقول به الأديان كافة هو إله مشترك، يميز شعباً عن شعب. يختار شعباً ويرذل شعوباً عديدة. بل هو يساعد شعبه المختار على قتل سائر الشعوب.

أما الله عند يسوع فهو إله لكل البشر. إنه أب يعتني بخلقه أجمعين، ويهمه خلاص الجميع، لأن جميع البشر هم أبناؤه. وكلهم يستحقون محبته وحنانه وسعادته. وليس إنساناً محروماً من محبة الله ورحمته وحنانه وعطفه.. وإلا كان الله إلهاً ظالماً شريراً، إلى أبعد حدود الظلم والشر.

مع هكذا إله نتساءل إذا ما لم يكن الانتحار هو الحل، أي انتحار الإنسان المظلوم ظلماً عظيماً، من إله قدير كل القدرة.

إله الأديان كافة هو هذا الذي يختار شعباً من دون شعب، ويفضل إنساناً على إنسان.. أبسط ما يمكن أن نقول: إن هذا الإله، أي إله الأديان، لا يتصف بالأبوة إطلاقاً؛ بل هو إله شرير بامتياز.

الفصل ١٤

قيل لكم... أمّا أنا فأقول لكم

تعبيراً فريد في الإنجيل، ورد على لسان يسوع، في الفصل الخامس من إنجيل متى، ستّ مرّات^(١). ورد ذلك في بداية رسالة يسوع، وفي عرضه لشرعة الملكوت، في خطبة الجبل، حيث نجد "أهمّ ما علّم يسوع، ومختصرَ برنامج الملكوت الجديد، وتصوّراً لتلميذ هذا الملكوت"^(٢)، ملكوت هو غير ملكوت اليهود تماماً. وقد لا يشبهه بشيء :

«قيل لكم.. أمّا أنا فأقول لكم»: تعبیر فريد في صيغته الجدليّة، أي في الموازنة بين تعاليم التوراة وتعاليم يسوع، بين ما قاله الأنبياء للأبّاء الأوّلين، وما قاله يسوع لتلاميذه ولنا. لكنّها مواجهةٌ بين العهدين، العهد الجديد

(١) متى ٥/٢٢-٢٧؛ ٢٨-٣١؛ ٣٢-٣٣؛ ٣٤-٣٨؛ ٣٩-٤٣؛ ٤٤.

(٢) أنظر: مقدّمة «أونجليون»، ترجمة الكسليك، ص ٣٨.

والعهد القديم، بين تعاليم التوراة وتعاليم يسوع، أو أيضاً بين موسى ويسوع، من على جبلي سيناء وطابور. مواجهة هي عنوان العهد الجديد، ومضمون الإنجيل، ومختصر الرؤية المسيحية لله وللملكوت. ظهرت في الأسلوب والمضمون، وفعلت فعلها عندما وقف يسوع من اليهود موقف توبيخ وتبكي وإنكار لما هم فيه من رياء وتدمير للإنسان الذي خلقه الله حراً، وعندما حكم رؤساء اليهود، من كهنة ورؤساء كهنة وكتبة وفريسيين، على يسوع بالموت.

هذا الكلام هو من الكلمات الجريئة جداً والمشككة الواردة في الإنجيل على لسان يسوع نفسه... ولكن متى، كمؤلف بارع، شاء أن يخفف من حدة المجابهة، فمهد لكلامه بقوله بأن يسوع جاء يكمل موسى، وبأن الإنجيل هو استمرار للتوراة. فجعل يسوع يقول: «لا تحسبوني جئت أبطل التوراة أو الأنبياء. ما جئت أبطل، بل أكمل» (متى ٥/١٧). هذا الإكمال حبكته متى جيداً عندما صور لنا أن يسوع جاء في خط موسى... إلا أن ذلك لم يكن، على ما يبدو، إلا لطمأنة اليهود قليلاً.

والمقصود، كما جاء في "طوبيات الجبل"، كان في

تعاليم لا شبيه لها في تعاليم اليهود، ولا في تقاليدهم، ولا في توراتهم، وتفاسيرهم لها... وقد يكون من الحكمة أن يُتَّبَعَ متى هذا الكلام الخارج عن مألوفِ التّوراة بكلامٍ يطمئنُّ إليه اليهود ورؤسائهم. إذ ليس من الفطنة إطلاقاً أن يفتح يسوع النّارَ عليه، في بداية رسالته، من دون بعض الحذر من الشعب اليهودي ورؤسائه. فلهذا قال: «مَا جِئْتُ لِأَبْطِلَ، بَلْ لِأَكْمَلَ».

وعندما اطمأنَّ اليهودُ قليلاً، لم يتمالك يسوع من أن يوجّه إلى رؤسائهم من فرّيسيّين وكتبة ما يشعر به من واجبٍ في أداء رسالته. فأتبّع قوله مباشرةً بتحدٍّ يعلن فيه المجابهة بينه وبين رؤساء اليهود، فقال: «لَكُمْ أَقُول: يَرْبُّوْ بِرُّكُمْ عَلَى بَرِّ الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ، أَوْ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ» (متى ٥ / ٢٠). لكأنّ البرَّ لن يكون بحفظِ الناموس، بل بـ "اتباع" يسوع نفسه والاقتراء به. هكذا قال لتلاميذه.

هذه الجدليّة بين القديم والجديد، بأسلوبٍ غير لئِن، تنذر مُسبقاً بما ستكون عليه المواقف بين يسوع ورؤساء اليهود. أسلوب يحمل، من الآن، بوادر المأساة التي سوف تتحقّق. والمتقصّي معاني النّص ينتبه جيّداً إلى أنّ اليهود

لن يسكتوا عن يسوع، ويسوع لن يسلم من أيدي اليهود. وموضوعات الخلاف كثيرة. والمصير محتوم. ولا شيء يشير إلى أنّ معالجة سليمة قد تحدث، أو مصالحة بين الطرفين ممكنة.

وكم حاول متى أن يصوّر لليهود أنّ يسوع هو نفسه المسيح الموعود به، وهو ابن الوعد لإبراهيم، وسليل الملك داود، ووارث عرشه، ومرتجى الآباء، وهو الذي " قيل عنه في الأنبياء " ما قيل، وهو الذي جاء ليُتمّ ما قيل فيه عندهم، وهو الذي حقّق النبوءات، وأتمّ الآيات، وفسّر الكتب التي تحدّثت عنه، وقرأها قراءةً صحيحة، وهو موسى الثاني الذي قاد مسيرة شعبه نحو أرض الميعاد.

غير أنّ ذلك كلّهُ لم يكن، على ما يبدو، إلّا حنكة وحكمة، شاءهما متى ليمرّر إلى اليهود شرعة يسوع الجديدة: صحيح أنّ يسوع هو موسى، ولكنّه موسى جديد، بتعليم جديد، وعمل جديد، وعهد جديد، وحتّى إله جديد. هذا الإله هو «أبّ»، مُحِبٌّ، مُخَلِّصٌ، لا يعرفه إلّا الابن، ومَنْ يشاء الابنُ كَشَفَهُ له (متى ١١ / ٢٧). هذا الإله «الآب» لا يعرفه اليهود، ولو كانوا عرفوه لما صلبوا يسوع.

نحن، هنا، مع متى، وكأنّنا مع " عملٍ مسرحيٍّ كبيرٍ

في سبعة فصول. والموضوع واحد: يسوع الملك المخلص الموعود^(٢). والعمل المسرحي، عادةً، يقوم على عقدة محبوكة، وأسلوب شيقٍ يُخفي أكثرَ ما يُظهر، وحلٌّ طريفٌ غير متوقع. وهذا ما يوجد فعلاً في إنجيل متى الذي يضعُ القارئُ فيه بين أن يكون يسوعُ موسى جديداً، أو أن يكون خصماً لموسى، يتراشقان التَّهم.

ويتبيّن لنا ذلك في ما سمّاه المفسّرون "اللّوحة الثانية" (فصول ٣-٧)، حيث "شرعة الملكوت" التي ابتدأ بها يسوع رسالته:

فبعد أن اعتمد على يد يوحنا (٣/١٣-١٧)، وخرج إلى البريّة (٤/١-١١)، وجال بين اليهود والأمم (٤/١٢-١٧)، ودعا تلاميذه الأولين (٤/١٨-٢٢)، وأراهم أعماله، وأسمعهم تعاليمه، وذاع خبره في كلّ سورية، وتبعه جمعٌ كثير (٤/٢٣-٢٥)... صعد إلى الجبل، وأعلن لتلاميذه وحدّهم (٥/١-٢) شرعة الملكوت الجديد. وحدّهم التلاميذ كانوا هناك، لأنّ الجموع، عادةً، لا تستطيعُ قبولَ ما يخالف تقاليدها وأعرافها وموروثاتها.

(٢) تفسير «أونجليون»، ص ٣٧.

وما سمعه التلاميذ في خطبة الجبل^(٤)، لم يسمعه اليهود من قبل إطلاقاً. ليس هو من تعاليم موسى، ولا التوراة، ولا الأنبياء، ولا من أي سفر من أسفار العهد القديم. إنه مختصر السلوك المسيحي.

في هذه الخطبة، نجد "أهم مقومات الدعوة المسيحية، وفضائل أبناء الملكوت: إنها شرعة الملكوت الجديد"^(٥). هذه "الطوبيات" ترسم خطة يسوع، وتوجيهه، وهمومه، وفحوى بشارته. ولن يكون اليهود منها على اطمئنان.

بيد أن متى طمأنهم فوراً، وطمأن التلاميذ أيضاً، بأن يسوع لم يأت ليُبطل القديم. وشدد وأكد أن السماء والأرض تزولان وحرف من الناموس لا يزول. فاطمأنوا.

إلا أن يسوع، بعد أن طمأنهم، عرف ما يجب أن يقول لهم، بداءة ذي بدء، لكي يستطيع أن يباشر رسالته، وتمراً عندهم، ويقبلوها، ولا يقفوا ضدها منذ بدايتها. فتحملوها، ولكن على مضض. وها هو يُسمعهم ما يشكّكهم:

(٤) متى ٥/٣-١٢.

(٥) أنظر: «أونجليون»، ص ٥٩.

لقد عرضَ أمامهم موضوعاتٍ تمسُّ مقدّساتهم. خالفَ ما كانوا يتوقَّعون من المسيح المنتظر، فجاء يسوعُ مسيحاً متواضعاً متألماً، بدلاً من أن يجيء مسيحاً قوياً يحرّر شعبه من الاحتلال الأجنبيّ. لهذا لم يؤمنوا بما علّم، ولا هو علّم ما به يقبلون. بل نسبوا تعاليمه إلى روح شرير. ولم يقبلوا بأنّ الملكوت أصبح للجميع، وليس لهم وحدهم. ولم يفهموا أنّ محبة الإنسان تعادل محبة الله. ولم يصدّقوا أنّ طهارة القلب هي المطلوبة لا الطهارة الخارجية...

ثم علّمهم أنّ ما قيل لهم في القتل والمصالحة (متى ٥/٢١-٢٦) هو غير ما جاء على لسان آبائهم الأولين؛ وأنّ ما قرأوه في كتبهم عن الزنى (٥/٢٧-٢٩) ليس هو الصحيح؛ وأنّ ما قيل في الطلاق (٥/٣١-٣٢) هو فجور؛ وأنّ قسّمهم بما خلق الله هو احتقارٌ لله نفسه (٥/٣٣-٣٥)؛ وأنّ ما علّمتهم التّوراة إيّاه في شريعة العين بالعين والسنّ بالسنّ (٥/٣٨-٤٢) هو تعليم فاسد؛ وأنّ محبة الأعداء هي من شيم الأخلق...

في هذه الموضوعات، وفي غيرها أيضاً ممّا نقرأه في الصدقة (متى ٩/٢-٤)، والصلاة (متى ٩/٥-١٥)،

والصّوم (متى ٦/١٦-٨)، والتجرّد (متى ٦/١٩-٣٤)،
 وعدم دينونة الآخرين (متى ٧/١-٥)، والإيمان بسخاء
 اللّٰه (متى ٧/٧-١١)، وأنّ الأعمال يجب أن ترافق الأقوال
 (متى ٧/٢١-٢٣)... كلّها تعاليم لم يألّفها اليهود، لا في
 توراتهم، ولا في تقاليدهم، ولا عند أنبيائهم. بل عندهم
 تعاليم تخالف ذلك تماماً. ولا يمكن لهم أن يقبلوا غيرها،
 ولا أن يقبلوا قائلها. وابتدأت، منذئذٍ، المجابهة.

وبهذه المجابهة بين موسى ويسوع، بين «ما قيل
 لكم... وما أقول لكم»، ابتدأتِ المأساة. وعرفَ يسوعُ بأنّه
 ذاهبٌ إلى الموت لا محالة. وحكمُ النّاموس في مَنْ يخالفه
 واضح: الموت. والذي يعلم غير ما في النّاموس مصيره
 الموت.

إنّ ما وضعه متى على لسانِ يسوع أنّه لم يأتِ
 ليُبطل التّوراة بل ليُكمّل، ليس إلّا من قبيل طمأنة اليهود
 قليلاً، لكي يسمّعوا ما يخالف تعاليمهم مخالفةً أدّت بهم
 إلى رفضِ يسوع ورفضِ تعاليمه، والحكم عليه بالموت.

في الختام نقول: إنّ مصيرَ يسوع كان واضحاً منذ
 البدء. وطمأنة اليهود بأنّه جاء يكمل التّوراة لم تفده شيئاً.

ولم تخلصه من حكمهم عليه بالموت. وفي كلِّ حال، حتَّى متى نفسه لم يكن يؤمن بأنَّ يسوع جاء ليتمِّم التوراة، بدليل أنَّ كلَّ ما في إنجيله يُختصر بما لا نجده عند أحدٍ من كتَّبة العهد الجديد، وهو تصوُّره لموسى ويسوع يتراشقان من على جبلين، بأسلوبٍ تفرَّد به: «سمعتُم ما قيل... أما أنا فأقول...». وكانت بداية المأساة. وخاتمتها معروفة سلفاً.

إنَّ إنجيل متى يُظهر يسوع قد أتمَّ، في شخصه وتعاليمه وأعماله، تدبير الله الخلاصي، أتمَّه إتماماً ظاهراً وخفياً معاً...

ولكن جميع النبوءات ما تمَّت في يسوع بنوع ظاهر جليٍّ: كان اليهود يتوقَّعون ملكاً زمنياً يحرِّر شعبه سياسياً، ويحكمه، فإذا بيسوع يبشِّر بملكوت رُوحٍ يحرِّر الإنسان من الخطيئة، ويعدّه لنعيم أبديٍّ. بشِّر يسوع شعبه بملكوت غير ملكوتهم، فإذا هو سبب شكٍّ، وحجر عثرة، وتحولَ كلُّ شيء إلى مأساة: رفض الشعبُ المختار أن يؤمن بيسوع مسيحاً، لأنَّه كان ينتظره ملكاً متوجَّاً، لا لصاً مصلوباً، ولعنةً على خشبة.

تمَّت حكمة الله في شخص يسوع وأعماله وتعاليمه بنوع يخالف حكمة البشر، لأنَّ العهد القديم نفسه أنبأ

بمسيح قويّ جبّار، وأنبأ أيضاً بمسيح متواضع متألّم.
 في العهد القديم تيّاران متناقضان، تيّار القوّة
 والنّصر، وتيّار الألم والفشل؛ وكلاهما قد تمّا في يسوع،
 في شخصه وتعاليمه وأعماله؛ فالتبس الأمر على اليهود،
 ونبذوا ملكهم ومخلّصهم :

١. **في شخصه**: نبذوا خادم الله المتألّم، والمتواضع،
 على ما مثّله آشعيا، فاضطهدوه طفلاً، واضطروّوه إلى
 الهرب، واضطهدوه شابّاً، فعذبوه وصلبوه؛ وتلاميذه
 أنفسهم باعوه وأنكروه وتركوه.

٢. **في أعماله وتعاليمه**: لم يؤمنوا بأعماله، لم
 يؤمنوا بآياته، ونسبوا إلى روح شرّير. ولم يؤمنوا
 بتعاليمه: لم يؤمنوا بملكوت روعيّ يبدأ حقيراً، ويُغالب
 الاضطهاد، يؤخذ اغتصاباً، ولا يفهمه الحكماء، ويدخله
 جميع الناس. ولم يؤمنوا بأنّ التقوى في القلب، لا في
 التظاهر بها، تزمّتاً ورياءً، وبأن طهارة القلب أهمّ من
 الطهارة الخارجيّة، والجوهر أهمّ من المظاهر.

تعاليم يسوع هذه وأعماله تُلغي حكم إله الأديان
 والمذاهب، وتُعطي مفهوماً جديداً، بل مغايراً لما علّم يسوع.
 ولذلك طارده الأحرار وحكموا عليه بالموت.

قيل لكم..أما أنا فاقول ٣١٥

هذا المصير لم يكن مفاجئاً. لقد كان يسوع يعلم ما
سيصل إليه، لأنّه لم يُبقِ من سلطة الأحرار المتكلّمين باسم
الله شيئاً... فلكانّ المسيحيّة جاءت نقيضاً لليهوديّة برمتها.

الفصل ١٥

مؤمنٌ وملحدٌ في آن!

أنا مؤمن وملحد في آن : مؤمن بإله عرّفني عليه يسوع المسيح، وملحد بآلهة الأديان والفلسفات جميعها؛ وعلاقتي مع ذاك، لا مع هذه. قبلتُ هذه أم رفضتُها سيّان. ومع ذاك أجد بيني وبينه تجاوباً وحواراً ومحبةً متبادلة. هذا الإله يهمّه أمري؛ فأنا، بالتالي، يهمّني أمره، لكثرة ما أحتاج إليه.

١. ذاك الله الذي يبرهن عنه الفلاسفة ويتفرّجون عليه من بعيد، لا يعنيني ولا يهمّني، ولا علاقة لي به، ولا هو، حيث هو، في عليائه، يهمّه أمري. إنّه إله اخترعه العقل ليرتاح من قلقه الوجودي القاتل. إلهٌ يحتاج إلى الإنسان ليدلّ الإنسان عليه، فيما لو كان إلهاً حقيقياً لكان هو الدليل على الإنسان، ولكان الإنسان هو الذي يحتاج إليه...

٢. إله العقل بعيدٌ جدًّا. إِنَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ صَمَدٌ. قَابِعٌ

وراء السماوات، متربّع فوق الغيوم، يتنزّه بين النجوم. يُشرف على الأرض من فوق. يتطلّع إلى الإنسان من علٍّ. لا يسمع إلّا الأصوات القويّة. لا تهزّه إلّا العواصف. أمّا النسيمات الصباحيّة الهادئة الناعمة فلا يهتزّ لها؛ بل تمرّ عليه وتلامسه ولا يعلم بها.

٣. إله نكتشف وجوده من الأدلّة الفلسفيّة، ومن

قلق العقل، ومن الحاجة إليه ليفسّر لنا لغز الموت والحياة، وسرّ الحياة بعد الموت، ومعضلة الشرّ، ومسألة الحرّيّة، وسرّ الوجود، ومعاني الأشياء... إلهٌ يفسّر كلّ هذه هو إلهٌ يتسمّع علينا ليعرف منّا كيف نفسّرّها. أي هو الذي يحتاج إلينا ليعرف ما نطلب منه وما يستطيع أن يُعطينا.

٤. إلهٌ يحتاج إلينا، أي : إلى صلواتنا وابتهاالاتنا،

وإلى قرابيننا وذبائحنا، وإلى زهدنا بما وهبنا إيّاه، وإلى إماتة نفوسنا قبل موتنا.. إلهٌ لا يكافئ إلّا بعد أن يبرّحنا الألم ويخضّن العذاب. إلهٌ يطرب لمراى الدموع المنهمرة من المآقي. ويفرح لحزن الحزاني، وبكاء الثكالي. إلهٌ ينتظر الإنسان عند باب القبر ليطالبه ويحاسبه. هو، في الحقيقة، إلهٌ اخترعناه كقوّة ردعٍ باطشة.

٥. إلهٌ سريع الانفعال، قليل الصبر، بليد الروح، طويل اليد، قصير الباع، عداء، يراقب. يحاسب. يعاقب. لا ينتظر. لا يهادن. لا يغمض له جفن. سهرانٌ على كرامته. مدافع عنها. يتمتع بعزّة وعنفوان. يعامل الآخرين بعنفٍ وانتقام... هذا الإله سوف نحاسبه نحن على انفعالاته هذه غير المنضبطة.

٦. إلهٌ كلف الناس ليدافعوا عنه، ويتقاتلوا من أجله، ويهرقوا دماء بعضهم بعضاً للحفاظ عليه، ويجاهدوا مستميتين ليبقى، ويتلصصوا بعضهم على بعض ليرتاح، ويسرقوا أموال بعضهم بعضاً ليوقفوها له، ويرفعوا أقواس المحاكم لأنّ واحداً شتمه... إلهٌ يعتنوا هم به، ويشيدوا له القصور والهيكل، ويمنعوا آخرين من ارتياد أقداسه.. هذا إلهٌ شرير فلّت الناس بعضهم على بعض ليهنأ هو في عليائه.

٧. إلهٌ ينزل علينا من السماء أحكاماً؛ ويرسم لنا حدوداً؛ ويسنّ لأعمالنا شرائع؛ ويضع ملقّات ضابطة لوقائع متحرّكة؛ ويرسل إلينا تعاليم من فوق؛ ويدبر لنا حقائق من عالمٍ غير عالمنا؛ ويقيد حرّيتنا؛ ويبعث إلينا رسلاً وأنبياء؛ ويصنع لنا أدياناً ومذاهب؛ ويحشو رؤوسنا

بمعتقدات جاهزة؛ وينزل علينا كتباً سماوية، وسمّها بوسم الثبات والديمومة، وقال لنا بأن لا شيء فيها يتغيّر أو يتبدّل، مهما تغيّر الزمان وتبدّل.. هذا الإله يستحقّ منا أن نُلغيه، ليس من عقلنا فحسب، بل من الوجود أيضاً.

٨. إلهٌ نزل علينا كتاباً بعد كتاب، وشريةً بعد شريعة، وديناً بعد دين.. حدّد لنا فيها رسومه وقوانينه ومتطلّباته، ودوّن فيها أعماله وحروبه وتمييزه للناس بعضهم عن بعض، واعتبار بعضهم من شعبه المختار، وبعضهم الآخر أعداء له.. إلهٌ، لو تملّكتُ منه، لسجنّته بين كتبي التي، في أسوأ حال، تظلّ أفضل من كتبه الجامدة.

٩. إلهٌ لا يريد أن يوسّخ يديه بتراب أرضنا؛ ولا يتنازل نحونا قليلاً؛ ولا يُبتلى بما ابتلانا به من أمراضٍ وعذاباتٍ؛ ولا يموت كما نموت؛ ولا يُدفن كما نُدفن؛ ولا يهترئ جسمه؛ ولا يترمّد لحمه وعظمه.. إلهٌ يخشى مقارعةَ الفرّيسيّين والكهنة ورؤساء الكهنة والكتبة وحفّاظ الناموس والسبت والختان؛ ويتجنّب الصراع مع الباعة والتجار ومحبي المال وظالمي اليتامى والأرامل، وراجمي الزواني.. هذا الإله يبدو لي فاسداً ومفسوداً ويدعو إلى الفساد، ولا يعلم إلاّ الفساد.

١٠. إلهٌ يُسرُّ بالبقاء بعيداً عنا، فيرسلُ إلينا الأنبياء، نبياً بعد نبىٍّ. واللَّهُ أعلم كيف اختارهم! وما هي القاعدة عنده في اختييارهم!.. وأرسل إلينا مع كلِّ نبىٍّ تعاليمَ تختلف عن تعاليم نبىٍّ آخر.. أنبياء: منهم كبار ومنهم صغار؛ منهم له ومنهم للبعل؛ منهم مصلِحون ومنهم مبلبلون؛ منهم مسالمون ومنهم محاربون؛ منهم كتبة ومنهم حكاويّة؛ منهم مثاليّون ومنهم سافلون؛ منهم متبتّلون ومنهم نكّاحون مُكثرون... هذا الإله الذي يكلمنا برسلٍ وأنبياء، نردُّ إليه رسله وأنبياءه؛ ولا نريد منه، بعد اليوم، لا رسولاً ولا نبياً. فليتفضّل هو، وينزل إلينا ليشعر معنا بالألم والحزن والمرض والدموع والموت والحاجة، التي فرضها علينا.

١١. إلهٌ يحتاج دائماً إلى ملائكة ليكشفوا لنا عمّا نريد؛ ويكلّف واحداً منهم للبشارة، وآخر ليحرس أبوابَ الجنّة، وثالثاً ليلحق الأشرار، ورابعاً ليقاتل ويدافع عنه، وخامساً ليرافق المسافرين، وسادساً ليقبض الأرواح، وسابعاً ليوقد نيران جهنّم... إلهٌ عنده ربوات في ربوات من السارافيم والكاروبين والجلّاس والسادات والسلّاطين، يخضّون السماء... هذا الإله الذي يريد، على ما يبدو، أن

يتسلى مع ملائكته هؤلاء؛ ولا نعرف نحن المساكين كيف نسليه! هذا الإله لا يحب ولا يريد أن نزعجه. فليبق مع ربواته مغبوطاً في عليائه.

١٢. إله خلق الشياطين والأبالسة، وكلّفهم بزجناً في عمل الشرّ.. إله خلق كائنات متخصصة بالشرّ، وشريرة بطبيعتها، ولا ذرة خير فيها.. هذا الإله شرير، بما خلق، وأكثر شرّاً ممّن خلق. إنه شرير متمكّن في الشرّ كالكائنات التي أوجدها.

أيعقل ألاّ يفسّر الشرّ في الكون إلّا بوجود كائنات شريرة إلى هذا الحدّ من الشرّ؟! أوعقل أن يكون إبليس رئيس ملائكة الجنّة تجبر على الله وعصا، فهو شريراً إلى الأبد؟! هذه، حقاً، ملامح إله شرير كبير.

١٣. إله خلق ملوكاً وسلاطين، إقطاعيين مستبدين، كهنة ورجال دين، متكلمين باسمه، ومشرعين، يعمل بواسطتهم، ولا يعمل إلّا بواسطتهم، ويدعون أنّهم يمثلونه على الأرض، ويحكمون بسلطته، ويقضون بشرعه، ويهلكون بمشيئته... هذا الإله، إن كان، حقاً، سلّم سلطانه لهؤلاء، فليسلمهم أيضاً ذاته، ويصبحوا هم آلهة.. ويرتاح. ونحن نعرف كيف نتعامل معهم مباشرة.

١٤. إلهٌ يطلب منا دائماً التسابيح والتماجيد والتهاليل والتكابير والتقاديس.. قد يحقّ له ذلك؛ ولكن، ليس على حساب البشر المساكين الذين خلقهم فقراء يبحثون عن لقمة العيش؛ وهو يريد لهم أن يكفّوا عن الاهتمام بنفوسهم، ليهتمّوا بتبجيله وتكبيره وتعظيمه ليلَ نهار... هذا الإله لا يهتمّني أمره؛ بل ما يهتمّني هو أن أبحث عن حياةٍ سعيدةٍ بعض الشيء لأعيشها؛ وليبحث هو عمّن يهتمّ بتسبيحه وتمجيده وتكبيره وتعظيمه.

١٥. إلهٌ صانع العجائب، ومخربط نظام الكون، يشفي الكسلانَ من كسله، والفقيرَ من فقره، والمريضَ من مرضه، والقائد الغبيّ من غباوته، والعاشق من عشقه... هذا الإله هو إله عجيب غريب. إله للفرجة. نتفرّج نحن عليه، ويتفرّج هو علينا، لأنّه، مثله مثل تلميذٍ، يحبّ الفوضى، فيبطل النظام، ليثبت شخصيّته أمام بناتِ صفّه.

١٦. إلهٌ يسدّ الفجوات، ويملأ الفراغات. يحلّ المشاكل. يفكّ العقد. يسنّ القوانين. يصلح المتخاصمين. يطفى نيران الحروب. يقضي على الثورات. يقلب الظالمين عن كراسيهم. يُبطل جشع الجشعين. يكفي الميسورين. يشبع الجائعين. يشفي المرضى. يقيم الموتى... هذا الإله

الذي لا يطيق معه لا طبيباً ولا أستاذاً ولا عالماً ولا خبيراً..
هو إله يخشى أن يتخطى العلم حدوده. إنه إله يُميتُ فينا
الطموحَ والبحثَ والتنقيب. لعلّه، والحال هذه، يخافنا!

١٧. **إِلَهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ صَمَدٌ**، إلهٌ عظيمٌ كبيرٌ جداً جداً.
إنّه إلهٌ مُطلقٌ كاملٌ، كلّى القدرة والعلم والحياة. أزليٌّ أبديٌّ.
لا ضعفَ فيه ولا حدودَ له.. لا أحدٌ معه، لئلاً يقاسمه
الكمال، فلا يعود أحدٌ منهما كاملاً. لا أحدٌ بمستواه لئلاً
يُحبّه. والذي يُحبّ يشعر بحاجةٍ إلى مَنْ يُحبّ. إنّه، إذاً، إلهٌ
واحدٌ في طبيعته، أحدٌ في ذاته، صمَدٌ لا تُخرقُ ألوهيته. هذا
الإله لا أجد لي معه أيةَ علاقة. أوجد أم لم يوجد؟ فهو لا
يعنيني؛ لأنّي لا أشعر بمحبّتي له، ولا هو يحتاج إلى
محبّتي. إلغائي له أحسن لي وله.

١٨. **إِلَهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ صَمَدٌ. مُغْلَقٌ عَلَى ذَاتِهِ**. لا يقول
عن ذاته ما قاله للإنسان الأول: «لا يحسنُ أن يكونَ
الإنسانُ وحدهُ. فَلأصنَعَنَّ لَهُ عَوْنًا يُنَاسِبُهُ» (تك ١٨/٢)..
هذا إلهٌ لا يعرفُ ولا يُعرف. لا يُحبُّ ولا يُحبّ. لا يريدُ أن
يجدَ شيئاً «حَسَنًا» خارجاً عن ذاته. لا يريدُ معه، لا «عَقْلاً»،
ولا «نَفْسًا»، ولا «كَلِمَةً»، ولا «ابناً»، ولا «روحاً»، ولا أيّة
واسطةٍ بينه وبين هذا الكون. هو إلهٌ، على ما يبدو، لا

يطمئنن إلى أحد. لهذا يرفض أن يكون معه أحد. إله أغلق عليه الأبواب، فقبع في عليائه. لا نعلم كيف هو، ولا ما يعمل، ولا بما يهتم، ولا عما إذا كان يحب أو لا يحب. لهذا، قد يستغني عنا. وعلينا أن نستغني نحن أيضاً عنه.

١٩. إله واحد أحد صمد، إذا ما تراخى قليلاً، يظن أنه يهان. ويظن أنه، إذا ما أحبّ أحداً، أو تقرب من أحد، نقصت قيمته. ويظن أنه، إذا ما تألم وتعذب ومات، فسدت ألوهته.. إننا نسأل هذا الإله الذي لا يموت، كيف أوجد لنا الموت ولم يذقه! وكيف أوجد لنا المرض والألم ولم يرد ذلك لنفسه!.. هذا الإله لا يهمني أبداً. إنه إله فقير، تعيس، إنعزالي.

٢٠. إله لا يُكرم إلا حيث الأبهة والعظمة، وفي ألواح الفن، ورسوم المصورين والنحاتين، ولا يُعبد إلا حيث الطرب والرقص.. إله لا يحتفى به إلا في الكاتدرائيات والهيكل والجوامع والخلوات الخاصة... إله لا يتقرب منه إلا أحبار وكهنة ومشايخ... إله لا نتقرب منه إلا بعد غسلٍ ووضوءٍ وتطهيرٍ وطأطة رؤوس وأعناق... إله لا تظهر صورته ولا يُسمع له صوت إلا في زحمة دخان البخور والمحركات... إله لا يرحم ولا يدير باله إلا على أناس ركع

سَجَدَ بَكَائِينَ نَائِحِينَ تَائِبِينَ حَامِدِينَ... هذا الإله سوف
أطرده من بيتي. وليذهب إلى الجيران حيث يجد مَنْ يمتّع
خراشيمه بأنواع البخور واللّبان.

٢١. إلهُ يَفْضَلُ الْيَهُودَ على سائر مَنْ خلق من بشر،
وصيّرهم شعبه المختار، وصنع معهم عجائب لا تحصى؛
وشرفهم بما بعث إليهم من آباء وأنبياء ورسل وحكماء
وقضاة وملوك؛ وميّزهم بما أنزل عليهم من كتبٍ وشرائع،
وبما أبرم معهم من عهود، وبما أغدق عليهم من وعود... هو
إلهُ مفسودٍ كالذين ميّزهم واختارهم، وجعلهم مقتنعين
بأنهم أسمى من البشر أجمعين.

٢٢. إلهُ خَصَّ الْمَسِيحِيِّينَ بابنه الوحيد؛ ومكث معهم
في روحه القدّوس؛ وأسس لهم كنيسةً لن تقوى عليها
جحافل الأبالسة؛ وأنعم عليهم بلحمه مأكلاً ودمه مشرباً،
غذاءً أبدياً؛ وهبهم المقدّسات والأسرار ليتقدّسوا.. هذا
الإله اعتبره المسيحيون أنّه جاء إليهم وحدهم، فيما هو جاء
يخلّص الجميع من دون استثناء، لأنّه هو خالق الجميع.
وقد أخطأوا في حصرهم الله في دين؛ وكأنّه جاء ليؤسس
لهم ديناً كسائر الأديان. وها هي خطيئتهم.

٢٣. إله نزل على المسلمين كتاباً أزلياً أبدياً، فيه الحق كل الحق؛ ولديه حلول مشاكل العالم المعقدة كلها؛ وعنده العلم كل العلم.. إله طلب من أتباعه الجهاد في سبيله، وقتال المشركين، وأسْرَهم وتعذيبهم، وسبي نساءهم، والنكاح بما ملكت أيمانهم، وقطع يد السارق، ورجم الزاني، وجلد شارب الخمرة، وتجميد كل تطوّر وتقدّم يصل إليه العالم... هذا الإله سيءٌ لأنه، بدل أن يدافع عن الناس، يطلب هو من الناس أن يدافعوا عنه، ويجاهدوا في سبيله الجهاد العظيم! فأبي إله محبٌ هو هذا؟!

٢٤. إله ميّز الدروز فتجلى لهم اثنتي عشرة وسبعين مرة؛ وكشف لهم عن نفسه؛ وعرفهم بتوحيده حتى أصبحوا، بسبب ذلك، يُسمّون «بني معروف»، لأنّهم، في ظلّهم، عرفوا الله من دون سواهم...

وإله ميّز النصيريين فتجلى لهم أيضاً، سبع مرّات؛ وتركهم من دون شريعة أو كتاب يتبعونه... هذا الإله، على ما يبدو، تدخل في الناس من أجل الطعن بإله المسلمين وكتابهم... فهو، بالتالي، إله فتنة وشجار.

٢٥. إله، لم تكن في الأرض حروب إلا بسببه ومن أجله؛ ولم يندفع أحدٌ على أحد إلا باسمه. ولم يتقاتل الناس

بشراً ما تقاقلوا إلّا وهو كان الدافع إلى كلّ قتال وحرب
 وشرّ وثورة... لقد دمّرنا حضاراتِ البشريّة كلّها بسببه.
 وحرّقنا أشجار الجنّة نكايةً فيه. واخترنا القنابل النوويّة
 والسموم الفتّاكة والصواريخ العابرة القارّات للدفاع عنه..
 هذا الإله، كيف نتعامل معه، نحن المسلمين الذين شبعنا من
 الدماء والدمار؟! إنّنا نرفضه رفضنا للشيطان الرّجيم؛ إنّ
 لم يكن هو الشيطان الرّجيم.

٢٦. إله لا يُظهر قدرته إلّا في الضعفاء؛ ولا يفخر
 بغناه إلّا مع الفقراء؛ ولا يتجبر ويتكبّر إلّا أمام المساكين..
 إله لا يلين قلبه إلّا عند دموع الباكيّات النّائحات؛ ولا يُفيض
 مراحمه إلّا على اليتامى والأيامى؛ ولا يعطف إلّا على
 الأراذل والثكالي؛ ولا يفرح إلّا في ارتداء الملابس السود؛
 ولا يستيقظ إلّا عند قرع الصدور والطبول؛ ولا يظهر إلّا
 في العواصف الهوجاء؛ ولا يبيّن عدم رضاه إلّا بالزلازل
 والبراكين؛ ولا يتقرّب إلى من يحبّ إلّا في الليالي المظلمة..
 إله لا يُسرّ إلّا بتذليلنا أمام عوامل هذا الدهر... هذا الإله أنّ
 لنا أن نُخيفه نحن بما نخترع من وسائل للعيش الهنيء؛
 وسائل نحاربها بها حتّى لا يعود هو إلى تخويفنا وإذلالنا.

٢٧. هذا هو الإله الذي يرفضه الملحدون. وأنا منهم وأولهم. عكسه الإله-المحبّة الذي يقبله المؤمنون. وأنا منهم وأولهم. هذا الإله-العكس من هو؟ وكيف هو؟ وما هي صفاته؟ وأين نجده؟ وهل، حقًا، نطمئن إليه؟... فلنبحث عنه.

٢٨. فليطمئن المؤمنون بأنّ الله الذي نؤمن به، قد لا يكون كذلك. وهو، حقًا، ليس كذلك. وقد يكون كذلك لأنّ المطمئنين المنذهلين أرادوه كذلك.. أمّا أنا، الذي لا أرتاح إلى صورة من صور الإنسان عن الله، فلا أزال قلقًا، مضطربًا، باحثًا. لم أجد الله بعد. ومع هذا، لست بملحد ولا بكافر. لم أجده لأنّه كلّ الكمال وأنا لست كذلك؛ ولأنّه كلّ القدرة، وأنا لست كذلك؛ ولأنّه خارج الزمان والمكان، وأنا لست كذلك؛ ولأنّه حيٌّ، وأنا ميت؛ ولأنّه مطلق، وأنا نسبي؛ ولأنّه هو الذي هو، فيما أنا لست بعد أنا.. فكيف أعرف هذا «الآخر» الذي لا أستطيع أن أدنو منه؟!

٢٩. عندي أمل واحد لا غير لمعرفة شيء عن هذا «الآخر»: أن يدنو هو مني. فأنّا، لضعف في جبلّتي، لا يمكنني أن أدنو منه؛ لأنّ ما أنا عليه من ضعف وشرّ ومحدوديّة يمنعني من ذلك.

الشرّ والضعف يكمنان فيّ بسبب ما عندي من حرّية الخيار. هذه الحرّية، مشكلتنا معها عظيمة: هو الله إياها الذي خلقها فينا؛ وهو نحن إيانا الذين نتمسك بها. فالله، الذي يشاء كلّ شيء، -وكلُّ شيء رهن ما يشاء-، لا يشاء أن يُنقصَ من حرّيتنا شيئاً؛ ولا يشاء أن يفرضَ علينا حتّى وجوده.

٣٠. ومع هذا، لا نزال نسأل: كيف نحن أحرار مع إله كلّيّ القدرة والعلم؟! أو مع إله قريبٍ منّا أكثر منّا لنفوسنا؟! أو مع إله نحن حاضرون أمامه في ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا؟! مع إله لا أزمنة عنده ولا أوقات تتعاقب؟! نقول: إن كان الله إلهاً حقّاً، فعليه هو أن يتحمّل هذا الوضع الذي أوجدنا فيه. فإنّ هو دنا منّا، فعليه أن يحافظ على حرّيتنا؛ وإنّ هو نأى عنّا، فعليه هو أيضاً ألاّ يجعلنا فاقدى الأمل قاطعي الرّجاء. وهو الذي يعلم جيّداً أنّ قطع الرّجاء يؤدّي حتماً إلى الانتحار.

٣١. الانتحار جائز، هذه المرّة، لأنّه وقع بسبب ظلم قاهرٍ شاءه الله نفسه لنا. إلهٌ بعيدٌ جدّاً، ومتطلّبٌ جدّاً، هو إله ظالمٌ وأيّ ظلم، قاهرٌ وأيّ قهر! إلهٌ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»، هو إلهٌ يلغي أيّ شيءٍ يشاء أن يكون مثله. إلهٌ لا يريد أحداً

مثله. وعلى كلِّ أحدٍ، إن كان كافراً، أن يخلِّص نفسه؛ وإن كان مؤمناً، أن يقتل نفسه. لا حدَّ وسط: إمَّا الكفر فالحياة؛ وإمَّا الإيمان فالموت. وأحسن الموت الانتحار، نكايةً في الله نفسه.

٣٢. والأنكى من كلِّ شيء أن الإنسان نفسه، إرضاءً لله الذي به يؤمن، وضع شرائع باسم الله، وكلف نفسه بها؛ وأنزل من عنده كتباً، وأنبياء ورسلاً، وأنشأ أدياناً ومذاهب.. كل هذه حتَّى لا يكون حراً فيقتل نفسه بسبب حرّيته هذه؛ أو أيضاً، بسبب حرّيته ذاتها، يحتجّ بأنّه لا يعرف مشيئة الله فيه.

٣٣. لكأنّ الأديان كلّها كانت من أجل ألا يستعمل الإنسان حرّيته فيقضي بها على نفسه. هذا واقعٌ منطقيّ، تجرّنا إليه الأديان كلّها والكتب المنزلة والأنبياء المرسلون... وحتّى لا يكون الأمر كذلك، لعلّنا نُلغي الأديان والأنبياء والكتب، فنرتاح. ولكن يصعب، بل يستحيل، على ما يبدو، تحمّل عبء الإلغاء هذا...

لو يتحمّل الله نفسه عناً، أو معناً، بعض المسؤولين، لأصبحنا، حقاً، أسعد خلقه. فهل له أن ينتحر عناً ويريحنا؟! إن انتحر لا تُحسب عليه خطيئة؛ وإن سلّم نفسه للموت، فله

القدرة الذاتية على القيامة.. إنه الله. بهذه الخطّة والطريقة،
يخلص نفسه ممّن تكلموا باسمه، وادّعوا معرفته؛ ويخلص
حريّتنا ممّا قيّدتنا به الأديان والمذاهب والأنبياء من حقائق
وشرائع.

٣٤. هذا هو سرّ يسوع المسيح الذي لم يتّبع إلاّ
هذه الخطّة : لقد جاء ليخلصنا من شرور وشرائع، من
قيود وحدود؛ ممّن كلّمونا باسم الله؛ وتحدّثوا عنه كأنّهم
لمسوه ورأوه وحاوروه وأخضعوه لما يريدون. جاء يسوع
ليعيد لنا حريّتنا ممّا قيّدت به باسمه. جاء متألّماً لأنّه هو
خلق الألم. جاء ليموت لأنّه هو خلق الموت الذي زعزع
كياننا ووجودنا.

٣٥. وهل، بعد هذا كلّه، أن يعجب متعجّب بأنّ الله
يموت؟! هو الذي خلق الموت، فمات به. وكان لموته معنى.
فيما نحن نموت، لولاه، من دون معنى. معه نموت بمعنى.
نموت من أجل قضية، قضية كبيرة جدّاً، بقدر ما الموت شرٌّ
كبير جدّاً. وهل تكون القضية الكبيرة جدّاً غير حياة سعيدة
إلى الأبد؟!

٣٦. في منطوق الفلسفة نقول: إنَّ الله لا يتغيّر. لا يتألّم. لا ينفعل. لا يتحرّك. لا يموت... وإذا ما خضع لحالٍ من حالات التغيّر، لما كان إلهاً، أي لما كان كائناً يتّصف بالكمال والخير المطلق... أمّا الإيمان المسيحيّ فيقول: إنَّ الله تألّم. وتعذّب. وصُلب. ومات. ودُفن.. وتعرّض في حياته على الأرض إلى حالات النّاس جميعهم... وهل من مسيحيّ يكون مؤمناً حقّاً إن لم يؤمنْ بآلام الله الخلاصيّة هذه؟. الله نفسه متورّط في آلام ابنه، وإلاّ ليس لهذه الآلام أيّ معنى خلاصيّ.

٣٧. بإزاء هذا التناقض بين أن يكون الله لا يتألّم، كما يقول العقل؛ وبين أن يكون خاضعاً للآلام، كما يقول الإيمان المسيحيّ؛ قام لاهوتيّون يستعملون تعابير عويصة، مثلاً: «آلام الله الذي لا يتألّم». ومع هذا يبقى التناقض قائماً. ومثل هذه الفذلكة لا تُجدي نفعاً. ونحن، حتّى اليوم، وبالرّغم من وعينا لآلام يسوع وأهمّيّتها الخلاصيّة، والاحتفال بها يومياً في ذبيحة القدّاس، نظلّ نقول إنَّ الله لا يتألّم. في الممارسة تتغلّب آلام يسوع على ما سواها؛ وفي العقل يتغلّب الله الذي لا يتألّم.

٣٨. حتّى هذه الساعة، وبالرّغم ممّا نمارسه

ونؤمن به، لا نزال نعتبر الله الذي لا يتألم أكثر كمالاً من الله الذي يتألم... ولكن، ألا يعني هذا أن الله لم يصبح، بعد، مسيحياً! وأنا نحن لم ندخل، بعد، في منطق الإيمان المسيحي؟! الحق يُقال، إننا بقدر ما نشدد على أن الله لا يتألم، بقدر ذلك نعتبر آلام يسوع مأساة إنسانية لا معنى لها؛ وأيضاً إيمان المسيحيين، من أساسه، غير صحيح.

٣٩. من يقول بأن آلام يسوع لا معنى لها، وليست هي إلا آلام إنسان عادي من الناصرة؛ فهو، في الوقت نفسه، يعترف بأن ما هو نسبي بسيط وكأنه مطلق لا حدود له. بهذا تكون الكنيسة قد أعطت آلام يسوع معنى أكثر مما يجب؛ ويكون الله، بالتالي، قاسي، من أجل الإنسان، أكثر مما يجب. أي يكون قد تخطى حدوده، وألزم نفسه بما لا يلزم. فلا هو مطلوب منه ذلك؛ ولا الإنسان يستحق معاناة أي مخلوق، فكم بالأحرى معاناة الله وآلامه وموته؟!.

٤٠. هذه الخواطر توجب علينا أن نكتشف سر الله في آلام يسوع؛ كما توجب علينا أيضاً أن نضع آلام يسوع في الله. فلأن سر الله وآلام يسوع، والحال هذه،

متلازمان. ومتلازمان، فقط، من أجل خلاص الإنسان.
يعني: لا معنى لله ولآلام يسوع وموته إن لم يكن خلاصُ
الإنسان هو المقصود.

٤١. ومع هذا، وإذا كان الأمر كذلك، فنحن لا نزال
نتساءل: لماذا حافظت الكنيسةُ في لاهوتها على عدم تألّم
الله، فجارت العقلَ والفلسفةَ في قولهما؟! ولماذا حافظتُ
أيضاً على الاحتفال، منذ نشأتها، بسرّ الصليب والآلام
والموت، حتّى إنّ الكرازة، منذ البداية، كانت دائماً ولا تزال
تضع في صميم موضوعاتها آلام يسوع وصلبه وموته؟!

٤٢. نجيب أولاً: أنّ القول بعدم تألّم الله هو ما يميّز
الله عن الإنسان بامتياز. وهذا مطلوبٌ في العقل البشري،
لئلا يكون الناقص كالكمال، والأزليّ الأبديّ كالخاضع
لتحوّلات الزمان والمكان... بهذا يسلم الله في ألوهيّته،
ويسلم الإنسان في عدم مشاركة الله في ألوهيّته.

ونجيب ثانياً: أنّ القول بتألّم الله في يسوع، هو ما
يميّز الله أيضاً عن سائر الآلهة. يعني أنّه «أخلى ذاته في
يسوع»، ليشرك الإنسان في حياته الإلهيّة؛ أي تألّم ومات
ليشركه في سعادته وحياته.

٤٣. في القول بأنّ الله لا يتألّم يتميّز الله عن

الإنسان بامتياز؛ وفي القول بأن الله يتألم في يسوع يتميز الله عن سائر الآلهة بامتياز. والمسيحية لا يهّمها ما يتميز به الله عن الإنسان، فهذا تحصيل حاصل؛ بل يهّمها ما يتميز به عما هم عليه سائر الآلهة. فليس الإنسان المسكين هو الذي يحارب الله، بل الآلهة التي اخترعها الإنسان هي التي تحارب الله. لهذا كان «تخلّي الله في يسوع» من أجل خلاصنا، لا من خطيئتنا نحوه؛ بل من آلهة اخترعناها فحجبنا عنه. وكان موت الله في يسوع، لا لأنّه إله سادومي؛ بل لأنّه إله يحبّ إلى آخر حدود الحبّ: لقد بذل ذاته من أجل الإنسان الذي يحبّ خلاصه، وإشراكه بحياته. وهذا يكفي.

٤٤. فلكانّ الله في يسوع جاء ليقلب الأدوار. ليمحو آلهة ويسقطهم؛ ويؤلّه الإنسان ويعليه. هذا الإنسان الذي شاء إرضاء الله بما أنزل باسم الله من شرائع؛ شاء الله في يسوع أن يرضي الإنسان، ويرفعه إليه. ويقضي على كلّ روح فوق السماء وتحت الأرض، أكانت آلهة أم ملائكة أم أدياناً أم شرائع سماوية ثابتة.

٤٥. نقول: إن كان الله لا يتألم ولا يموت، فهو، أيضاً، وبكل تأكيد، لا يحبّ. ليس فقط لا يحبّ سواه؛ بل لا

يحبّ نفسه أيضاً. يعني: لا حركة في طبيعته، في داخله، أي، بحسب تعابيرنا البشرية: لا أمومة، لا أبوة، لا بنوة، لا أخذ ولا عطاء، لا ميل نحو أحد، لا رحمة فيه ولا حنان... بهذا، يظلّ مسيطراً على الآلام التي تنتج عن الحب. ومن يحبّ يتألم، لأن الطرف الآخر مختلف حتماً عنه. والمختلف دائماً سبب للآلام.

٤٦. هذا هو سرّ الحب وسرّ الآلام المتلازمان أبداً. فالله لا يتألم كالإنسان بسبب نقص في كيانه؛ بل يتألم بسبب كمال في محبته التي هي كمال كيانه. أوريغان عرف ذلك وتجراً فقال تعليقاً على (رو٨ / ٣٢): «هُوَ الَّذِي لَمْ يُوفِّرِ ابْنَهُ الْحَبِيبَ؛ بَلْ سَلَّمَهُ مِنْ أَجْلِنَا كُلِّنَا»: "إِنَّ اللَّهَ، تَأْلَمَ بِسَبَبِ رَحْمَتِهِ. وَهُوَ، حَقًّا، لَيْسَ مِنْ دُونِ شُعُورٍ".

وقال أيضاً: "هو (المخلص) نزل إلى الأرض شفقةً على الجنس البشري. لقد تحمل آلامنا؛ وذلك قبل آلامه على الصليب، وقبل تجسده أيضاً؛ لأنه، لو لم يتألم من قبل، لما كان دخل في مسيرة الحياة البشرية. لقد تألم أولاً، ثم نزل وأصبح مرئياً".

ما هي هذه الآلام التي تحملها يسوع من أجلنا؟ هي المحبة. والآب نفسه، إله الكون، ألم يتألم هو أيضاً بطريقة

من الطرق؟ ألا تعلم بأنه عندما ينحني نحو البشر يتحمل
 آلام البشر؟.. الأب ليس بليداً Ipse Pater non est
 impassibilis عندما ندعوه، ينحني، يتقاسمنا الآلام. إنه
 يتحمل آلاماً بسبب المحبة. إنه يصبح ما ليس في استطاعة
 طبيعته أن يصبح. ويتحمل بسببنا آلام البشرية " .

عندما يتكلم أوريجان على آلام الله فهو يفكر بآلام
 المحبة، بالحنان الذي في طبيعة الرحمة. كلُّ رحيم يشترك،
 لا محالة، في آلام الآخرين. يتحمل آلامهم. ويتألم من
 أجلهم.

ويبدو، بحسب أوريجان أيضاً، أن معاناة ما
 موجودة بين الأب والابن قبل وجودها بين الله والبشر.
 وقد لا يجوز لنا الكلام على الآلام الإلهية إن لم يكن الله
 ثالثاً. الوجدانية لا تجيز لنا الكلام عن الآلام الإلهية أبداً.
 في الألم يخرج الله من ذاته. يدخل في لقاء مع سواه. لهذا،
 فالخطيئة تنال من قداسه، لأنه يحب فيتألم. ولهذا طلب
 منا أن نصلّي: «لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ».

إنَّ الله البليد Impassible يعني أن موقفه من الفقير
 والغني، من البار والشرير، من الضعيف والقوي، سواء
 بسواء. فهو لا يشعر مع أحد؛ أي : لا يحب أحداً ولا يرفض

يعرف لا الحب ولا البغض.

إنَّ الآلام الإلهية هي التي تسمح لنا بمعرفة شيء عن الله. ونحن نفهمه ونحبه انطلاقاً منها، لا انطلاقاً من وحدانيته وصمدانيته وعلوه وجبروته.. نحبه لأنّه تعاطف مع أحداث التاريخ. لهذا كان له معنا تاريخ، أي كان له معنا أحداث في التاريخ.

إنَّ تاريخ العالم يجد بدايته في سلسلة تخلّيات الله عن ذاته: في الخلق، في إبرام العهود، في خروجه مع شعبه، في السبي، في ظهوراته، في وحيه، في إعلان مشيئته.. وأخيراً في إعلان ذاته... كلّ هذه أنواع من هذا التخلّي الإلهي. وسيستمرّ هذا التخلّي حتّى نهاية العالم.

تُعتبر التخلّيات الإلهية انفصاماً في ذات الله. ولن تعود إليه لحمته إلّا باستعادة وحدانيته. وكانت صلاة اليهوديّ دعوته الدائمة: «وحدّوا الله»، أي: اجمعوه. أعيّدوا إليه لحمته. فوحدة الله مشروع في طريق التمام. وليست هي الآن ناجزة. ونحن نفهم الله الآن ثالوثاً وليس واحداً. وسوف نعرف وحدانيته في ما بعد، من بعد معرفته ثالوثاً.

خاتمة الكتاب

لو لم يكن ليسوع الناصريّ موقف حاسم صارم من الأديان ورافض لها ولرجالاتها وشرائعها وتعاليمها لما تجرّأتُ على كتابة هذه الأسطر والقول بتبرئة الله من الأديان جميعها، ومن كتبها المنزلة، ومن شرائعها الجامدة، ومن عقائدها وتعاليمها الثابتة، ومن أنبيائها المرسلين، ومن رجالاتها المعصومين...

فلكأنّي، بتبرئة الله هذه، ووضعها على عاتق يسوع نفسه وعلى كاهل مؤلّفي الأناجيل والرسائل، وعلى مسؤوليّة الكنيسة وتعاليم آبائها ومجامعها، أرفع عن نفسي كلّ مسؤوليّة الكفر والإلحاد. لهذا قمتُ بنقل كلّ ما ورد في الأناجيل والرسائل من مواقف وتعاليم جريئة في تبرئة الله ممّا نسب إليه من أديانٍ، وكتبٍ، وشرائعٍ، وحقائق، وعقائد، وتعاليم جامدة، ولو بتفصيلٍ وتردادٍ مملّين...

لكنني لم أكن من دون حذرٍ من قولي بتبرئة الله من الأديان، حذرِ الخوف من الوقوع في فراغ، فلا نعود نجد للبشريّة مرجعاً ترجع إليه، حذرٍ يقوم على ما يجب أن يحلّ محلّ الأديان وتعاليمها، هي التي ساهمت في إنشاء حضاراتٍ وفي إغناء التاريخ، وفي تطوّر الإنسان ورقّيه... إنّ ما حقّقته الأديان للبشر لا يُستهان به. فهو هذا الذي ساهم في تطوّر الإنسان، وتقدّم العلم، وتنوّع الثقافات، وإرساء الحضارات، وبناء الأخلاق، وتثبيت القوانين والشرائع ما جعل البشريّة تتطوّر وتتقدّم أشواطاً. إلّا أنّ تجميد هذه الأديان والشرائع والتعاليم ساهم أيضاً في تجميد الإنسان وتأخّره بما لا يُحدّ، حتّى باتت البشريّة تعاني من هذا الجمود وهذا التأخّر وهذه الحروب الدامية والمستمرّة.

هذه الأديان، في جمود شرائعها وتعاليمها، كانت، حقّاً، سبباً عظيماً في اندلاع الحروب على الأرض، منذ فجر التاريخ حتّى اليوم. وكانت سبباً أيضاً في ادّعاء الإنسان المتماذي في إدراك طبيعة الله وهويّته، وفي معرفة صفاته وتصرفاته، وفي كنه أسرار الموجودات والماورائيات كلّها.

كلّ ذلك كان ولا يزال سبب اختلاف واقتتال في تاريخ البشرية، وسبب عداوة وخصام بين الناس. أقول الدّين، لا غيره، هو السبب الرئيسيّ لهذه الحروب والعداوات المستمرة بين الناس...

لهذا تجرّأت في أن أقوم بحملةٍ إيمانيّةٍ مسيحيّةٍ طاحنة بتجريد الله وتبرئته من كلّ دين وتشريع وتنزيل.

أقول «حملةٌ إيمانيّةٌ»، أي تستند إلى الإيمان لا إلى العقل، أي مرتبطة مباشرة بتعاليم يسوع الواضحة في صرامتها؛ وأقول «حملةٌ مسيحيّةٌ» لأنّ لا دين من الأديان التي تحكمنا اليوم، كاليهوديّة والإسلام وغيرهما، يسلم بتبرئة الله، كما هو الحال في المسيحيّة الأصوليّة.

ويجب أن نعرف، والحال هذه، أنّه إذا ما التفت الأديان من العالم، وبرّرنا ذمّة الله منها، فلا خوف على رقيّ البشريّة وتطوّرها. ذاك لأنّ المجتمعات المدنيّة، والقوانين الوضعيّة، وشرعة الأمم المتّحدة، وديساتير الدول، وأنظمة المؤسّسات، تحلّ محلّها، وفي طليعتها كلّها تعاليم الكنيسة التي تواكب الإنسان في تطوّره وتراقب مسيرته وتقوم اعوجاجه، في مختلف مراحل التاريخ.

هذا هو البديل عن تعاليم الأديان الجامدة: الكنيسة، في تعاليمها، ودرساتها، ومجامعها، وقوانينها، وأنظمتها، المستوحاة مباشرة من تعاليم يسوع ومواقفه. هذه الكنيسة، كمؤسسة عالمية، هي التي تتولى شؤون العالم، وتحل مشكلاته وقضاياها، وتتعاون مع هيئة الأمم المتحدة...

وكم كنت أودّ أن ألغي من قاموس اللبنانيين تعبير «الحوار بين الأديان»، أو «الحوار بين المسيحية والإسلام»...

الحوار، بالرغم من كونه قيمة إنسانية رفيعة، بما يعني من انفتاح على الآخرين، وقبول لهم، ومحبتهم... هو حوار طرشان، لا يفيد شيئاً، لا يقدم أيّ حلّ لأيّ مشكلة؛ بل يزيد الاختلاف اختلافاً ويعمّقه، لأنّ الإنسان متعصّب جداً لما يربطه بعمد السماء وبالمشيئة الإلهية والتعاليم المنزلة عليه وليس على غيره.

الحوار كلمة حضارية رائعة، ولكن حوار حول ما؟ ومع من؟ ومن أجل أيّ هدف؟ وما الغاية منه؟ وما هي المواضيع التي يجب أن يتحاور فيها المتحاورون؟ وهل من

مساحة تُعطى للمتحاورين حتّى يلتقوا على ما هم عليه
يتحاورون؟!!

العجب كلّ العجب في المجتمع السياسي اللبناني،
الذي، في بناء المجتمع والدولة وسنّ القوانين، يضع فشله
كلّه على الدين والطائفيّة ورجال الدين، لا على فساد
المسؤولين أنفسهم ولا أخلاقيّتهم ولا مبالاتهم في رقيّ
الإنسان وتطوّره...

كأن لا أديان ولا طوائف ولا مذاهب موجودة في
العالم، إلّا في لبنان...

ألا فليح كلّ إنسان أنّ الشرّ موجود في فشل
المسؤولين السياسيّين في بناء دولة لا في اختلاف الأديان،
التي ساهمت بدورها هي الأخرى في تجميد الإنسان
وتأخيرها. هذه الأديان التي ساهمت بعض الشيء في تقدّم
البشريّة؛ إلّا أنّها أخّرت مسيرة السلام تأخيراً عظيماً...

ومفهومنا الخاطئ للدين هو الذي قوى السياسيّين
في فشلهم؛ بل أعطاهم الحقّ في تماديهم في الفساد...

شرّ آخر يوجد في مجتمعاتنا الشرقيّة، يكمن في
ادّعائنا معرفة الله، وفي أنّ كلّ واحد منّا يملك هذه المعرفة،
فيُخضع الله لمعطياته هو، وللصفات التي يمنحه إيّاها...

كيف أقول لهؤلاء المتدينين إنّ الله لا يُدرَك، ولا يعرفه أحد، لأنّه غير خاضع للعقل وبراهينه، غير مرتّهن بمقولات البشر... الله لا يعرفه أحد، ومن يقول إنّّه يعرفه فهو الكافر والملحد، لأنّه نزّل الله إلى مستواه.

لهذا أقول أيضاً إنّ سببَ إلحادِ الملحدين كثرةُ إيمان المؤمنين، وسببَ القلقِ الوجوديّ بين البشر كثرةُ اطمئنان المطمئنين، وسببَ اقتتال البشر وحروبهم فيما بينهم ادّعاء كلّ إنسان معرفة الله وامتلاكه له. لهذا نردّد دائماً مع يسوع الناصريّ: إنّ الله لم يعرفه أحد. وحده الذي كان عند الله، هو يعرف الله، ويكشف سرّه لمن أراد.

ونردّد أيضاً مع المفكّر الوهابي النشأة، الملحد اليوم، عبدالله القصيمي: «إنّ احتلال الإله لعقولنا أفدح أنواع الاحتلال»، كما جاء في عنوان فصل كامل من كتابه «هذا الكون ما ضميره؟».

إنّهُ، في الحقيقة، حالنا اليوم مع الله ومع البشر جميعهم؛ علماً أنّ الله بريء كلّ البراءة من هذا الاحتلال. فالإنسان، الذي لا يريد أن يقرّ بعجزه وضعفه، ينسب ذلك إلى أنّ الله هو الذي شاء له ذلك.

فهرس الكتاب

٩	مقدمة الكتاب
١١	فصل تمهيدي
١	القسم الأول - موقف يسوع من اليهودية
٣١	الفصل ١ - موقف يسوع في إنجيل متى
٦٥	الفصل ٢ - موقف يسوع في إنجيل مرقس
٨٧	الفصل ٣ - موقف يسوع في إنجيل لوقا
١١٧	الفصل ٤ - موقف يسوع في إنجيل يوحنا
١٣٣	الفصل ٥ - تعاليم الرسل وتعاليم التوراة
٥٥	الفصل ٦ - تعاليم بولس واليهودية
١٩٥	خاتمة القسم الأول
٢٠٣	القسم الثاني - يسوع وحده دليلنا إلى الله
٢٠٥	الفصل ٧ - معرفة يسوع لله
٢٢١	الفصل ٨ - مَنْ هو يسوع بالنسبة إليّ؟
٢٣٣	الفصل ٩ - أيّ إله هو هذا الذي نعبد؟!
٣٤٥	الفصل ١٠ - الشرّ في العالم مسؤولية مَنْ؟
٢٥١	الفصل ١١ - حروب الله مع اليهود والمسلمين
٢٨١	الفصل ١٢ - الله محبة
٢٩٧	الفصل ١٣ - الله أب
٣٠٥	الفصل ١٤ - قيل لكم.. أمّا أنا فأقول لكم
٣١٧	الفصل ١٥ - مؤمن أنا أم ملحد؟!
٣٤١	خاتمة الكتاب

تَبَرُّؤُةُ اللَّهِ

كِتَابٌ يُحَدِّثُ صَدْعاً

- ◆ هذا كتاب يُحَدِّثُ صَدْعاً في عقل القارئ، صَدْعاً تُشَبِّهُ مفاعيله تلك التي يمرُّ بها الفريق وهو ماضٍ إلى الأعماق...
- ◆ إنَّه يدعونا إلى تحرير الإيمان من الدين، والإيمان المسيحي تحديداً.
- ◆ كل ما نخترن من معارف وثقافات وذكريات وطموحات، ندرك، بعد قراءة هذا الكتاب، أنَّها مطروحة على مشرحة النقد. ولا منجاة لنا إلا بالإمساك بمبضع الجراح نُعمِلُه فيها تشذيباً وصولاً إلى خلاصة الخلاصات، حيث لا تفلسف، ولا تلهوت، ولا هذلكات، بل طلب لفرح جيرة الله وأبراره.
- ◆ إنَّها دعوة إلى ورشة عمل تُحرِّرنا، بعد ألفي سنة من مجيء المسيح، بحريَّة لم نتعلَّم بعد ممارستها، دعوة نشكره عليها، ولو أنَّها أضافت إلى تحذيات العصر تحذيات تبقى هي الأهم، لأننا بها نستحق أن ندعى أبناء الله..

إسكندر شديد